هاشم دفتردار
المدني

نوابغ الكلم

الطبعة الاولى

صفر ١٣٩٨ هـ .

كانون الثاني ١٩٧٨ م.

نوابغ الكلم

الاهداء

سيدي صاحب الجلالةِ مليكنا المفدى خالد بن عبد العزيز آل سعود ...

يا صاحبَ الجلالة قد جرتْ عادة العلماء ، ورجال القلم أن يرفعوا مؤلفاتهم وثمارَ أقلامهم لمُلوكهم وعظماء قادتهم ..

وأنتم يا صاحب الجلالة مليكنا المفدى ، وعرشكُم مُستقر في اعماق قلوبنا ... فاكرمْ به من عرش خافق بحب جلالتكم واكبارِكم وتقديركم ...

والحمدُ لله فقد جمع اللهُ فيكم الى جلالِ الملك كريمَ التواضع والتقوى والكلمةِ الطيبة الخالدة ..

وها هي قلوبنا نحن أبناء شعبكم العظيم ضارعة الى الله رب العالمين ان يُسبغ عليكم نعمة السلامةوالعافية والسداد والتوفيق في اعمالكم كافة ، وان يهب لكم طول العمر ، لتدوم سعادةُ شعبكم العظيم برعاية جلالتكم ، وكبير اهتمامكم .

ادام الله عرشكم المفدى على احسن ما ترجونه منه عزّ وجل ، انه سبحانه وتعالى سميع مُجيب ...

هاشم محمد سعيد
دفتردار

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم ،

وأجراه ببدائع الكلم ، لتكون منارا تزيح عن الانسانية الغمم ، وتدفع الظلم ...

والصلاة والسلام على هادي العرب والعجم ، ورافع علم التوحيد فوق القمم . محمد الداعي الى الله بصدق واخلاص ، والناهض بالهمم ..

وعلى الآل والصحب والاتباع من كل الامم ..

وبعد فهذه جملة من نوابغ الكلم كان طلوعها في سماء المعارف والآداب من زمن طويل ، ولم يطلع عليها شبان اليوم، ولعل من اطلع عليها منشبان الامس اصبحوا شيوخا مثلي..

وهي حاوية لمجهود الليالي والايام في تحقيق المعارف والاداب، وليس من المتيسر لكل شاد أنيعي فحواها وهو في غضارة الشباب وشرخه وفتوته تحفه الملاهي أنى اتجه مما لم يكن لشبان الامس شيئا مما يحاكي ذلك ..

ولا يجمل بشبان اليوم أن يجهلوا أهدافها وهي اهداف ماجدة كريمة فيها النفع العام والهدى الى طريق الايمان والحق والخير وهي موزعة في شتى الصحف والمجلات، والاطلاع عليها عسير جدا، لذلك جمعتها من تلك المجلات والصحف

وجعلتها باقة من الازهار لتكون بين يدي المطالع متى شاء ، وفي أي وقت أراد .

واني لم اغير فيها كلمة واحدة لتكون حاملة طابع نهضتنا في فاتحة أمرها ، وطابع أهدافها العليا التي كنا ولا نزال نطمع اليها ليحققها ابطالها الاعلام الذين بنوا امجادها ، وشيدوا دعائمها وما زالوا هم ومن انجبوا من الابطال امثالهم ساهرين عليها لا يألون جهدا في البناء والدأب والسهر ...

ونحن الكتاب والمؤلفين، واجبنا التأييد والتحرير والتحبير وكشف الحقائق والكتابة عما كان وما يجب أن يكون لأنّ طموحهم العظيم لتحقيق الامجاد لامتهم هو الذي يلهم العلماء والادباء ان يبدعوا وان يبتكروا ، وهذا لا غرابة فيه، فالعصر الذهبي لدى كل أمة لا يأتي الا بنوابغ العلماء والادباء المتحابين الرحماء الذين يؤيد بعضهم بعضا : بخلاف أنصاف المثقفين في عصر الانحطاط الذين يحسد بعضهم بضعا لانهم غير قادرين على الابتكار والتجديد والتوجيه العالي الماجد .

ومهما يكن فهذه كلمات كالانجم ان غابت مدة في أعماق المجلات والصحف، فلا بد لها من الطلوع لأن الافادة لا تكون الا بالمراجعة والمطالعة والمدارسة .

وفي الختام اذكر الفضل لاصدقائي الذين رغبوا الي في اظهارها للناس لتكون الافادة منها عامة ودائمة وفي طليعتهم ولدى محي الدين ميسرة الذي أهمه هذا الامر . وحثني على ذلك . وساهم في اخراجها للناس .

واخيرا أقول أن ما أنشره اليوم هو جزء مما سبق لي ان أذعت وحاضرت ونشرت وهذه هي المجموعة الاولى التي اسميتها ــ نوابغ الكلم وستليها مجموعة اخرى واخرى ساخرجها تباعا ــ ان شاء الله ــ ليكون النفع بها اعم واشمل للعرب والمسلمين والناس أجمعين ...

هاشم محمد سعيد

دفتردار

إلى جامعة الامم

عالم الذرة والسياسة العالمية الجديدة (١)

١ ـ ان انكشاف عالم الذرة في عصرنا قد فتح للامم كافة ابوابا شتى من الحريات والامجاد والتطورات العلمية ، كما فتح أبوابا شتى من العواصف الانسانية الاجتماعية السامية .

٢ ـ ان انكشاف عالم الذرة أفهم الامم ان مجد قمع العدوان فوق كل الامجاد ، وانه عين السلام ، وان السلام بدونه ترصد وتخابث وضحك على الشعوب .

٣ ـ وان انكشاف عالم الذرة ، جعل مستحيلا كل الاستحالة تجميد نهضات الامم ، وصدها عن الانطلاق والتحرر والتأهب والاعداد لخوض معركة الحياة بعناد وفداء وحب للموت عجيب مهما كان وعيد الصد وتهديده ، ومهما كانت وعوده ومغرياته .

والأمم أدركت ان موتها محقق اذا نشبت الحرب الذرية العالمية المقبلة ومع ذلك فهي تناضل حتى الموت لنيل حريتها واستقلالها ، ولا ترضى أن تموت مملوكة لغيرها ، اي ترفض ان تموت موت العبيد مستسلمة بل تموت موت الاحرار مكافحة ، وقديما قال الحكيم العربي :

اذا لم يكن من الموت بد
فمن العجز ان تموت جبانا

وقال أيضا :

اذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير
كطعم الموت في امر عظيم

---

(١) هذه الرسالة أثنى عليها كثير من الادباء وقد طلب الي احدهم نشرها في كل الصحف لما لها من النفع .

والخلاصة : أن انكشاف عالم الذرة ، جعل الامم جمعاء وفي كل الاوطان تتأهب بكل حماسة ومغامرة وتضحية لتموت من أجل حفظ حريتها واستقلالها ومواردها.

فانكشاف عالم الذرة ليس بالقليل أبدا ، وسيزيد اثره آلاف المرات على ما احدثته التطورات في صميم حياة الانسان الجماعية والفردية ، وفي صميم حضارته المادية والمعنوية ـ على ما احدثه انكشاف عالم الحديد ويحدثه .

قد يكون في امكاننا الآن أن‌نتصور مدى ما ينزل بحضارتنا الحديثة من الانهيار اذا فقد من بين يديها قوى الحديد ، ولكن ليس في امكاننا ان نتصور مدى ما سينزل بحضارة المستقبل اذا فقد من بين يديها قوى الذرة لان ما سينزل بها هو العدم ، وهل للعدم من شبح يدرك سوى أنه العدم !!

الطاقة الذرية نعمة للانسانية

هذا اذا كتب لعالم الذرة الوليد ان ينمو ويترعرع حتى يتمكن من تقديم كنوزه وذخائره لسعادة الانسانية ولم يقض عليه ، وهو في مهده بيد غرائز العصر الحجري التي تحيا بين الامم بالمراوغة والكيد والمداهنة لاخفاء المؤامرات المبيدة :

● التي تنتعش بالترصد والحذر وتأريث الاحقاد باسم ما تدس في الدين من نحل وبدع وتنافر ، وباسم ما تدس في القومية من انفصالية وتحاجز واحقاد..

● والتي تقوى بالعدوان والتسلط والتحكم وقتل الأنفس البريئة .

والامم في هذا العهد تستقبل عالما جديدا يهيب بها من أعماق ضمير الذرة واعدا متوعدا ... واعدا بحضارة عبقرية جديدة تفيض :

بتطورات وثابة في صميم الحياة الاجتماعية والفردية بما تشتمل عليه من المتع والجمال والسعادة والسلام ومن أطياف كريمة فتانة ..

● وبمجالات تقدمية جديدة في النظريات السياسية ، وفي الصلات الدولية، وفي معنى الامة والقومية واللغة والشخصية والتقاليد الموروثة .

● والنهضات اجتماعية انسانية كريمة توثق الصلات بين الامم كافة على ضوء مبادىء الجمعية العمومية ، واقتباسا من روح والله واصلاحه العالي ..

● وبألوان زاهية من العبقريات الفذة في شتى حقول المعارف والصناعة والاختراع .

وبامكانيات متفوقة لبناء دولي انساني ضخم لجامعة الأمم تتمثل فيه ارادات الامم جميعا فيما تفرض على نفسها من تشريع وسياسة واجتماع واقتصاد وقوى للدفاع عن الحق ومن تقديس للحريات ضمن مصلحة الجميع .

● وباجتهادات علمية عميقة تفضي الى بعض ما أودع الخالق العظيم في القرآن المجيد من معجزات علمية مذخورة في صميم نصوصه لاجيال بعينها تكون لديها حُجَجُ ايمانها القطعية .

هذا اذا ساير قادة الدول الكبرى النظريات السياسية الجديدة ، التـي تجيء نتيجةحتمية لانكشاف عالمالذرة ولانكشاف التعايش السلمي المدخر فياعجاز القرآن.

وهذا اذا ام يرفضوا أن يزنوا بموازينها المستقيمة كل تصرفاتهم تجاه النهضات العلمية الاجتماعية والاستقلالية العامة وكل ما يتصل بجهاد الامم المزقة المستعمرة من أجل انطلاقها من قيود الاستعباد الغاشم المحطم .

وباب الامكان في الذرة لا يزال مفتوحا على مصراعيه ، وما عليهم الا أن يلجوه من قبل ان تتفاقم غرائز العصر الحجري في انفسهم ، ومن قبل ان تتعقد اطمـاع المظالم السياسية تعقيدا يستعصي حله بغير الحرب العالمية المقبلة .

الطاقة الذرية نقمة على الانسانية

والطاقة الذرية قد تكون وبالا على الامم تجلب لها الاهوال تتبعها الاهوال ، انها رجم من فوق ، وزلازل من تحت ، وزوابع عن يمين ، وتدمير عن شمال ، وما يصيب الامم في ذلك اليوم لا يدخل الآن في حساب الحاسبين ، وبتقدير المقدرين ، حتـى من أعمق رجال الحرب وأدراهم بما تنطوي عايـه مخابىء عـدد الذرة والهيدروجين مـن فواجـع .

هذا اذا رفض قادة الدولالكبرى النظريات السياسية الجديدة وظلوا متشبثين بتقاليدهم الوحشية المتحاجزة المفترسة ، واعمالهم العدائية الغاشمة الخداعة، وسوء نواياهم للامم الحديثة الناهضة وتخوفهم منها، وظلوا يعتبرون المواثيق قصاصات اوراق يخادعون بنصوصها الماكرة ذات الوجهين جامعة الامم المكلفة بصيانة مبـادىء حقوق الانسان ليجعلوا استعبادهم قانونيا ، حتى اذا قاومهم المظلومـون واعياهـم الامر، اخذوا باسمها يفتكون بالجماعـات والافراد . وكبير فـي عبادة الماضي ان يوجـد سياسيون من هذا اللون يزنون المعضلات السياسية التي تفاجىء بها الدول ــ فـي هذا العهد الذري ــ بموازين الذين اشعلوا الحربـين العالميتين الماضيتين ويتنكـرون لموازين جامعة الامم التي فرضتها الامم كافة على نفسها مختارة ليعم السلام والعدل والانطلاق والاستقلال والتفاهم .

التقيد بالعدالة لا يسيء الى احد

ومن الظلم الصارخ الاعتقاد بأن التقيد بموازين جامعة الامم يفقـد السياسيين الرجعيين مراكزهم وارباحهم بل الامر بالعكس سيمجدون وتمجد اسماؤهم في سجل بناة الحرية العالمية الخالدين . وسيربحون انقاذ أنفسهم وأممهـم وانقـاذ الحضارة والانسانية معا من ابادة الحرب الذرية المقبلة .

ودقيق ميزان جامعة الامم ، فهو يعين بعد الحرب أو قربها ، لانه الميزان الذري الذي لا يضل قيد شعره : فالرجوع الى قسطاسه والرضا بأحكامه في كل صغيرة او كبيرة من المشكلات يعين بعد الحرب .. والاعراض عنه والتمـرد عليـه يعين قـرب الحرب . نعم كانت جامعة الامم من قبل العدوان على مصر في وضع مخجل جـدا، ومضحك جدا ، وان كان أمينها الرئيس (همرشولد) بطل الحرية الانسانية العامة، والحكم العدل بين الامم ، وقائدها الى التفاهم والسلام .

سلطات الامم المتحدة مبتورة

وسبب ذلك ان الامم قدمت الى جامعتهم العامة السلطة القضائية التي تجعلها تصدر اعدل الاحكام ، وتقر اسمى مبادىء حقوق الانسان التي تفرض الحريات للامم جميعا ، وتحرم الاستعباد ، وتنظم المقدرات الاقتصادية تنظيما عادلا لا يفوت على امة من الامم حقها المشروع ...

ولكنها لم تقدم لها السلطة التنفيذية التي بها تكون احكامها وقوانينها واقعية مرعية الجانب مضمونة الاتباع . من أجل ذلك كانت الجماهير في كل امة تهزأ بقوانينها — وان كانت عادلة كريمة ويرونها أشبه شيء بخيالات قصص الف ليلة وليلة تفرح صورها ، وتحزن حقائقها ، ولن تحقق في الواقع الدولي المتناكر المتناحر غير تفاقم الاستياء والسخط والنقمة وسوء التفاهم ، والاعداد الجهنمي الحاقد المتربص ، والمسؤولية في ذلك الوضع المزري الذي كانت عليه جامعة الامم بالامس لا تقع عليها وحدها بل عليها وعلى الامم جمعاء وذلك لاسباب :

١ — التقصير في الاعلام

انها كانت مقصرة في نشر الدعاية لمبادئها ، ولو فعلت لفطنت اوساط الامم الايجابية من قبل الى قيم ما تحمل تلك المبادىء الانسانية الكريمة من امجاد وسعادة وحرية وعزة وسلام الى كل امة بالذات ، ولو فطنت الى ذلك من قبل لكانت طلائع السلطة التنفيذية التي تقدمها الامم اليوم بكل حماسة واخلاص وتضحية قدمتها من بداية تأسيسها ، ولكان هذا اليوم هو اليوم الذي اذا ابرمت جامعة الامم امرا من الامور باسم سلطتها القضائية تهيب بالدول جميعا باسم سلطتها التنفيذية قائلة :

« انا هنا .. والويل كل الويل ، للدولة التي تستهين بأحكامي ، او تعبث بقوانيني ، ولا تقيد سياستها بها ولتكن روسيا او أمريكا ... »

٢ — بطء السلطة التنفيذية

الامم تباطأت في منح جامعتهم العامة السلطة التنفيذية كأنها تجهل ان السلطة القضائية اذا لم تكن مقترنة بسلطة تنفيذية تنفخ في أحكامها الحياة والكرامة والمهابة كانت مومياء هامدة لا تنفع مظلوما ، ولا تضر ظالما .

وان لم تتدارك الامم هذا قبل فوات الوقت ، وتقدم لهـا كل قوى السلطة التنفيذية المفتقرة اليها كاملة غير منقوصة ، اذن لانهارت بمكايد التكتل الدولي المتحاقد في اوساط التناحر الاستعماري ، وفي إنهيارها انهيار للامم جميعا .

والويل كل الويل للامم ان سبقها الزمن ، وافلت زمام الامر من يدها ، بتصارع اطماع الساسة الرجعيين وانفراط عقد الجماعة العامة .

ولئن شاهدنا الامم جدت بحزم في تقديم قوى الطوارىء فالفضل يعود في الدرجة الاولى الى انتفاضة شبح الحرب العالمية الذرية المقبلة من مرقده ، وانتصابه مهددا منذرا لدى اعتداء بريطانيا وفرنسا على رأس الامة العربية المفكر « مصر » ...

وآية ذلك سخط الامم جميعا وجامعتهم العامة وبرلماناتهم في المقدمة سخطا

عنيفا بعيدا عن المجاملة والمحاباة والتحيز لغير وجه السلم المصفوع ..

وتوحد الفكرة السلمية لدى الامم كافة في المبادرة الى تأليف القوى الجماعية المشتركة لفرض السلام وكف العدوان سيحقق امرين جديدين في العالم :

١ ــ بلوغ (الجامعة العامة) الى مثلها الاعلى ، وما مثلها الاعلى ان الا تكون اكبر دولة مؤلفة من الامم كافة ، وللامم كافة ...

٢ ــ ايجاد القوى العسكرية السلمية العالمية المتفوقة بصورة دائمة . والامم حين توجد مثل هذه القوى السلمية الدائمة تعلم يقينا انها تنقذ نفسها من مصارع الحرب العالمية الذرة المقبلة .

ومهما يكن الامر ، فان كل امة بالذات حين تعمل على تقديم القوى المسلحة للجامعة العامة بما تستطيع فانها ــ في الواقع ــ توجد لنفسها اكبر قوة في العالم تذود بها عن نفسها كل عدوان قبل ان تذود بها عن سواها من الامم ، لان القوى التي تقدمها الامم كافة لجامعتهم العامة هي بنصوص دستور الجامعة العامة قوى كل امة بالذات تضرب بها كل عدوان مسلح ضد حريتها ــ مهما كانت قوى العدوان المسلح متفوقة وضخمة وهائلة .

انتصار الامم المتحدة مؤكد

وانتصار قوى الجامعة العامة مؤكد لانها تملك الى جانب القوى المادية العسكرية العامة القوى المعنوية العامة التي تجعل الدولة المعتدية في ناحية والعالم كله في الناحية الاخرى، وليس في طاقة اية دولة من الدول ــ ولو كانت اميركا او روسيا ــ ان تحرز اي انتصار او حياة او توفيق والعالم كله معاد لها ، مادة ومعنى ، وهل الجامعة العامة سوى العالم كله !!..

وكم من انحطاط خاسر مخيف يتبينه المفكرون الاجتماعيون العالميون الاحرار في نفوس الساسة الاستعماريين المستعبدين الذين يرفضون ان يمنحوا كل السلطة التنفيذية العالمية الى جامعة الامم خشية أن تفرض عليهم مبادئها السلمية واحكامها العادلة فرضا لا محيد عنه ، وان تمنع بها العدوان الغاشم والاغتصاب والاستعباد من العالم بتاتا وذلك بالضرورة يحرمهم من الاستعباد والاغتصاب والتسلط والتحكم .

اليس من العار أن الزعماء العرب الاميين فيالعصر الجاهلي يجتمعون ويقررون انشاء سلطة تنفيذية لاقامة العدل والسلام بينالناس، وزعماء الاستعمار وهم يعيشون في عصر الذرة يرضون ان يكونوا متخلفين عن ذلك الروح الانساني المثالي السلمي العدل الذي اهتدى اليه بالفطرة زعماء العرب في الجاهلية .

الرسول عليه السلام يدعو الى حلف السلام

وكم من حسرة تجرح القلب ، وتخمد الفكر حين نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينوه بين اصحابه بأمجاد ذلك الحلف التنفيذي المثالي سموا بنفسياتهم، وارشادا لفضيلة فرض السلام والضرب على ايدي المعتدين على الناس في قوله :

« اقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبدالله بن جدعان ، ما احب ان لي به حمر النعم ، ولو دعيت به في الاسلام لأجبت .. » .

ويكشف لنا هذا الحديث الشريف ثلاث نواح ذوات قيم مثالية كبرى :

١ ـ يكشف لنا اسفه الشديد للانحطاط الذي كان عليه قادة الامم في عهده، اذ كانوا في عماية عن وعي المثل الانسانية العليا التي اوحاها الله عليه ، فهم ليسوا اهلا ان يدركوا مزايا الحلف السامية من الوجهة العملية اذا دعاهم ليكافحوا معه لاجل اقامته وهو خال من أي كسب مادي لهم ..

٢ ـ يؤكد رسول الله لاتباعه حقا ـ وهو الاسوة الاعظم لهم ـ ان امجاد الثروة الادبية الخالدة يجب ان تقدم على امجاد الثروة المادية الزائلة . اذا عرضتا متساويتين معا لاختيار احداهما : ما أحب أن لي به حمر النعم . وناهيك بالنوق الحمر من ثروة مرموقة لدى ابناء الجزيرة العربية في عهده صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ يتمنى رسول الله (ص) ان يكون زعماء الامم على حال من الرقي الانساني يسمح لهم ان يكونوا هم الذين يوجهون اليه الدعوة الى الحلف ليخف الى تلبيتهم ، وهو الداعي الى العمل بوحي الله ، والحلف من اوائل مقاصد وحي الله ... وتأكيدا لذلك يقول : « ولو دعيت به في الاسلام لاجبت .. » .

القرآن يدعو الى السلم

على أن تخلف زعماء الامم عن ادراك مزايا ذلك الحلف لم يمنع وحي الله من فرض كل ذلك بسلطان الايمان ذي الكبت الغريزي في قوله الله: (يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) وقوله ايضا : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين ، ٤٩ ـ ٩) .

وقوله تعالى :

« واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ٤ ـ ٥٨ .

نهايـة القـول :

« ان الامم اذا ارادت استمرار حياتها وحياة الحضارة، وارادت أن تحكم نفسها بنفسها بطريقة جماعية سلمية عادلة مطمئنة فيها كل الضمانات على حرياتها وسلامتها واستقلالها واجتماع كلمتها ، وفيها كل الوثبات التقدمية الواسعة التي بها تستطيع ان تساهم في البناء الحضاري الانساني العام مساهمة منتجة ذات قيمة ، وفيها كل الوقاية من الاعتداء والعدوان عليها فليس لها الا أن تقدم لجامعة الامم ما يدخل في حدود امكانها من القوى العسكرية المسلحة لتصبح في يدها وحدها القوة التنفيذية العالمية ، وليصبح واقعا عمليا ذلك القول : « وعلى الارض السلام » .

سنة توازن القوى الدولية

توازن القوى يفتح باب الخير والتقدم

... كما ان سنة تدافع القوى الدولية المتفوقة – كلما اضطرب ميزان توازنها – هي التي تقي الامم من الابادة ، فانها هي بالذات التي تفسح المجال لتقدم دول وتأخر اخرى .

وليس في مقدور اية دولة من دول العالم ، مهما بلغت بها القوة ان تبطل عمل هذه السنة ، لان سنن الله التي طبع عليها عوالمه المادية والمعنوية ستظل بواعثها العملية وايحاءاتها هي ذات التوجيه الاول والاخير في كل اعمال الدول ، ما دام في الارض دول تصارع من اجل البقاء :

« فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » ٣٥ – ٤٣ .

والواقع ان ايحاءات هذه السنة وتوجيهاتها الاصيلة ، مركزة في صميم مجاري الاحداث الدولية بصورة عامة ، وهي التي تفرض على كل دولة بالذات ما يجب ان تفعله ، وما يجب ان تتركه لان قادة الرأي في كل دولة سيجدون – بعد طول المداولة وتمحيص الرأي – ان اصوب ما تفرضه عليهم ظروف امتهم ومصالحهم الحيوية الخاصة من اعمال هي عين ما تفرضه عليهم سنة توازن القوى الدولية في صميم بواعثها الطبيعية ذات التأثير الموجه الخفي .

لا يمكن ابطال توازن القوى

لو كان في الامكان ابطال توجيهات هذه السنة الالهية لاستطاع الفرس والروم ان يحولوا دون توحيد الشرق بيد الاسلام ، وقيام دولته العربية الكبرى قديما ، ولتمكنت انكلترا ان تحول دون توحيد الولايات المتحدة الاميركية وقيام دولتها الكبرى ، وان تحول دون قيام دولتي الهند والباكستان ، ولتيسر لاميركا ان تمنع قيام دولة الصين الشعبية وقيامها هو ما يرعب له الغربيون ، لانهم ذاقوا الامرين من قوة اليابان ، فكم يكون ما يذوقونه من الصين اذا بلغت من الحضارة الحديثة ذروتها ، وهم أعلم الناس بتأريخ الصين الصناعي الكبير وعظمة دولتها ، وبطولة ابنائها .

هذا شأن الدول التي قامت قديما ، وهذا شأن الـدول التي تقوم حديثـا .

مقاومة استقلال الامم نفخ في رماد

اذن فمقاومة الامم المناضلة دون حريتها واستقلالها وتوحيدها نفخ في رماد، والعنف في كل التأريخ لا يدل الا على نهاية المقاوم لانه ــ لا بد ــ ان يجر الى حروب طاحنة تنجلي في النهاية عن انتصار السنة الالهية .

ولو ان انكلترا صادفتها الحظوظ فساهمت في تحرير الامة العربية ووحدتها وقيام دولتها وفق معاهدتها الاولى ــ كما فعلت روسيا مع الصين ــ لوجدت انكلترا من العرب ، فوق ما وجده الروس من دولة الصين الشعبية . على ان شعوب الامـة الصينية على وفرة عددها الخيفه ، لم تقدم ادنى تضحيات في سبيل الروس بالنسبة لما قدمه العرب ، في سبيل انكلترا في الحربين العالميين الماضيين .

ولعل ما فات انكلترا تستطيع ان تتداركه اميركا والابواب لم تغلق بعد ...

منع نشوب الحرب ممكن

ومهما يكن فقادة الدول الكبرى يستطيعون منع الحرب :

- اذا راضوا انفسهم على كبت عقليتهم الاستعمارية الرجعية ...
- واذا سموا بأنفسهم الى اوج الانطلاق التحرري العام .
- واذا أخذوا على عاتقهم ان يؤيدوا نظريات السياسة الانسانية التحررية الحديثة التي فرضها انكشاف عالم الذرة .
- واذا اقاموا ما تقيمه سنة تدافع القوى الدولية من توازن لدى اختلالها.
- واذا حولوا مر دهائهم واسمى امانيهم واكـرم اعمالهم وافتـك عددهـم المرصودة للحرب الى منع الحرب .

ولا ريب ان منع الحرب هو استمرار للسلام ، وفي استمرار السلام امتـداد لحياتهم كدول كبرى ، لان الزمن الذي تعيش فيـه دول وتموت دول فـي حـرب عالمية كبرى قد مضى ، ويكفي للعمل بما ذكرنا ان يتوحدوا في دعم جامعة الامـم، ويعملـوا على تحويلها الى دولة عالمية كبـرى تملك فـرض السلام العـام ، وتحريم العبوديات الاستعمارية الدولية في شتى الوانها واوضاعها سواء أكانـت سياسيـة ام اقتصادية ام ثقافية، كما تملك حل المشاكل الدولية التي تستجد وفق دستورها..

هذا هو العمل المجدى بعد اكتشاف اعتدة الذرة والهدرجين، وبعد اجماع الامم على تحطيم اغلال العبوديات بعناد واصرار وشوق الى التضحيات . وسوى هـذا العمل ضياع وعبث وتغرير ، لا يفيد شيئا . اما تبادل المؤامرات والمكايد والتخادع والتراشق بالعيون والارصاد ، واصطناع المؤلبين الآثمين ، والدساسين الكاذبين في الاوساط الدولية فانه لا يثمر في النهاية الا الحرب العالمية الذرية المدمرة .

الحرب ممقوتة من الامم كافة

ان اي عدوان مسلح لاشعال نار الحرب ، في اي طرف من اطراف العالم بـات

اليوم ممقوتا جدا لدى الجماهير في كل امة ، ولدى الافراد المسؤولين ، ولم يبق مصرا عليه الا نفر من القادة الرجعيين المصابين بسعار استعباد الشعوب الضعيفة ، وجشع ابتلاعها والانتقام منها .

وقد ظهر للعيان ان ما يضمره هؤلاء القادة الاستعماريون من الاحقاد للحريات العامة لا يستوعبه البيان . وبالحري بعد انقضاضهم الغادر بالحديد والنار على ضرب مصر البريئة .

ولا ارتاب ان هذا المقت العالمي للعدوان المسلح هو ما اثار جماهير الشعوب ، وفي مقدمتهم رؤساؤهم وقادتهم الرسميون وغير الرسميين : على استنكاره في جامعة الامم ، وفي برلماناتهم وصحافتهم ، واجماعهم على مقاومته اعنف المقاومة ، حتى قضوا عليه في مهده .

وكم اطمأنت جامعة الامم والامم من ورائها على عصمة السلام ايضا، لما شاهدت الاتحادين الكبيرين الاميركي والروسي — اللذين يملكان وحدهما القدرة على اشعال الحرب العالمية المقبلة وعدم اشعالها — يقفان في وجه الاعتداء المسلح والمعتدين ، ويمقتان عودة الروح الاستعمارية البغضية التي هي السبب الرئيسي في اشعال الحروب قديما وحديثا .

ولو وجدت بريطانيا وفرنسا ادنى استعداد ورضا من امة الولايات المتحدة لان تشعل حربا عالمية ثالثة ضد روسيا من أجل أن تفسح المجال لهما للقضاء على الروح الاجتماعية الواعية في مجتمعنا العربي — كما سبق لها أن اشتركت معهما ضد المانيا — لما كفتا عن متابعة العدوان على مصر وسوى مصر من بلدان المجتمع العربي ، ولو افضى ذلك الى دمار البشرية جمعاء .

وفي موقف جامعة الامم الصارم بلاغ معلن للناس إن المخاوف التي تجسمها انكلترا وفرنسا من تفاقم قوى الاتحاد السوفيتي وتمكران في تصدير هذا الزعم الى امة الولايات المتحدة بتدبير الصهيونية العالمية للايقاع بين الدولتين الكبيرتين ، هي أدنى مليون مرة ، من أهوال الحرب الذرية الهدرجينية ، فيما اذا جن جنون قادتهما بأسباب من المخاوف المصنوعة ، وتهاجموا في غفلة من ساعة الغفلة .

ولو كانت معامل أعتدة الذرة والهدرجين ومستودعاتها وقواعدها المخفية في أعماق الارض ومجاهلها معينة المواطن، محدودة التخوم لا تتجاوزها الهجمات الحربية، الى العواصم والقوى الآهلة بالساكنين ، لهان الامر ، وقلنا : ان الدولة التي تسبق الاخرى — ولو بثوان — فتبطش بها البطشة الكبرى ، قد تستطيع متابعة الحياة كدولة راهنة مشلولة ، اما الاخرى فلا يبقى لها من اثر .

وقد سبق للولايات المتحدة الاميركية ، أن ساعدت بجانب من ثروتها وعتادها ورجالها في سبيل انكلترا وفرنسا ، ضد — خصمها العنيد — المانيا في الحربين العالميين الماضيين ، ولكنها كانت حذرة يقظة اذ لم تساعده الا بقدر ، والا في الساعة

الاخيرة حيث تستفيد ولا تتضرر .

وكان أعداؤها ـ في تلك الايام ـ بعيدين عنها بعد أميركا عن أوروبا ،

ولم يكونوا يملكون أهوال يوم القيامة كما تملك .

ولم يكونوا يملكون من المواصلات الطائرة ، والصواريخ الصاعقة الخاطفة .

تبدلت نظرة العالم للحرب

اما اليوم فقد تبدل كل شيء . ولو نشبت الحرب بين اميركا وروسيا فلن تتجاوز وطنيهما ، لان مكر أي من الدولتين لاستدراج الاخرى الى افناء قواها الذرية والهدرجينية هنا وهناك ليسهل في النهاية افناؤها والافادة من الحياة بعدها خاسر ، وبالحري بعد يقظة العقلية السياسية ، هذه اليقظة العبقرية العميقة لدى الامم كافة .

والدولتان الكبيرتان لن تقذفا بشعبيهما في بركان الذرة والهدرجين المدمر دمارا ساحقا محققا الا لدى اختلال توازن قواهما ، فهل يعقل ان يسمح شعباهما بذلك من أجل ارضاء الدول التي لا ترضى الا بعودة نفوذها الاستعماري البغيض الى الشرقين الاقصى والادنى ، او من اجل الاصغاء الى الخائنين المرجفين الذين يتاجرون بتأريث الاحقاد ، واثارة المخاوف ، واشاعة الدعايات المغرضة التي لا تفسر في عرف السياسيين الا انها اعداد لاشعال حرب عالمية ثالثة .

ولعل احدا يظن ان الحرب الذرية الهدرجينية قد تجتاح أحد الشعبين دون الاخر ، اذا استطاع احد الشعبين أن يطوق الاخر بالقواعد الحربية للانقضاض عليه في ساعة مفاجئة تجعله غير قادر على الكيل بالمثل . ولكن هيهات هيهات أن يتم ذلك ، والعالم كله يعيش في عصرنا بالدهاء الخارق ، والحذر الجهنمي والوعي الشيطاني الخبيث .

ومهما يكن من أمر الحرب في المستقبل، فان شرارته أينما تشعل خارج وطنيهما، فانها في لحظات تكون في وطنيهما ، اذ في التأخير كسب الحرب والتأخير لن يكون.

والحرب واقعة اذا لم يقفوا في وجه عودة الاستعمار الى الشرق ، وفي عودته انتكاس مرير الى شريعة الغاب، وانحطاط رجعي وضيع في الضمير الانساني، وتلويث للمجموعة النفسية الانسانية ، بعد أن هذبها كبت التقدم العلمي الفائق ، وطهرها الاشعاع الذري في الصميم الصميم .

حلم كفيف [1]

نشأت في أسرة مشهورة بصلاحها وتقواها . وكنت حسب النشأة الكريمة والتربية العالية احب الصالحين وأتردد على المساجد .

وكان في محلتنا مسجد قريب من البيت ، امامه شيخ ضرير يحفظ القرآن المجيد ويحسن قراءاته السبع . وكنت اختلف اليه يوما بعد يوم ، وكان حديثه يلذ لي فاذا سألته مثلا لماذا تقرأ مرة : « ما هن امهاتهم » واخرى : « ما هن امهاتهم » بالنصب والرفع ، يجيبني خير جواب ، ويشرح الموضوع شرحا علميا وافيا، ويوجهه وفق لغات القبائل العربية ، ولهجاتها ، فيقول مثلا : ان اهل الحجاز يعملون ما النافية عمل ليس ، واهل نجد يهملونها ويجعلون الجملة الاسمية منفية بها فقط . والقرآن المجيد انزل بلغة العرب ، والعرب تختلف لهجاتهم باختلاف قبائلهم فلا بد من السماح لهم بتلاوته حسب لهجاتهم، والا كيف يفيدون منه الفائدة المرجوة، وهذا ما جاء به الوحي الآلهي . . .

هذا الذيحبب الي الشيخ وجعلني اكثر من التردد الى المسجد للافادة من علومه الجمة التي تتصل باللغة العربية وآدابها ، وكان هو أيضا بدوره يودني لما يرى من اكباري له والافادة من معارفه ، وربما يفضي بنا الحديث أحيانا الى بعض المسائل العلمية الحديثة التي اتلقاها في الجامعة .

واني اذكر الى اليوم حديثي معه حول الاحلام ، فذكرت له ما ذكره « فرود » في علم النفس، فقال لي: خير ما يقال فيهذا الموضوعهو ما رواه الثقات عنرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذ يروي الحديث الشريف ويشرحه شرحا علميا دقيقا سرني جدا وبالحري حين قال : « ان للهواجس النصيب الاكبر في احلام البشر، فهذا يرى نفسه يقود الجنود ويقتحم الميادين ويصارع الاقران ، لانه يهجس في قيادة

(١) نشرت في قافلة الزيت وقد ارسل لي يومذاك الصديق شكيب الاموي يثني عليها ...

الجنود . وذلك يرى نفسه مترددا من جامعة الى جامعة ومن مكتبة الى اخرى يتأبط هذا الكتاب ويبحث عن ذاك المخطوط، ويتراءى له العلماء القدامى والمحدثون ويناقشهم ويناقشونه لانه يعشق العلم والمعرفة ..

وهنا خطر في نفسي خاطر ، فقلت : يا شيخ تمام « هل الكفيف الذي يهجس في رؤية امواج البحار الزرقاء وبسمات الفجر ، واشعة الغزالة وهي ترسل سدولها الذهبية على وشي الزهور فتبدو وكأنها تحت تلك السدول الذهبية الشفافة عيون الحسان الساحرة المختلفة الالوان وهي تشع بالاضواء ؟ اقول هل يرى نفسه مبصرا في منامه ؟ وهل يشاهد من جمال الوجود ومجاليه الفتانة ما هجست به وتردد في خاطره ؟ » . فلم يجب واطرق طويلا ، ثم استأذن وذهب .

ولم اعد بعد ذلك ارى الشيخ تماما يؤم المصلين في المسجد . وسألت عنه اصحابه فقالوا أنه مريض ولا نعلم شيئا عن المرض الذي اقعده عن القيام بوظيفته في المسجد ، ولعلهم كتموا من امره ما لا يحبون ان يذاع . ولم تكن ظروف دراستي تسمح لي بالسؤال عن منزله والتردد اليه .

وبعد اسبوع كنت اسير في الطريق فرايت الشيخ تماما يسير الهوينا وهو معصوب الرأس ، ويده مشدودة بجبيرة صفراء ، فأسرعت اليه وانا أقول : ما بك، ما بك يا شيخ تمام ؟ فتابع سيره ولم يجب !! كأنه لا يعرفني ، والوجوم باد على محياه . فلحقت به وامسكته وقلت له : ما بك يا شيخ تمام ولاي شيء لا تجيبني !!؟

ــ لا شيء ، لا شيء ...

ــ بل هناك اشياء . واحسبك تكتمها عني ...

ــ لا شيء ولكن الظروف اضطرتني الى ذلك .

ــ اعتقد ان هناك امرا جعلك تمرض على الرغم منك .

وهنا انبسط وجهه قليلا وانزاحت عنه تلكم الغمائم السود وهو يقول :

ــ اتذكر ذلك اليوم الذي تحدثنا فيه عن موضوع الاحلام ؟

ــ اجل اذكره جيدا .

ــ ذلك الموضوع هو السبب .

ــ وكيف ذلك !! ؟ « قلت ذلك متعجبا متحمسا للاستفسار » .

ــ ان سؤالك عن ابصاري في المنام اثار في نفسي اوجاع العمى الفادحة حتى اذهلني عن نفسي وعنك فتركت المسجد حزينا كئيبا اسير ولا ادري الى أين أتجه ، وذلك الليل الحالك من العمى يتبعني اينما سرت، واخيرا تراميت في بعض النواحي اعياء . ثم اخذت افكر في هذا القبر المظلم الذي دفنت فيه حيا ليلا ونهارا . وتمنيت لو رأيتني في حلم مبصرا ، وقد ضاعفت ذكرى حرماني من مشاهدة جمال الوجود

حتى في الاحلام هواجسي » .

وهنا عدت الى منزلي وظللت اضرع الى الله عز وجل ان يمن علي بالابصار ولو في حلم واحد . ثم استلقيت على فراشي وكلي طمأنينة ، ان الله استجاب دعائي . .

في تلك الليلة رأيت، ويا ليتني ما رأيت! رأيتني اسير على ضفة نهر «شنيل» في غرناطة وانا منكسر القلب حزين . فسمعت هاتفا ينادي : « يا شيخ تمام اغسل عينيك من هذا النهر الصافي ، فانك تبصر باذن الله » . فتوسلت الى ذلك الهاتف وضرعت اليه ان يقودني الى الماء لاني اخشى الغرق . . . اجاب الهاتف ندائي واوصلني الى الماء ، وما كادت يدي تمس الماء حتى غرفت منه غرفة وغسلت بها عيني، فاذا انا مبصر . التفت يمينا وشمالا من شدة الفرح فلم ار الهاتف ولكني رأيت نهر « شنيل » المتدفق والخمائل الفينانة منحنية على النهر كأنها تحاول ان تضمه اليها، والامواج اللامعة ترفرف كأنها أمواج شعر الحسناء الفضية تمر به النسمات العطرة مرا خفيفا ، ثم اخذت امشي وانا مأخوذ بما اشاهد من قصور العرب الشماء وحدائقها الغناء ومروجها الفيحاء حتى وافيت قصر الحمراء، وهناك رأيت من عجائب الفن العربي وغرائب سحره ما انساني اوجاع الماضي واسدافه الكثيفة ، وشاهدت الحسان اليعربيات وهن يتخطرن على ضفاف النهر كأنهن الياقوت والمرجان. وذكرت بهذه المناسبة جمال زوجي، ذكرتها وذكرت شعرها الذهبي الذي كانت تحدثني عنه وتقول: يا شيخ تمام لو كتب الله لك ان ترى ضفائر شعري الذهبي الوهاج ، لرأيت مناجم الذهب كيف يخطف الابصار، ولو شاهدت عيني الزرقاوين لرأيت السماء كيف تسحر الالباب وتأسر الافئدة في سحر العيون الفتانة : « ويا شيخ تمام ، لو ابصرت صفاء جسمي كيف يزيد على صفاء الفضة ، وأنت تعلم قيمة معدن الفضة في قضاء حوائجك ، ولكنك لا تعلم لونها السحري وهو يتألق على جسمي الذي هو أثمن من معدنها قيمة » .

ذكرت كل ذلك حتى انساني جمال ما رأيت لاول مرة من محاسن الطبيعة . وما فكرت في هذا الموقف المدهش ان اطلب الجمال في انسان وقد أكرمني الله بكل ذلك الجمال الذي حلي به زوجي !!

ولا ادري كيف وافيت منزلي هل بأجنحة الملائكة ام بأجنحة الحديد . كل الذي أذكره اني رأيتني اطرق الباب طرقا عنيفا جعل زوجي تصرخ من الطارق ؟ !!

ـ افتحي يا عصماء ، انا تمام .

ـ مالك تطرق الباب كأنك مجنون .

ـ افتحي فاني جئتك بمباهج الدنيا احملها بين يدي .

وسمعتها تقول وهي مقبلة لفتح الباب :

ـ اي دنيا تحملها ؟ وهل لديك سوى دنيا الظلام وبؤس العيش ؟!
وما كادت تفتح الباب حتى هجمت عليها محاولا تطويقها بذراعي . ولكن عيني

ما كادتا تقعان عليها حتى سكنت في مكاني سكون ابي الهول .... !!! مـا هـذا !! شاهدت وجها كروث البغل وذقنا ككعب النعل وعينين سوادهما مستطيل كعيـون الجن ، وشعرها كليف الاموات المطروحة خلف المغاسل . اما جسمها فيا ويل الناظر، ان خير ما أقول فيه : اعوذ بالله !!!. اعوذ بالله !!! ما هو من بياض الروم ، ولا من سمرة العرب ، ولا من صفرة الصين ، حتى ولا من سواد الزنوج، ويا ليته كان كذلك. ولكنه ذلك اللون المخيف في ثعابين المقابر الرقط . ولا اذكر الآن ما كان منـي حين شاهدتها على تلك الحالة ، سوى اني رفستها بقدمي وطرحتها علـى الارض . وانـا اصرخ : أغربي أغربي عن وجهي أيتها المرأة اللعينة .

وهنا هزتني زوجي وهي تقول : ما بك يا تمـام ؟ فاستيقظت علـى صوتهـا ولم أجب بل رفستها بقدمي وطرحتها علىالارض وأنا أقول: أغربي اغربي أيتها المرأة اللعينة . والآن ، انا أخرج من المستشفى لاول مرة بعد ذلك الحلم الخبيث .

فودعته وانصرفت .

أجنحة فراشه

رأيتها : وانا هابط الى أعماق وادي « العقيق » (١) المطمئن ، تحت اقدام «جبل الشيخ » وانا مأخوذ بالماء المتدفق من الينبوع العظيم كأنه السيل الهادر ، يدير الطواحين بيد ، ويسقي البساتين بالاخرى .

رأيتها : وأنا مفتون بظلال الاشجار الباسقة ، والافنان المتشابكة ، وطيوب النسائم الندية الباردة .

وانا طروب لرفات أجنحة الطيور المتسابقة بين الخمائل، من افنان الى افنان.. ولمناجاتهن بأغاريد سحرية ، متراوحة من نشوات الى نشوات .

أجنحة فراشة :

رأيتها : على موجه من الاثير ، تتعرج صاعدة هابطة ، في الوان زاهية غريبة ، تبدو كلمع الطيف حين تتكسر على منشور البلور الصافي ثم تغيب كأطياف البسمات على شفاه الحسان الوردية .

رأيتها : فتنة مجنحة ، في موكب فراشات جميلة منثورة ، ليس بينهن مثلها. لعلها ملكه جمال الفراشات ...

انظر : هذه نثارة فراشات بيضاء ناصعة كأنهن بسمات مفترة على شفاه الورود ، وحين تسكب الشمس عليهن عسجدها المتقد تستحيل دنانير طائرة وسرعان : ما تختطفها الاماني ، وتتبعها الايدي .

انظر : هذه مواكب فراشات من لازوردية الى حمراء الى صفراء الى سوداء... الى مواكب اخرى متسقة الالوان متآلفة ...

ها هن منطلقات حرائر ، بين افواف من شعب الشجر... اسيرات شباك حالمة لاعين الشاخصين .

---

(١) لما شاهدت وادي شبعا الرائع قلت للاخوان كانه وادي العقيق ، فسروا لاطلاق هذا الاسم عليه وقد نظم قصيدة في هذا المعنى قاضي زحله الشيخ محمد سويد .

ومهما يكن لهن من جمال وفتنة ، فانهن لن يزدن عـن الوصائف الحسناوات بجانب ملكه الجمال التي لولاها ما عرف سحر السحر وفتنة الفتنة .

اجنحـة فراشــة :

رأيتها : بعد مطلع الشمس منضمة الى زنبقة منيرة ـ وطبيعة الفراش الافتتان بالنور ـ وعلى جناحيهاالصغيرين الوان زاهية شتى في نقوش مسحورة ، كل نقشة تطل من دائرة كدائرة انسان العين ، منظومة في سلك من البلاتين متعرج على طرفي الجناحين ، وفي وسط كل دائرة نقطة حية ذات بريق عبقري خاطف .

الا ان هذين الجناحين فيالوانهما واشكالهما يبدوان متآلفين متقاربين متباعدين يحلقان بفكر المتأمل الى اسمى المثل العليا في ادراك ابداع الخالق ...

ولو حشد الف الف فنان عبقري عالم ومنحوا كل المواهب والامكانيات النابغة، واعدت لهم كل الظروف والوسائل، وطلب اليهم ان يصنعوا شبه هذين الجناحـين لهذه الفراشة الملكة الضاحكة الناعمة لعجزوا كل العجز .

ومع ذلك تسمع عنعبدة «سارتر» ان العوالم لا ابداع ولا جمال ولا خلب فيها، وان الانسان هو الذي يخلق الابداع والجمال والخلب .

مساكين هؤلاء ، كلما جن واحد منهم يجن بجنونه حشد من المغفلين .

يا هؤلاء : ان الابداع الذي يتجلى على جناحي هذه « الحشرة » ـ كما يسميها علماء الاحياء ـ عجب عجاب .

وايم الله ، ما رأيتني اثب من حوض الىحوض ، وانا مشبوب العواطف مستطير بشرا حيال كائن ما رأيتني حيال هذه الفراشة الحسناء ، انهـا في حركة مستمرة وطيـران دائـم .

كم تمنيت امساكها، وهي تنتقل من زهرة الى زهرة ، ولكن لم أفعل خشية أن افسد علي روعة منظرها المسحور الخـلاب ، وأن أفسد عليها حياتهـا الشاعـرة الطائـرة الفاتنــة .

اجنحـة فراشــة :

كنت أسمع انأدق التنسيقات الفنية فيوشي المآزر (١) والفساتين مقبس من أجنحـة الفراش ، ولولاهـا مـا عرف مهـرة الصناع الفنانين جاذبيـة تناسـب الالوان وروعـة افانين التخاريم ، وتهاويل اشكاله العبقرية ، فأحسب ذلك مبالغة ، ولكن حين شاهدت هذه الفراشة الحسناء الملكة هتفت من أعماق قلبي خاشعا : الهـي !!..

ان جميع ما اقتبسه ويقتبسه اخصائيو التجميل ، هو قطرة من بحر ما اودعت في جناحي هذه الفراشة من جمال وفن ، وانها لاحدى الآيات الناطقـة بجـلال قدرتـك .

سبحانك ربي ، ما أكثر آياتك الرائعة ، وما أكثر الغافلين عنهـا مـن هـذا « الحيـوان الناطق » الذي يدعى « الانسان » .

---

(١) المقصود هنا التنانير .

أعلام الجزيرة العربية

« هذه الكلمة مرفوعة الى رئاسة مجلس الوزراء »

ان لاعلام الجزيرة العربية ــ فوق مكانها المشهود في تاريخ العرب وآدابهم ونهضتهم الاجتماعية الكبرى الحديثة ــ مكانها الاسلامي المقدس ، ومكانها العلمي الاصيل في مجال الثقافة العالمية . فالكاتبون العصريون عن اعلام الجزيرة العربية: من قبائل واماكن وايام وشعراء ونبلاء وسبل واسواق وفرسان وما الى ذلك كثيرون جدا من العرب وسواهم .

وكل ما يتوخونه من دراستها هو كشف واقع المعرفة بها: نطقا وموقعا وأحداثا. وان سقوط الجماهير العربية دون ذلك هو هدم احاسيسهم القومية ومشاعرهم الاجتماعية المقدسة كأمة واحدة سواء الذين انطلقوا من الجزيرة العربية منذ أبعد الازمان كالبابليين والاشوريين والكنعانيين والبربر والهكوسوس وسواهم، او الذين غادروها رهبة من انهيار سد مأرب العظيم كالمناذرة اهل العراق والغساسنة اهل الشام ، او الذين انطلقوا منها في مواكب الاسلام وفتوحاته الواسعة . .

ولا اجد مبالغة في قول الذين يرون : ان ضياع صحيح اللغة العربية من مهبط الوحي في جزيرة العرب هو ضياع للعرب جميعا في مختلف اقطارهم ، وان العجمة واللكنة والالتواء والضعف الذي حل بألسنتهم ثم بمشاعرهم ثم بعروبتهم ثم بأعمالهم قد احدث اضرارا لا يزالون يعانون من اهوالها الفتاكة ما يعانون !!.

وان افدح هاتيك الاهوال وافتكها هو : جهلهم بما تشتمل عليه آيات القرآن المجيد من معجزات هائلة كبرى ، وامساكهم عن تأسيس المجامع والجامعات من اجل ذلك وعدم تقديم المساعدات والهبات الجزيلة للعلماء العاملين والادباء البارعين الذين اوقفوا حياتهم لحياتها ، وامكانياتهم لامكانياتها ، وخلودهم لخلودها . .

وقد تفاقم هذا الامر بين ابناء الجزيرة العربية بالذات ، سواء من كانوا من ابناء المملكة العربية السعودية أو من سواها ، حتى كنا نراهم الى عهد قريب كيف

اجل حياة لغاتها وانتشارها ، ولو امكنها ان تفرض ذلك بالعنف فلن تقصر كما كان الحال في الجزائر العربية قبل تحريرها .

ومهما يكن فجيل الجزيرة العربية الحديث لن يستطيع ان يتعرف الى اعلام بلاده التي يعايشها ، ولن تستقيم اسماؤها الاصيلة على لسانه وان كانت محفوظة في فقة الفقهاء وفي ادب الادباء ، وفي قواميس اللغة ـ اذا لم يفرض عليه ذلك فرضا في منهاج التربية والتعليم والتوظيف ،وفي مرافق الحياة كافة ..

واقامة المجمع اللغوي الى جانب الجامعة في العاصمة هو عمل حاسم من جانب الدولة لتقويم الالسنة والعقول وللقضاء على الالفاظ الدخيلة والمحرفة الشائعة في نشئنا المعاصر . ان ابناء الجزيرة القدماء كانوا يقيمون صوى – وهي معالم من الاحجار ـ للتعرف الى أماكن جزيرتهم . فما على ابنائها المحدثين الا ان يقيموها مرة ثانية ويحفروا عليها الاسماء العربية الصحيحة ، حتى اذا مر راجل أو مرت سيارة في أي مكان له تاريخ وجدوا الاسم المحفور ، وتعرفوا الى المكان عيانا . وبمثل هذه الوسيلة تعود صحة اللغة على الالسنة ، بكل سهولة ويسر ...

اما اذا ظل الحال على ما هي عليه الآن : تقدم في العلم ، وتخلف في اللغة فان الاسماء العربية الصحيحة سوف تختفي مدلولاتها من اكثر النواحي ، وسوف تنقطع الصلة بين أجيال الآباء والابناء. وكبير في الاثم أن يضيع الابناء أضخم تراث حضاري انساني مجيد سام تشمخ به الانوف وتزهو به الدنيا تراث لم يترك والد لولد في العالمين نظيره ..

وحين أهمل الابناء واجباتهم العملية تجاه ذلكم التراث الضخم الخالد اضطرب امرهم، وانخذلت عزائمهم ، وثقلت السنتهم العربية الفصيحة ، واختلفوا على انفسهم ،وخمد وقد ذكائهم المضروب به المثل . وأمسوا في حال نسأل الله عن مثلها العافية ، حال هي اسوأ الف مرة من حال اهل الجاهلية . حال انستهم انهم كانوا ساسة الدنيا وقادتها وهداتها المرشدين وعلماءها العباقرة ، وانستهم أنهم كانوا حملة مشاعل الحضارة والحرية والعدل والمساواة . وانستهم انهم كانوا اهل البلاغة واللسن والحكمة والخلق الكريم والآداب العالمية والمعارف المتفوقة ، وان لغتهم كانت سيدة لغات العالم على الاطلاق ، وان الله اختارها لتكون كنز وحية المعجز (القرآن المجيد) ، وانستهم انهم كانوا اهل البر والتقوى ، والاستقامة والخير ، وان خاتم رسل الله محمد بن عبدالله ـ صلوات الله وسلامه عليه هو من انفسهم، وانستهم ان آثارهم الخالدة الفذة ملء سمع الدنيا وبصرها ، وانها لا تزال خالدة تمجد اسمهم وتدوم به .

لقد ظل هذا التخلف المخيف شأنهم الى القرن الثاني عشر الهجري . اي الى ظهور العلامة المفكر الشيخ محمد عبدالوهاب الذي هاله ما شاهد ، واطلق صرخاته المجلجلة في صميم القبائل العربية . وطفق يوقظهم من سباتهم العميق

كانوا يمرون بأعلام مواطنهم الخالدة ذات الاخبار الرائعــة والاحداث الجليلة ولا يدرون من امرهــا شيئا ، بــل لا يحسنون النطق بهــا على وجهها الصحيح . حتى كــاد يصدق عليهم قول النابغــة الذبيانـــي :

فأستعجمت دار نعم ما تكلمنا   والدار لــو كلمتنا ذات اخبار

وقد كان الامر يهون لو لــم يستعجموا هم .

هذا عكاظ الذي هــو من اشهر اعلام الجزيرة العربية اختلف ادباؤها في تحديد موقعه ، فما بالك بما هو دونه ؟! :« اين دارة جلجل ؟ وايــن ذو المجاز ؟ واين يعفر ؟ والمقراط ؟ وسوى ذلك من آلاف الاعلام التي يستظهرها طالبو الادب ، ولا يعلمون عن مواقعها شيئا سوى أنها في جزيرة العرب ، فاذا جد الجد وقيل : حددوا مكانها قالوا في حيرة : هي في نجد او الحجاز او اليمامة ... »

ولماذا يشتط بنا القلم، وهذه الابواء التي يذكرهــا علمــاء السيرة ويقولون : ان آمنه ــ والدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ توفيت بها ، وانها اقرب الى المدينة منهــا الى مكــة . قد تعمد اديب حج في عهد القوافل ان يتعرف اليها ، وهو قــرب المدينــة المنورة فما استطاع ،فعاد حزينا لانه اكبر ان يجهل العرب المعاصرون اعــلام بلادهــم الى هــذا الحــد .

قد يكــون في هذا القول مبالغــة ، ولكــن لا انسى ان خصومة اشتعلت بيــن وصيف امي لمطوف وبعض الحجاج الاندونوسيين المثقفين القاصدين مكة من المدينة المنورة ، حين طلب اليهم الاحرام من « آبار علي » فرفضوا ذلك حين سمعوا الاســم وقالوا : نحــن لا نحرم الامن ذي الحليفة ، كما عين ذلك رسول الله صلى الله عليــه وسلم . فصرخ الوصيف وقال: هذا ميقات أهل المدينة المنورة ، وكل الحجاج الذين يمرون بهــا يحرمــون منهــا ، ولكنهم اصروا على رفضهم . وتفاقمت الخصومة بينهم وبينــه حتى كادت تصل الى تماسك الايدي لولا ان تداركهم اللــه بأحــد العلمــاء المواطنين الذي الم بمحور الخصومة فأقبل على الحجاج، وقال لهم بكل بشاشة وهدوء: أنتم على حق ، ان هذا المكــان هو « ذو الحليفة » وقد تبدل الاسم على السنة الناس، ولكنه لم يتبدل في صميم الشرع واللغــة .. وانتهى الامر .

واني اقول : « لو كــان اسم الميقات الاصيل مرفوعا لما حدث !! ولعل معترضا من وراء الاعطان يقول : ما دامت اسماء المواطــن العربية محفوظة على وجهها الصحيح في معاجم البلدان وفي قواميس اللغة فلا ضياع ولا خوف ..

واني اقول : لا فساد افسد من هذا القول ، فان كل الفاظ اللغات البائــدة ، لا تزال محفوظــة في قواميسهــا المهجورة في اصواء المكاتب العامة ، والحفظ يا هذا !! لا يكون بهذه الطريقة ، وانما يكــون بجريان الفاظ اللغــة علــى السنة الجماهيــر والدعاة والخطباء والمحاضرين ، وفي تداول اقلام الادباء والشعراء وفــي الصحف والمجلات ونوادي الادب . وفي دواوين الدولة والبيانات الرسمية والمراسلات العامة والخاصة ، الا ترى الامم الراقيــة تنفق النفقات الباهظة حتى لدى الامم الاخرى من

بالهوادة حينا ، وبالعنف والشوكة حينا ، وما زال الجهاد في ورثة رسالته متواصلا الى اليـوم من اجل العـزة والكرامة ، ومن اجل العودة الى العقيـدة الصحيحة ، واللغـة الصحيحـة ، وتوحيـد الكلمة ، ولم الشمل . وما زال التقدم الواعي السليم آخذا شعبة الصاعـد الى اعلى القمم .

وبما ان اقامة المجمع اللغوي العلمي في جزيرة العرب هو بمثابة العودة الـى ايحاء سوق عكاظ ـ والغايـة هي الغايـة ـ فاني ارفع طلب اقامته الى رئاسةمجلس الوزراء في الحكومة السعودية الجليلة مؤكدا طلب الكتاب المفكريـن الذين لهـم شرف السبق ، وقد كانت الاستجابة الكريمة . ولا شيء ايسر على أمتنا مـن اقامة مثل هذا المجمع ، وفي المواطنين الكرام افذاذ من العلماء والادباء ، فيهم الكفـاءة وزيـادة . . .

ومن العجب ان العرب وهم في جاهليتهم اقاموا سوق عكاظ ولم يروا انفسهم أصغـر من الروم او الفرس ، ونحن اليوم نعيش في مهبط الوحي ـ جزيرة العرب ـ وفـي قلوبنـا واعمالنـا القرآن المجيـد الذي هـو كنز العلوم والمعارف الصاعـد الى يوم القيامة ، ومع ذلك فاننا نتقاعس ولا نقيم مجمعا لغويا علميا .
اجل ، اني آسف لاننا نحط من كرامتنا ومقدرتنا الى هذا الحـد ، فنـرى أنفسنا صغارا حيال اخوتنا في العروبة والاسلام ، بلـه سواهم ، ومثل هذا الحكم ظلم ، وهو يحط من معنوياتنا ، ويوهن من عزائمنا . وقديما قيل : كل امة تضـع نفسها في المكان الذي ترى انها أهل له .

وهل يصدق عاقل ان جميع هؤلاء الادباء والعلماء الذين يعدون بالمئات في بلادنا، ويملأون الصحف والمجلات بكلماتهم المتعة وافكارهم النيرة ومعارفهـم الساميـة لا يوجد بينهم افراد يصلحون لانشاء مثل هذا .... كثير ، هذا كثير !!..

فطرة أبناء الجزيرة العربية

فطرة ابناء الجزيرة العربية ، كفطرة ارضها : تضم أروع القوتين المعنويــة والماديــة : فالقوة المعنوية تحسها في انفسهم ازهى نقاء من سمائها الصافية ، وفـي اخلاقهم اغلى قيمة من كنوزهــا الدفينة وفي السنتهم اقوى اندفاقا من سيلها العرم، وفي عزائمهم اشــد هــولا من اعاصيرها الكاسحة ..

والقوة المادية تجدها في اجسادهم صلبة البناء كصلابة صخورهــا وجنادلها ، وفي تجاليدهم التي لوحتها الشمس سمرة صافية كسمرة رمالها وصفائها ، وفـي نظراتهم عميقــة متقدة كعمق مفاوزها واتقادهــا ..

وان ابناء الجزيــرة لهم طوران :

طور هجعة وطور يقظة . وان هجعتهم لن تكــون الا اثر اعمال حضارية تطورية كبــرى . اي هم في يقظتهم يزلزلون الارض زلزالهــا بأعمالهــم المجيدة الضخمة ، وامجادهم العبقرية الفذة ، وماذا تقول في أعمال امة ، يهاجر من ابنائها القبيلــة والقبيلتــان ؟ فاذا الدنيــا غير الدنيا ، والحضارة غيــر الحضارة والانسان غيــر الانســـان ..

واذا شئت الدلائل فغص في اعماق التاريخ،وانظر هجرات البابليين والاشوريين والكنعانيين والكلدانيين والفينيقيين والبربر والهكسوس والمسلمين وأعمالهم ، اعمال مينا فــي مصر ، واعمال عبدالرحمــن الداخل في الاندلس ، فان اليقين يمثل فــي نفســك علــى احــب ما تهوى رسوخا واشراقا .

واليوم استيقظ ابناء الجزيرة العربية واهل المدنية الغربية غارقون الى آذانهم في وحول المادة المدمرة واحقادها الوحشية ذات الليان ، ودواهيها الجاثمــة وراء الاطمــاع ترقب ساعــة الانتقام .

استيقظ ابناء الجزيرة وظمأ اهل المدنية الغربية الى مباذل اهوائهــا العاريــة ومخازيها المفضوحة شاعل طاغ ولن يروي !!. واني يروي !!؟ وهم يرفضون الارتداد عنهــا بعناد واستهتار وان تيقنوا التلف بصواعق الذرة والهيدروجين ..

واذا تفاقم طغيان الاهواء الى حــد السخرية بالموت ومــا وراء الموت فان اربابه حتمــا يطرحــون من محراب السماء ، ويسلخون من هدى الله وينزعون من سلطــان الارادة الفاضلــة .

والذي جعلهم يركبون رؤوسهم الى جنون هذا الاصرار المادي الجاحد هواغترار علمائهم بمظاهر القوة المادية لما انفلقت الذرة في أيديهم ، ومبادرتهم الــى صنــع المدمرات التي تحمل الابادة الشاملــة للحياة والاحياء بمارج من قواهــا الخارقــة للعـــادة .

وهكذا استيقظ ابناء الجزيرة العربية وعبادة المادة مستحكمـة في الشرائع الغربية وفي سجاياها وآدابها ، ومسيطرة علـى توجيهاتها التربوية فـي صميم المدنيـة الغربيـة .

ومن جراء ذلك انطمست معالم الروح وقناعتهـا وايثارهـا وايمانها ، ومن جراء ذلك انشطرت دول الذرة الى معسكرين حاقدين مدرعين بأفدح المدمرات الذريـة ، صاليين حذر فجأة الساعة المجنونة الباطشة على الرغم من قيـام مؤتمـرات السلام لفرض ابديـة الائتمـان والاطمئنـان .

وما دام ارباب هذه المدنية الغربيـة يؤمنون بالاثرة ويعملون لها جاهدين ويرونها المتأصلـة الحاكمـة في احاسيسهم وبواعث اعمالهم ، ويكفرون بالايثار ويرونه اجنبيا عنهـم جاءت بـه الاساطير بأسم السماء فهيهات ان تنحدر مودة السلام من السنتهـم الى قلوبهـم وتتحقق اعمالـه بينهم بثقـة ثابتة تدوم .

انى تتحقق !!؟ والاثرة بنت المادة البكر ، ومن مواليدهـا : النوايا الحاقـدة المتحفزة والبسمات المعسولة المسمومة وكل مبتكرات الشر . والايثار هو ابن الروح البكر ومن مواليـده : المودات الجامعة المتسامحة والذود عن الحريـات المغتصبـة وبتر ايـدي الطغـاة . . .

ومهما يكن فعقيدة المدنية الغربية المستعصية في نظـر المصلحين الانسانيين هي الايمـان بالاثره والكفر بالايثار ، وهي عقدة نفسية بناؤهـا من اعمال الغرائـز المطلقة التربية والتعليم الماديين ، وهي جشع النزوات وترات الشهوات . وحـل عيـوب المدنيـة الغربيـة يقتضي هدم البنـاء الحضاري الغربـي المشيد بلبنات الاثرة وبناؤه من جديد على اسس الايثار ، وهذا الهدم والبناء لن يتأتـى الا بنضال جيل حضاري جديد يكون الايمان بالايثار من خصائص فطرته .

وهنا يأتي دور ابناء الجزيرة العربية ، ومن فطرتهم التحلي بالايثار والتخلي عن الاثره ، ومن هاتين الناحيتين يتم الاصلاح الجديد بقلب المدنية الغربيـة رأسـا علـى عقـب .

ومن اجل ذلك اخذ مفكرو الامم يتجهون الى الجزيرة العربية ، الى الموطن الذي اختاره الله مهبطـا لرسالته الاصلاحيـة الابدية ومنطلقا لهـا لتبليغهـا الـى الانسانيـة جمعـاء .

وابناء الجزيرة العربية هم الذيـن قادوا العالم القديم بوحي الله وبمثله العليـا وبحضارة الايثار ، وهم المدعوون لقيادته ، للمرة الثانية بكل ذلك . « ثلة من الاوليـن وثلة من الاخرين» وفي ذلك يقول امام دار الهجرة مالك بن انس : ـ «لا يصلح آخر هذه الامة الا بمـا صلح به اولهـا » .

والواقع ان فطرة ابناء الجزيرة اذا حللتها الفيتها الذهب الوهاج تشـع بالنـور والهدى . هذا اذا كـان من ابنـاء الاصلاء ، لان تربتهـا لا تنبت الا الاطهـار البررة الكرام والابطال الافذاذ .

والتاريخ اكبر شاهد . فلا حاجـة لي الى سرد البراهين ، وهي قائمة كأنهـا الشمس في رائعة النهار بل هي اسطع واضوأ واشرق .

يوم حراء

« في يوم ١٥ شوال من كل عام تفتح المعاهد العلمية ، في وطن العروبة والاسلام « الام » ، فهــو يوم القراءة والقلم والعلم والمعلــم .

ولمناسبة هذا اليوم، يومحراء العظيم الذيعين الله فيه المعلم الاعظمخاتم رسله محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ لتثقيف الانسانية ، وهدايتها « بالقرآن المجيــد » كانت هذه التسمية ، وقيلت هــذه الكلمــة » .

يوم حراء هــو اليوم الذي هبط فيه روح القدس على خاتم رسل الله يحمل اليه وحــي الله ، :« اقرأ بأسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لــم يعلم » .

هو يوم القراءة ، يوم القلم ، يوم العلم والمعلم .

وهو يوم دارت حوله الارض ، فاذا هي سواها ، واذا ناسها سواهــم . وكيف تظل ــ عين ما كانت وكانــوا ــ وقد انسكبت السمــاء علــى الانسان المصطفى ..

اضــواء ايمـــان ،
وامجــاد اقـــلام ،
وتجــدد علـــــوم ،
وسمــو اعمـــال ،
ومكــارم اخـــلاق ،
وتهذيب انسانيــة ،
ومثــل تشريـــع ،
وقسطاس عـــدل ،
وصدق استقامــة ،
واخــلاص نيـــة ،

وصفـاء سريـرة ،
وعفـاف انفس ،
وتنـافس مـودة ،
وبـذل ايـدي ،
وشرف بطولـة ،
وعروبـة لسـان ،
وحكمـة قـول ،
وعبقريـة وعـي ،

هذا حق يا حراء ، فهل يمكن ـ بعد نزول السماء الى الارض : وحيا ابديا معجزا ـ ان يقوم اصلاح تقدمي خير ويستمر ، وعدالة انسانية كريمة وتستقيم ، وأمجاد علميـة صحيحة وتتفوق الا على هدي آيات الله وخطى توجيهاته ؟ !!! ياحـراء

هل شاهد العلماء ان نورا نزل من السماء صافيا وهاجا ، ومـا يزال صافيـا وهاجا كمـا نزل الا نـورك ؟!!!

وهل عرفوا اصلاحات حية خالدة تملأ الدنيا ، وتوقدها شعـلات حضارة صاعدة حرة الا اصلاحاتـك ؟!

وهل رأوا انسانا عالميا فذا ومصلحا اجتماعيا كبيرا وقائدا واعيا بصيرا واسوة حسنة ابدية يفخـر به الاكبار الانساني العام الدائم الا انسانك العظيم « محمد بـن عبدالله » الذي ارتفع بالعقول البشرية ، عن عبادة إي كائن من الكائنات : طاقـة ومـادة ، ومـا الوثنيـة الا عبـادة الطاقـة او المـادة او همـا معـا مـن دون الله بدعوى انها هي الله «تعالى الله عن ذلك..» وما الاشراك الا اشراك «الطاقة او المادة او همامعـا » مع عبادة الخالق العظيم جل وعز ...

فأنت ياحراء : في عالم الاديـان المحراب المقدس المتألق بخاتم الوحي الالهي « القرآن المجيد » ، وانت المصحح لكل اخطاء الفكر والعقيدة والعبادة على تداول الاجيـال ومـدى استمرارهـا . وانت المحارب المنتصر على كل اباطيـل الوثنيـة والاشراك واساطيرهمـا .. وانت المجلي دائمـا .. لان كتاب الله حجتك الناطقة .

وانت ياحـراء : في العالم الانساني قلب الانسانية المهذب السامي الذي يمد سائر اعضائهـا بدفق المودة البريئة والخير المطلق والتسامح الصحيح ونور الحـق المبين ومثله العليا والتشريع العالي .

وانت يا حـراء : في العالم الاسلامي رمز وحدته ومنار عزته وحلية تاريخه وعصمة اهوائه وجمال شمائله وشوكة بأسه ... فان الت به الملمات ، ودست بين دوله الاحقاد والفتن والشرور لتعصف به وتـودي ، نهضت به آيـات قدسـك

ومثاليـة شريعتك ووعي ابطالك ، فيعـود الشمل كأشـد ما يكـون تماسكا ، واقوى ما يكـون اعتزازا ، وارفع مـا يكـون انتصارا .

وهكذا ـ ياحراء ـ تحول معجزات كتابك الابدية المتجددة ، كل حشرجة موت تنزل بالعالم الاسلامي الى استهلالة حياة صارخة وكل ظلمة ليل يدلهم الـى فجـر مبـارك جديـد .

وانت يا حـراء : في دنيا العروبة مثار الاخلاص ومنال الاماني ووقد البطولات والتضحيات الماجدة وينبوع المودات الاجتماعية الكريمة وباعث التفاهم والتسامح .

ومهمـا اشتد الخلف بين ابنائك واحتدم الجدل فان نسمات ظلالك السماوية النديـة المقدسة ترطب القلوب ، وتؤنس النفوس ، وتصفي النوايا ، وتوحـد الاهـداف ..

وما تعاطى ابناؤك كؤوس شرابك السماوي المقدس الصافي الذي لا غول فيه ولا اثم الا تصافوا وتصافحوا وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ، ومـا جفوه واعرضوا عنه الا ضلـوا واضلوا ، وغرقـوا في لجج الاهواء العاصفة المهلكة ...

غرقوا حيث لا يصاح بطاف ... او غريق ، ولا يصاخ لحس

انه حراء ـ يا عرب ـ وانه نفحة ود مقدسة بينكم ، ونسمة خير لكم ، وشعلة هداية وسداد رأي ، وتوجيه حكمة ونبل فضيلة ... فهلم اليه هلم .

ولئن شرقت او غربت بكـم المبادىء الغريبة الخاسرة فهو لكم وانتم له ، وليس لكم سواه من وزر واق ، اذا ازفت الآزفة :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ... يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

يا شباب حـراء : اذكروا الفجـر الذي هو عيد الاعياد وزينة الزينات ونـور الانوار الفجـر الذي انفجرت فيه اولى دفقات وحي الله الـذي مـلأ الدنيـا اعجازا صارخا متحديا دون قبل او بعد ، الفجر الذي اتـى على ظلمـات الوثنيـة والاشراك وعلى طغمـة الملحدين الكفره الفجرة . الفجر الذي جلجل فيه صوت الداعية الاول محمد رسول الله ـ صلوات اللـه وسلامه عليه ـ ينادي بالايمـان . الفجر الذي انطلق فيه الصحابة الهداة المصلحـون « اشباه الملائكة » يبلغـون دعوة الله ، الـى الانسانية في انسانيته ، وما كان السيف الا لمن قارع بالسيف .

قالوا غزوت ، ورسل الله ما بعثوا ... لقتل نفس ولا جاؤوا لسفك دم
جهل وتضليـل احـلام وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لله انت يا حـراء : ان الله اختارك لتكـون محراب تحنث رسله الكرام ومهبط وحيه ، فأضواؤك اضواؤه ومناسكك مناسكه ، وستظل مهوى افئدة الشعـوب يطيرون اليك من شتى الافاق ابابيل محتشدة وهم يلبون : « لبيك اللهم لبيك » .

ها هو البيت الحرام ينظر اليك ، كلمـا ازدهت اركانه ، وهللـت باحتشاد

الطائفين والطائفات ، وهم متراصون حلقات حلقات كأسورة اللجين ينظر اليك اكبارا لذكرى ايامك السعيدة يوم ضم روح القدس صاحبك العظيم مرة وثانية وثالثة ، يرمز لامكان الانسانية ان تصعد الى طهر الملائكة اذا هي اوفت كل ضمة حقها بفهم غير زائغ ولا متخلف .

الاولى : حقها ان تتلقى الانسانية امانة الوحي بالعزائم المتبتلة الطاهرة كما تلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثانية : حقها ان تؤمن بوحي الله الايمان الصادق العميق المدعم بمنطق الواقع والعلم والدرس . الذي هو منطق الوحي .

الثالثة : ان تقرن الايمان الصادق بالعمل الجاد ، اي تؤثر اصلاحات مثله العليا السماوية على كل الاصلاحات الاجنبية الملوثة بوحول المادة الطاغية الحاقدة ايثارا عمليا متحمسا لا يخالطه تقصير أو تساهل « في حدود الامكان » .

وها هي عرفات الممتدة في انفساح العينين تحييك خيامها البيضاء المرتفعة المتزاحمة كأنها الامواج الزاخرة في بحر لجي من الماس تنظر اليك بجلال الذكرى الضارعة الاواهة ، ومدامعها تسيل كسيل لعرم أسى ليوم ودع فيها صاحبك العظيم الملأ المحتشد حياله وداعه الاخير بقوله : « لعلي لا القاكم بعد عامي هذا في يومي هذا في موقفي هذا ... » .

وفي هذا الموقف المزدهي بخير الصحب الكرام ، افهمهم ان الارض قد استدارت كيوم خلقها الله، اي طرحت كل اساطيرها واباطيلها ورعوناتها لتكون اهلا لعصر العلم والحق والواقع عصر الهداية والنور والخلق الكريم عصر محمد بن عبد الله الذي ارسل لاهل الارض بكتاب الخالق العظيم رحمة بهم واسعادا لهم « سرمدا » .

وها هي زمزم المباركة تفيض بين يديك بكل ذكرياتها ، ابتهالات ، وبكل بركانها سلسلا ، وبكل اشواقها ظامئين وظامئات ، يعبونها : « صفاء نور ، ونبل رجاء، وطمأنينة سلام ، وهناءة عيش وعافية ابدان ، تفيض « فيضانها امس » .

يا شباب حراء : تدفق الازل من اعماق هذا الغار ، وعب عبابه الصاخب اقداسا أبديه وانوارا سرمدية ، ونهضت القارات الخمس تفتح عقولها وقلوبها وعواطفها، حقولا خصبة . غراسها خير غراس ، وثمارها الهدى والاخلاق والعلم والحق والتسامح والايثار .

انه وحي الله ، انزله على القلب الانساني الكبير الخفاق بالايمان بالهداية بحماسة التضحية « قلب محمد بن عبد الله ــ صلوات الله وسلامه عليه » انزله الله ليظل معجزة معجزات العلم ترعاه عين العناية وتحفظه يد القدرة الى اليوم الذي تكور فيه الشمس وتنكدر النجوم ، وتطوى السموات طي السجل للكتب .

يكفيه اعجازا ابديا حاصدا ان حقائق الوجود تبدو فيه جديدة ، تسبق معارف الاجيال المتتابعة ، وتتلقاه بالتهليل والتكبير ، لان حقائقه نفس الواقع الذي لا يتغير ولا يتبدل.

« وهل يكون الواقع سوى نفسه » . وان تراخى في كشفه الزمان . الا ترون

ان الذي يطلب معجزات لخاتم رسل الله سوى ما في القرآن المجيد من معجزات لا تتناهى ولن تتناهى «لا بد ان يكون سطحيا مغرورا ان لم يكن موثوقا باغلال التقاليد والوراثات والتربيات ، او مأجورا لتأييد الجهل على العلم والباطل على الحق والشر على الخير . « ولن يفعل ذلك انسان يملك ضمير الانسان » !!

يا شباب حراء : احفظوا القرآن المجيد ايمانا وعملا ودرسا واستظهارا ، ولا أقول « حافظوا عليه » فالقرآن المجيد حافظه الذي انزله : « انا نحن نزلنا الذكر وانا لـه لحافظون .. » .

ولكن نحفظه لنحفظ أنفسنا به ولا نطرد من الوجود ويأتي الله بقوم سوانا احياء، هم اهل ليكون وحيه العظيم دستور شرائعهم العملية ، وحكومة خلافاتهم ، وقسطاس احكامهم ومحل ثقتهم الصحيحة التي لا مواربه فيها ولا دجل، «ولا يكونوا امثالنا..!! « احفظوه يا شباب حرا ، ولا تغرنكم مظاهر المادة الكافرة الملحدة في العالم ، فكم كانت « كان واسماؤها » وزالت وظل المكان ، ويوم المكان آت « ولكل اجل كتاب » .

« انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ، وأنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا » .

تتخلف الآثار عن أصحابها — حينا ويدركها الفناء فتتبع

يا شباب حراء : هل كانت لكم كل تلك المعارف المختلفة ، والاسفار الرائعة من مخطوطات وسواها تلك التي تطفح بها دور الكتب في العالم المتحضر ، ويحج اليها العلماء من كل ملة وجنس زرافات زرافات خشعا « للاستفادة والافادة » لولا وحي الله المنزل على صاحب حراء ؟

وهل كان لشريعتكم كل هذا التأثير الحضاري الفعال المجدد لشرائع العالم ؟... وهل كان لها كل هذه التطورات التقديمية الانسانية الصاعدة لدى كل امة من الامم قديما وحديثا لولاه ؟

وهل كانت جزيرتكم العربية قبلة صلاة ومحراب ضراعة ومثابة حج وبلوغ وسيلة ومنار هداية ، لكل بلاد العالم لولاه ؟

يا شباب حراء : اذكروا ان العربية التي تفاخرون بها لدات في الارض قد اكل الدهر عليهن وشرب . اما لغتكم فقد اكلت الدهر وشربته ، وتمثلته حياة خالدة ، وقوة عاصفة ، وحكمة بالغة . اما تدرون ان مجد ذلك كله يعود لوحي الله المعجز الذي جلجل به غار حراء داويا بصوت روح القدس .

اجل لولا وحي الله الحق لما كان للغتكم التي تفتدونها كل هذا الخلود الازلي الوطيد الذي يحصد اللغات حصدا ، ولم ينقذها من الزوال شوكة دولها الكبرى المتفوقة وما تقدمه لخلودها من مجامع ومعاهد ورجال وعتاد ومنح طائلة حتى اصبح متعارفا لدى الامم كافة ..

ان لغة العرب ابدية لا تزول وان زالت الارض ، وهل يزول كلام الله ؟! ولو لا تأكد خلود لغتكم السرمدي لما قررت هيئة الامم ان تسجل بها وثائقها الرسمية التي تضمن عليها من التغيير والتبديل ثم الزوال ...

أجل أنها شاهدت كيف هوت لداتها اللغات الحية هوي الشهب، وعادت خيالات

طائرة حتى في صميم عواصمها . وكيف يرتد عن لغتكم الدهر خاسئا مدحورا كلما حاول ان ينال من قدسها ادنى منال : « يا الهي انت وحدك الحافظ » .

يا شباب حراء : لا تخالوا ان سلطانكم، هو ما قدم للغتكم كل هذا الخلود الحي، ولا تحسبوا ان نضالكم من دونها وبذلكم من اجلها هو الذي اسهد الليالي ، وقرح المآقي لدراستها في كل تلك الاجنحة ، من كل تلك الجامعات والمجامع ، شرقا وغربا.

ولكن أزلية معجزات القرآن الوقادة التي تشع اضواء مبصرة نافذة ، تخترق أعين العميان الكبار الحاقدين على العروبة والاسلام ظلما هي التي فعلت ذلك .

ايها الشباب : انكم تذكرون الليالي الخاشعة المتبتلة ذوات العدد التي كان صاحب حراء يقضيها في حراء وهو ضائق عقلا وقلبا بالوثنية والوثنيين والشرك والمشركين ، ضائق بمهزلة صلاتهم التي يقيمونها حول البيت مكاء وتصديه . ضائق بصغارهم المستكبر وضآلة امانيهم الصبيانية اللعوب ونزواتهم العاتية المستعمرة التي تأكل اجسادهم ، واموالهم ، واوقاتهم ، ومصالح مستقبلهم كما تأكل النار الحطب، ضائق بقلوبهم التي تعبث الاساطير بها عبث الهواء بالهباء، وتطير بها الى ترهات مغاور الجان وكهوف المردة ، ضائق بعقولهم التي تشف بها تقاليدهم الرعناء وتوثقها اغلالها الحديدية التي تأكل اللحم والعظم وتحول دون انطلاقهم الى كواكب الخضراء ليقبسوا من اضوائها ما يقبسون ، ويطلوا من اعلى ابراجها الى الحياة بنور البصيرة المتيقظة والتفكير الباحث الناقد والحماسة النيرة المناضلة من أجل العلم والحق والخير والانسانية .

انكم تذكرونها وتذكرون أنه كان صلى الله عليه وسلم يأوى اليه وهو من شدة اساه على قومه تكاد نفسه تذهب عليهم حسرات . وكيف لا يأسى عليهم وهو يشاهد احقاد نفوسهم الصغيرة تتفاقم نوائبها ، وتتحاجز على شعاب الجبال ومخارم الاودية وملتويات السبل ومتاهات المفاوز ، حتى تكاد تأتي على اخرهم . وكم كان يفكر في اصلاحهم ، وفي هداهم ، وفي نجاتهم من المهالك .. ولكن انى له ذلك ، والسبل تضل به متاهات نعراتهم القبلية المتحاجزة واوضاعهم الصغيرة الحقيرة التي اقضت مضجعه وانقضت ظهره ...

وظل هذا حاله ، وهو متبتل ضارع الى ربه ، يطلب منه العون والانقاذ لانه يعلم ان الهدى هدى الله ، ومن لم يسعفه هدى الله ويمده بالتأييد والتوفيق ويوجهه اذا تشعبت في وجهه الطرق فلا يتمكن من هداية نفسه ، بله سواه من الخلق .

ايها الشباب ان صاحب حراء ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ هو معلم الانسانية الاكبر. وهو اول من فتح مدرسة في جزيرتكم واول من جعل لكل عشرة طلاب معلما (١) وهو الذي انزل عليه قول الله عز وجل « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وهو الذي جعل موطنكم قبله العلم والعلماء ، وقطب رحى السياسة العالمية . وهو الذي افهمكم ان العلم ليس ما يقام في الخارج فحسب من جمال في العمران وبراعة في الصناعات ورفاهية في المعايش ونعومة في الالسن وطلاقة في الاوجه وانما العلم في ما تحفل به المجموعة النفسية من سعة في المعرفة وحرية

---

(١) كان ذلك على اثر انتصاره في معركة بدر الكبرى (راجع سيرة ابن هشام) .

الفكر وانسانية العاطفة وطهر الغريزة وفي الذكاء والوعي ومعرفة مآتي الايام ومصايرها ، والاصرار على عمل ما يحسن وتجنب ما لا يحسن ، والا فأي فائدة في الجمال الخارجي اذا ظل القبح يملأ النفس ، وكان جمال الخارج لا يدل على ما هو اجمل منه في الداخل ، اذن فالقبح لا بد ان يطغى على جمال الظاهر ويأتي عليه في النهاية . وهكذا يحل الفساد محل الصلاح والشر محل الخير والحرب محل السلم والخراب محل العمران ..

يا شباب حراء : ما اعظم يوم حراء الذي تفتح فيه معاهدكم وجامعاتكم ، ابوابها لكم ، وقد وضعت كل آمالها فيكم ، عزة وكرامة وادبا وعلما ومجدا صناعيا موفقا ، وها أنتم أولاء تدخلونها وهممكم أشد من الدهر صولة ، ونواياكم أصفى من الماس صفاء وعزائمكم انفذ من الحراب . وارداتكم امضى من بواتر الفولاذ .

وهل يوم حراء سوى اليوم الذي فتحت السماء ابوابها لنزول ملاك الوحي جبريل ، على صاحب حراء المتحنث الخاشع في رواقه وناداه :

« اقرأ ... »

هي كلمة الله ، كلمة الازل ، كلمة العلم ، كلمة الحق والواقع .

وهل تكون للانسانية معاهد للتعليم ، وهل تكون لها معارف نامية متجددة ، وحضارة تقدمية صاعدة اذا هي لم تقرأ . اي اذا هي لم تنفذ الامر الالهي بكل معانيه الواسعة على الامة بحذافيرها ؟ بنين وبنات . واذا هي لم تذعن له بشوق واخلاص لما يشتمل عليه من عزة وكرامة في الدارين ..

والقراءة اذا لم تكن باسم الله خلت من نفحات السماء وبركات الاستقامة ، وطمأنينة السلامة وسعادة الهداية . ولو ان القراءة كانت في العالم كله باسم الله لما ابتلى البشر بمهازل الشهوات ومباذلها وطغيان المادة وكبريائها . وحب النفس واطماعها .

وهل كان الانسان ينسى انه مخلوق من علق ، وان بدايته كنهايته مهانة في مهانة ، (١) وهل كان يؤذي ويتكبر ، ويطمع ويجمع ولا يشبع . ويختلق التهم ، ويفتري البهتان ، ويمعن في مكايد الباطل لو انه وعى طليعة وحي الله بعض وعي رسول الله ...

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق » ..

وهل يتصور ذو مسكه من عقل ، ان امة تنتظمها اكبر نعمة سماوية وهي نعمة الايمان بالوحي الآمر بالقراءة ، بصورة حاسمة تتقدم عليها أمة في الارض : « وتكرار الامر مغزاه توكيده » ونعمة فرض القراءة تنطوي على نعمة التجدد العلمي ، ومعطياته لا تنتهي ، وآلة التجدد العلمي القلم وامجاد القلم لا تحصى ، اذ به تتجدد العلوم ، وبه تعلم الانسانية في حاضرها ما لم تكن تعلمه في ماضيها وبه تتهذب وتتحضر وتسمو : « الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

وفي يوم حراء ، تخمد نزوات الشباب في الشباب ، وتسترد العقول نشاطها بعد الاستجمام ، وتصافح القلوب القلوب بصفو الوداد وعناق الاحباب للاحباب.

---

(١) وفي ذلك يقول علي بن ابي طالب : « اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة » .

وتستيقظ امنيات التفوق الثقافي ، وحب العلم للعلم ، وتنافس الاسفار للاسفار، والمطامح للمطامح ، والامتياز للامتياز .

والدولة من ورائهم تحيطهم جميعا بمودتها وسهرها وعنايتها ، وتضمهم الى صدرها حنانا ورضا بما يصنعون . وتنفق في سبيل تثقيفهم النفقات الطائلة بسخاء وطيب نفس لانها ترجو بهم ان تكون سيدة دول العالم كما كانت بالامس . وتحقيق هذا يسير على هممهم العالية التي هي اقتباسات من همم صاحب حراء ، الذي يقول في وصفها شاعر طيبة المباركة حسان بن ثابت .

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى اجل من الدهر

ياشباب حراء انكم تذكرون صاحب حراء، حين كان مثلكم: في فراهة الشباب، ونضرة العمر . تقله جزيرتكم هذه كما تقلكم ، وتظله سماؤها كما تظلكم ، فأنتم منه، وهو منكم ، وقد جعله الله رسولا عالميا ، ختم به رسالات السماء ، وانزل عليه المعجز المشتمل على كل الهداية والايمان ، وعلى كل الاخذ بالعلم والحق ، وعلى كل اصول التشريع ، وعصمه من النقائض قبل الرسالة ، وبعدها ، لتكون حياته اسوة حسنة للانسانية جمعاء : شابا وكهلا وشيخا الى يوم البعث المشهود . وجعله من انفسهم عربيا ، وانزل عليه قرآنا عربيا : لتكونوا انتم « المثل الاعلى » : لشباب الانسانية والاسلام والعروبة في صدق الاقتداء به ، وصدق الاخذ عنه ، وصدق الامتثال لما جاء به من الوحي « على تداول الحقب وتتابع الاجيال » ، ولتحملوا انتم الامانة العظمى التي حملها ، وتبذلوا في سبيلها ما بذل وتبلغوها للناس كما بلغها .

يا شباب حراء فهل تعجبون بعد هذا اذا كان يوم فتح معاهدكم وجامعاتكم هو يوم حراء العظيم « حقا وصدقا » .

اما تتلقاكم معاهدكم وجامعاتكم في هذا اليوم بكل اشواقها ، وتحتضنكم كما تحتضن الام الرؤوم اولادها لذا عادوا اليها اثر سفر طويل!! اما تسرحون وتمرحون في ساحاتها ، وتغشيكم حجراتها المجيدة بحنان ورعاية ومودة كما غشى صاحب حراء آله الاطهار بعباءته !! الا انكم انسال العروبة في مهدها الاول: فحب الفصاحة والبيان فطركم ، وبذل الجهد للتعمق في المعرفة وتوسيع الاطلاع قمة امانيكم . وها انتم اولاء تنتقلون من معهد الى معهد ، ومن بلد الى بلد من اجل ذلك ، وهذه شمائل الجزيرة العربية الاصيلة الكريمة معتقة في صميم وراثاتكم ، فهي منهل تفكيركم ، وغراس عواطفكم . وآية ذلك هذا الانسجام العاطفي السامي الذي يهز انفسكم، وهذه المودة الصافية التي تملأ قلوبكم ، وتشرق في اوجهكم ، وهذه العناية المحتفية التي تستولي عليكم كلما ابصرتم مواطنا من مواطنيكم : سواء اكان من ابناء الرياض او مكة، او جازان او الظهران ... او سوى ذلك ... وسواء اكان مقيما ام مغتربا . فأعمالكم هذه هي اعمال تلامذة حراء ، منذ اليوم الذي كان يثقفهم فيه ، صاحب حراء ، في دار الارقم بن ابي الارقم .

ها انتم اولاء ، تخشعون خشوعهم ، وتستغرقون استغراقهم ، كلما تليت عليكم آيات وحي الله التي هي تقوم الانسانية :

على العزة والشوكة ،

وعلى العلم والادب
وعلى المودة والاخاء
وعلى الايثار والتسامح
وعلى القناعة والعفاف
وعلى الكفاية والعدل
وعلى الرضا ومكارم الاخلاق

وهي قوام لغتكم جعلها الله : لسانا خالدا في فم الدهر ، واغاريد مسحورة على مسمعه ، وروحا حافظة تقصم ظهور اعدائها ، وتذيقهم الموت مرتين :
مرة بشرخ شبابها المتجدد
ومرة بانتصارها في كل معركة

وهي لغة الوحي المعجز ، ينابيعها دفاقة متسلسلة من قلب الابد ، انها هبة السماء لاهل الارض ، ولغة الارواح للبشر ، انها وقد دماء آبائكم الخالدين التي تتطرد في شرايينكم على تداول الازمان عبقرية نابهة في عقولكم ، وايمانا مكينا في قلوبكم ، وبسالة صلدة في عزائمكم ، واشرطة واوسمة في صدوركم .

يا شباب حراء ما استطاع ابو بكر ان يقيم دولة الخلفاء الراشدين على دعائم المسمحة والعلم الصحيح ، انه يوم مثل وتشريع واقدام وعزم واعتزاز وقوة وامجاد تبتدع امجادا .

واي شاب يفهم جلال يوم حراء لا يحس بأشواق المعرفة تتقد بين جنبيه وهواتف الخلود تغرد في اذنيه .

يا شباب حراء ما استطاع ابو بكر ان يقيم دولة الخلفاء الراشدين ، على دعائم وحي الله ، ويقضي على الردة والمرتدين في بلادكم هذه العزيزة : لانه تخرج من كلية حربية ، او سياسية بل لانه تخرج على يد صاحب حراء المعلم العظيم محمد بن عبد الله . صلى الله عليه وسلم .

ولا استطاع عمر بن الخطاب انيكون الفاتح الكبير، والحاكم المثالي العدل والمفكر الاجتماعي الملهم لانه تخرج من احدى جامعات رومه او اثينه او الاسكندرية ... بل لانه تخرج من جامعة الارقم بن ابي الارقم على يد صاحب حراء ...

وما استطاع عثمان بن عفان ، ان يهيء شؤون الدولة من الوجهة الدستورية ، في البلاد المفتوحة على مرجع اصول التشريع ـ القرآن المجيد ـ ويبعث به في الامصار ، ولا استطاع ان يكبت غريزة حب التملك ويبذل جزيل امواله في تجهيز جيش العسرة ومعونة الطبقة الفقيرة، والنهوض بها الى سعادة العيش وتأمين المرافق: لانه كان استاذ جامعة او فيلسوف مجتمع بل لانه كان من تلامذة صاحب حراء ...

وما استطاع علي بن ابي طالب ان يكون ارفع قمم المعرفة في فجر الاسلام ، واغزر ينابيع البلاغة التي لا تفيض . ولا استطاع ان يكون حلالا للمعضلات ، « عالم تشريع» ، غلابا في المعارك ، « حصن بطولة » لانه تمرس بالتشريع والقيادات في كليات الحقوق والحرب خارج الجزيرة العربية بل لانه نشأ في منزل سيد الابطال، وتثقف علي يديه في مواقف التشريع والقتال .

ولا تمكن خالد بن الوليد ان يكون القائد المحنك القادر ، ولا الفاتح المظفر الصالح . ولا كان ابن العاص داهية سواس العرب اللبق الجذاب الساحر . ولا كان زيد انبغ كتبة الوحي ولا الفرضي البارع الحجة . ولا امتاز سعد وسعيد وطلحة والزبير بن العوام وحمزة بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف ببشرى نيل سعادة العالم الثاني ، الا لانهم احسنوا الاسوة بصاحب حراء .

وكم كان لصاحب حراء من تلامذة كثر سوى هؤلاء ، كل له احسانه وتفوقه وميزته ...

يا شباب حراء يا ورثة الامجاد ، يا اعلام الجزيرة العربية في غدها المشرق الجذاب .. ويا جنودها الابطال اذا جد الجد ، ونادى المنادي « ولات حين مناص » . ويا بناة الحضارة الاسلامية المجيدة ، ويا حملة مشاعل الحرية ، والاخاء الانساني العام ..

يا شباب ، يا اذكياء ، يا طامحون

اولئك هم اباؤكم واولئك هم اسوتكم ، في كل ما تأخذون ، او تدعون . فموازينكم في تشييد حضارتكم الحديثة موازينهم ، وسبيلكم اليها سبيلهم . ومثلكم العليا مثلهم ، ولا صلاح لانفسكم الا بما اصلحوا به انفسهم ، وقد حكموا الدنيا بايمانهم العملي الصادق ، وبتصميم اراداتهم الحاسمة ، وببسالتهم المضحية المنتصرة ، وبقناعتهم بالقليل وانفاقهم الكثير ، وبتسامحهم المثالي المشهور ، وما حكموها الا بصدق ائتسائهم بأعمال صاحب حراء محمد بن عبد الله .

يا شباب حراء انتم عرب والعرب بواسل لا يعرفون القنوط ، وانتم مسلمون والمسلمون لا يقنطون لانهم يعلمون ان القنوط ضلال : « قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » .

يا شباب حراء : انتم تعلمون ان الحياة الانسانية سحب ما طرة ، يخلف بعضها بعضا ، وقد استعرضت بكم سماء جزيرتكم في يوم عبوس قمطرير ، انواؤه قاصفة ورياحه عاصفة ، فكونوا مطر خير لها ، ولا تكونوا مطر شر . وكلا الامرين في مقدوركم « وان تأكدي بعزة مستقبلكم في العالم كله يحدوني ان اعرض عليكم قصة شباب اسوتكم الاعظم ، وعلم هدايتكم ورافع اسمكم ، ومشيد دولتكم صاحب حراء العظيم محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وقصة الشباب هي قصة المستقبل ، فان كان جادا مفكرا بانيا لامجاد العلم سباقا كان المستقبل كذلك . وان كان هازلا خاملا متخلفا لا قيمة للوقت ولا للعلم عنده كان المستقبل **كذلك** .

وقصة شباب صاحب حراء كلها عجب وانكم تجدونها :

١ ــ في عمله المتتابع الناصب .
٢ ــ في ايثارة العزلة والتفكر .
٣ ــ في ثباته ، وشجاعته وتضحياته .
٤ ــ في نزوعه الى اصلاح الامة وانقاذها .
٥ ــ في اتقاد فطرة الايمان الصحيح في مجموعته النفسية .

٦ – في نفوره من اباطيل الشرك والوثنية .
٧ – في بعده عن اللغو وكل نقائص المجتمع .
٨ – في حسراته المشفقة الوالهة على صغار أمته .
١٠ – في طموحه الكبير الواسع الذي لا نهاية له ..

اما واقع القصة ، فالعالم اجمع ولن تنتهي فصولها واحداثها الكبرى المؤثرة وان انتهت الارض من دورتها حول الشمس ، طلعت طلوعها الاخير من المغرب، لان لها صلاتها الكبرى حتى في عالم الآخرة .

– وبنظرة في تاريخ الاديان والعقائد والفلسفات ، وما يشتملن عليه قبل مجيئه وبعده تطالعون الفصل الاول .. من القصة .

– وبتأمل في جغرافية الدول وفي تاريخ وجودها وزوالها تجدون الفصل الثاني.

– وبدراسة تقويم البلاد العربية وتاريخ دولها واعمالها قوة وضعفا وضيقا واتساعا وفرقة واجتماعا تمرون بالفصل الثالث .

– وبالتعمق في دراسة المعارف الانسانية وتطوراتها في اللغة العربية وسواها من اللغات ينكشف لكم الفصل الرابع .

– وبزيارة للمكتبات الكبرى في العالم العامة والخاصة ، ومطالعه مخطوطاتها ومطبوعاتها في مختلف اللغات وما تشتمل عليه ، وقل مثل ذلك بزيارة المتاحف ودور الآثار يتجلى لكم الفصل الخامس .

وبامعان النظر في دساتير العالم وما حذف منها ، وما أضيف اليها وآثارها العملية قبل رسالته وبعدها تستوعبون الفصل السادس .

ولا تحسبوا ان قصة حياته الرائعة الخالدة تنتهي ما دام في الارض علماء يحملون امانه العلم، ويؤمنون بجلال قيمه السلمية، ومنافعه الدائمة، في حياة الامم الانسانية.

ويطيب لي ان انهي كلمتي هذه بتقديم حادثة واحدة من قصة شبابه لشبابنا المشمرين عن سواعدهم في معاهدهم العلمية استعدادا لبناء الامجاد الفاهمين ان الامجاد لا تبني بالامنيات ولا تشيد بالمباذل ، واضاعه الوقت بين مهازل الاسمار ولغو الخلان ...

ومن اجل ذلك آثرت ذكر هذه الحادثة بالذات ، وآثرت ان يقصها عليكم صاحب حراء نفسه صلوات الله وسلامه عليه اذ يقول (١) .

« لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر (٢) ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعل الا مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك .

ثم ما هممت بشيء بعدهما حتى اكرمني الله برسالته، قلت لغلام كان يرعى معي: لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة اسمع عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست لذلك، فضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ، ولم اقض شيئا، ثم عراني

---

(١) راجع سيرة الخضري ص (٢١)

(٢) المقصود شعر الفحش والهجاء اما الشعر الاجتماعي النافع فانه كان يستمع اليه كشعر الخنساء وحسان بن ثابت وسواهما .

مرة اخرى مثل ذلك » .

هذه هي الحادثة ، وانها لعظيمة جدا ، وانها تدل على المستقبل الباهر الكبير، وانها تشتمل على جملة امور :

١ ــ ان شباب الجاهلية كانت تحدثهم انفسهم بارتياد الاسمار . وكان ارتيادها يصرفهم عن الصعود الى الاعمال الاجتماعية المجيدة . وكانت مواطن الاسمار هــي الاعراس لان البلد الحرام لا مواطن فيه للسمر الفاحش حتى في الجاهلية .

٢ ــ ان الله عز وجل حفظ شباب رسوله الكريم حتى عن سمر الاعراس البريء ليعلم فتيان الامم كافة ان غشيان الاسمار لا يصلح لصانعي الامجاد الاجتماعية الكبرى لان صنعها لن يتأتى الا لمن يحمل الوعي لقيمه الوقت ، والشح والكزازة في انفاقــه لغير النافع الصالح . ولمن يحمل مثل الشمائل الماجدة التي اقام الله عليها صاحــب حراء ...

٣ ــ ونجد في هذه الحادثة ان الله عاصم انبيائه من كل النقائص قبـل النبوة وبعدها ، وان كانت طفيفة في نظر الناس لتظل حياة الانبياء الكرام شريفــة طاهرة محفوفة بالاكبار والاجلال في كل ادوارها .

٤ ــ ونجد فيها ان الحياة الميهأة لصنع الامجاد الكبرى ، لا ينبغي ان تهدر في سواها من الاعمال ، بله الاسمار ، ليحجز عنها التفريط فالاخفاق .

٥ ــ ويجد أدباؤنا البارزون في هذه الحادثة ، وامثالها مجالات عبقرية عاليــة للفن والادب قلما يظفر سواهم بنظائرها في اوطانهم . « وهل في كل وطن حراء » . مجالات ان وفقوا لنقلها الى العالم الظامىء الىموارد الروح الصافية التيلا زيف فيها ولا دخل . فانهم يكونون قد قدموا لهم اقدس شراب سماوي مريء يعبونه عبــا ان كانوا مدركين ان هلاكهم في فقده . وان لم يكونوا مدركين استمتعــوا به استمتاع الروح ولو فنا .

٦ ــ وفي هذه الحادثة حاول الشيطان ان يرصد شباب صاحب حــراء مرتين فاخفق لان الله جعل وعيه المعصوم متيقظا الى مساربه في اعماق النفس ليتفطن لها ابدا ، ولا تخفى عليه ، ولكيلا يكون هواه حتى في سريرته في غير الاعمال المبرورة والذكر المرفوع ، وصنع المعجزات . قد يقول شارد الفكر : هــي دفوف ومزاميــر يستريح اليها المكدود عادة ، يلهو العميد ويسلو بها الولهان ، وينسى ان لهو ساعة عدواها كعدوي الطاعون . ان لم يقتل الحياة قتل الاحساس بها ، وهذا شر القتلين.

ومهما يكن فرسول الله يقصد من ذكر هذه الحادثة ان يفهم الشباب ان كــل لحظة من الحياة ، وان كل حركة او سكنة يجب ان تكون لها غاية جليلة تعود الــى مصالح الامة بالنفع ، وكذب المنافقون الذين يعلنون انهم يقصــدون الاسمار لتسمــو أنفسهم وتتهذب أحاسيسهم ، كذبوا الف مرة . فمن لم تسم به آيات الله المنزلة، ومثلها العليا فلن تسمو به الاسمار ولا تهذب احاسيسه دفوفها ومزاميرها واغانيها الفاحشة .

ولــلــه الامــر مــن قبــل ومــن بعــد .

خلق الكائنات وخلق أعمالها

الفـات نظر :

أرى وفرة العلماء الساحقة يفكرون في خلق الكائنا توخلق أعمالها ، ويمعنون في التفكير ، ويبحثون ويبالغون في البحث . «وهذا مفروض بتأكد» ، ولكن لا اراهم يفعلون مثل ذلك في جلال المكون ، وجلال صفاته . ولا يفتشون عن الوسائل التـــي تقربهم اليه زلفى ، وتنيلهم رضاه ، وتورثهم السعادة الابدية : اما ايثـارا للوقت ان ينفق في غير ما هم فيه ، واما اشفاقا على نزواتهم ، أن تكبت أن كانوا من أهـــل النزوات .

وهؤلاء يرجى لهم العودة الى أضواء الايمان وايثار الخير لانهم من أهله . ولكن هناك شرذمة طاغية متمردة ، يقاومون فطرة الايمـان في أنفسهـم ويسخـرون من توجيهاتها النيرة الخيرة ، ويحاولون تعطيلها بما يخدعون بـه أنفسهم مـن هذيان أقلامهم المنحطة في مثل هذا القول الواهن : « هذا من صنع الطبيعة ، وما تصنعـه الطبيعة لا يسأل عنه : لانها خرساء لا تتكلم ، فلماذا نتكلم عنها !؟ ولانها عمياء لا تبصر فلماذا نبصر عنها !؟ ولانها غير مدركة فلماذا ندرك عنها وننسب الـى أعمالها المقاصد والغايات !؟ » .

واذا قلنا لهم : هذه مغالطة منكم ، واعراض عن دلائل وجود الخالق العظيم ، أجابوا بكل وقاحة : « المغالطة ليست منا بل من الطبيعة نفسها » . .

وهكذا لا تلقى منهم بعد طول الحوار والمناقشة الا العناد والاصرار على الالحاد والتعطيل ولو قدمتلهم نيرات السماء دلائل وبينات، لانهم يهدفون من وراء اصرارهم وعنادهم ان يطرحوا مثل الوحي العليا لينطلقوا في اهواء الشيطان شأن مقلديهـم،

وفي زعمهم انهم لن يحرزوا القابهم الا اذا حاربوا الايمان وان كانت حقيقة الايمان لا تحارب الا بالمفتريات والمغالطات واشغال النزوات . والا فمن قال لهم : الطبيعة خرساء ، وهم أنفسهم عالم من عوالم الطبيعة وناطقون .. ونسوا ان منكر الحقيقة شيطان اخرس . ومن قال لهم : الطبيعة عمياء وهي ذات العيون النجل ، ولكن العمى في بصائرهم : « فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

ومن قال لهم : الطبيعة لا تشتمل على قصد في كل عمل من أعمالها ، وهم الذين يحاولون ان يظهروا بمظهر العلماء فيسردوا ما اكتشفوه من معارف الطبيعة وعلومها وفنونها . « كعلوم الطبيعة ، والعلوم الفلكية ، والنباتية ، وعلوم الطب والتشريح والادوية والاغذية والمعادن ، وسوى ذلك مما هو كثير بالنسبة للانسان ، وقليل جدا بالنسبة لما هو لا يزال مكنوزا في غيوب الطبيعة ، وغياهب بحورها ...»

وهكذا يعودون الى أنفسهم بأنفسهم ، فيصفعون مواطن الجهل من رؤوسهم بنعال العلماء حين يعلنون : ان الطبيعة كلها معارف سافرة ، وعلوم ناطقة ، ونظم دقيقة تدل على العليم القدير الذي اودع ما أودع فيها . اما نحن المؤمنين ، فانا بحكم نظرنا الحر الصريح وبحكم ايماننا الواعي البصير وبحكم نضالنا في كشف واقع المعرفة وبحكم ما تفضل الله به علينا من ايثارنا الحق على الباطل ــ ولو تجمع حول الباطل كل زينات الدنيا وكل قواها وكل مغرياتها ومفاتنها ــ فانا لن نجهل ان هذه العلوم والمعارف التي تذخر بها الطبيعة تدل اصدق الدلالة ــ قبل كل شيء ــ على عظمة خالقها وجليل صفاته واتقان ما صنع ...

الا وان هذه الدلالة الناطقة الصريحة هي التي حمستني لكتابة هذه الكلمة الحرة النبيلة حول الايمان بجلال الخالق العظيم وما خلق ويخلق مباشرة او من وراء الاسباب بأسلوب مألوف للغاية صريح للغاية .

برهان الالحاد اسطورة

واقع كل كائن يدلك دلالة ناطقة ان له صانعا اوجده ، لانه يشتمل على جملة من التعيينات التي هي تصميم تكوينه . ومحال ان يسلم العقل ان تعيينات التصميم التي بموجبها يكون الكائن قد وجد بدون موجد قد قصد تعيينها قبل ايجاده .

وتعينات الكائن لن تكون الا قبل ايجاده ، وتأخرها عنه مستحيل لانها تصميم وجوده . وعلم الانسان التقدمي مجتهد في الدرس وانعام النظر لاكتشاف جملة تعيينات كائن بالذات وهذه هي :

١ ـ تعين اولية وجود الكائن .

٢ ـ تعين مكانة وجوده بين الكائنات .

٣ ـ تين نوع ذاته وأعمالها الخاصة ، والقصد منها بالنسبة له ، ولافراد الكائنات ، ومدى تأثيره فيها ، وتأثره بها .

٤ ـ تعين السنن الكونية الخاصة به ، والعامة التي سيخضع لها وسوى ذلك . .
ولا ريب ان الاهتداء الى خصائص التعيينات في أفراد الكائنات الظاهرة والخفية هو اهتداء الى جلال خالقها العظيم ، وكمال صفاته جل وعز .

والعلم قد تطور في هذا العصر ، واتسعت امكانياته حتى استطاع ان يكتشف ان للحياة اولا ، وان للانسانية اولا ، وان للارض نفسها اولا . وهلم جرا . . .

ولن تجد وجودا غير مفتقر الى سبق خصائص التعيينات سوى وجود الخالق

العظيم جل وعز لانه لو افتقر وجوده الى ذلك لكان مخلوقا له اول لا خالقا ليس لـــه أول .

والشيء الواحد يستحيل ان يكون له أول وليس له أول . وهكذا نجد الكائنات تدلنا دلالة ناطقة صريحة على جلال خالقها العظيم ، وعلى كمال صفاته اللائقة به كالعلم والارادة والقدرة وسائرها .

وهذا حق فان الواقع يكشف لنا : ان اي صانع لن يستطيع ان يحقق مصنوعاته الا اذا كان عالما مريدا قادرا . وبدون علم وارادة وقدرة لن يستطيع ان يحقق شيئا الا اذا صدقنا الاسطورة التالية :

«ان احد حجاري قدماء المصريين كان يقطع الاحجار ويجلبها من جبل ناء ويقذفها على شاطىء النيل ، كيفما يتفق له . وما زال يقطع ويجلب ويقذف . والاعوام تمـر والاحجار تتراكم حتى سمت على الهرم الاكبر .

وسمع أهل الاقطار المجاورة بذلك ووفدوا ليشاهدوا صنع ذلك الحجار ، فاذا هم يشاهدون العجب العجاب ، وسحر السحر . يشاهدون آنس قصر في الوجود، فقالوا : « هذا انس الوجود » ومن ذلك اليوم صار هذا الاسم علما له . ومن ذلـك اليوم والوفود تسبق الوفود ليستمتعوا بمفاتنه العبقرية المسحورة وفنونه النابغـة الجميلة ، دون انقطاع .

ووافى الملحدون القصر وخدعتهم الاسطورة وجازت عليهم ، ولذت لهم ومنتهم الاماني فاتخذوها برهان الحادهم ، وتنادوا بها في كل مكان: «هذا قصر أنس الوجود الحافل بغرائب العلم وعجائب الفن وجد اتفاقا دون ما تصميم سابق من احد .

وما وجد كذلك الا ليكون برهان قولنا : « ان الكائنات وجدت اتفاقا دون تصميم سابق من احد » .

وهكذا نجد في النهاية برهان الحاد الملحدين اسطورة .

استعراض العوالم

اذا أنعم الدارس نظره في صنع الكائنات وفي عجائبها وفي ما تأتيه من أعمال غريبة مدهشة فانه يخشع هاتفا : « صنع الله الذي اتقن كل شيء » .

١ ـ عالم الكواكب : ـ

هذه شمسنا فانا نجدها ذات جرم كبير هائل ، وذات لهيب متقد دائم ، وذات اضواء ملونة ممتدة ، وذات جاذبية هائلة كل ذلك بمقادير من القوى موزونة ، وهيمنة سنن الكون معينة كما نجد لها ولجملة كواكبها اللائي يسبحن حولها، يتصلن بها في تكوينهن واعمالهن وحركاتهن ادق نظام محير ، لا يطرأ عليه خلق من زيادة او نقصان او تقدم او تأخر على مر الدهور .

وهذا العلم الحديث قد اكتشف لارتفاعها وانخفاضها ـ وللكواكب الدائرة حولها او الخارجة عنها المتصلة بسواها من الشموس ـ اعمالا كونية مقصودة تخلقها قدرة الله من وراء ستار الاسباب .

ومهما يكن فكل هذه الاجرام السابحة في ابعاد الفضاء ، واعمالها المدهشة المحيرة سواء ما اكتشفه العلم منها او لم يكتشفه مغشاة بستار من نسيج الاسباب والاستمرار . فمن استطاع ان يزيحه بالتأمل العميق ، والدرس الدقيق ، والنظر الحر الثاقب فانه يلمس قدرة الخالق العظيم الفعالة .

واذا كانت العقول تلمس سلطان علم الانسان المحدود وارادته المحدودة ، وقدرته المحدودة في مصنوعاته المختلفة وأعمالها الضئيلة فكيف لا تلمس سلطان علم الله الشامل وارادته المطلقة وقدرته التي لا يعجزها شيء في مصنوعاته الهائلة التي لا تتناهى ، وفي أعمالها العظيمة التي تفوق الحصر ، وفي نتائجها الباهرة واغراضها الكثيرة وموازينها المقدرة وفق استمرار الكائنات وبقائها المحدود ..

٢ ـ عالم النبـات :

وهذا عالم النبات فانا نجد فيه من غرائب الاعمال ، وعجائب الصنع مثل مـا وجدناه في عوالم الفضاء : نجـد الات صنعه دقيقـة عجيبة ، ونجد ثمرات اعمالهـا ادق واعجب انهـا تخرجهـا للناس وفق استمرار الحيلة ، ومقتضياتهـا الخاصـة والعامـة .

ويكفي ان اقدم آلة واحدة لتكون مثلا يقاس عليه سائر آلات عالـم النبـات ، وصناعاتهـا المختلفة ، وغايات ثمراتها . وما علمنـا منهـا وما لم نعلم . تلك آلـة صنع البطيخ : اي بذرته » التي جعلها الله في حجم قلامة الظفر ، وقد اخفى اعمال قدرته تعالى في تركيب خلاياها، ووظائف كل خلية بالذات . هذه لصنع اللون ،وتلك للطعم، وثالثه لصنع البزور، ورابعه للغلاف الخارجي الواقي من الجراثيم وهلم جرا..

والخلايا كثيرة ، والاعمال اكثر . والبحث يطول لو حاولنا ان نستوفي خصائص عمل كل خلية بالذات . واني اعتقد لو تحولت بزرة البطيخ ، الى سعة اكبر ما نعرف من معامل الانسان واضحت كل خلية من خلاياها ، بمثابة جناح، له خصائص انتاجه، وكان يقوم عليه اكبر المهندسين الاخصائيين ، واحذق العمال الفنيين القادرين ، وكان بيـن ايديهم اجود المواد الخام التي يصنع منها البطيخ ، على وضعه المعروف وانواعه المختلفة . اي بين ايديهم اخصب التراب وانفع السماد وانسب الماء والهواء ، وشعاع الشمس . اي لو تحقق هذا كله لعجزوا جميعا ، عـن صنع البطيخ على وضعـه المعروف وأنواعه المختلفة ومنافعه الكثيرة ، وهذا العجز محقق ، وهو الآية الناطقة بجلال اعمال القدرة الالهيـة المحجبة بشتى الاسباب ، واستمرارهـا وتكرارها ... اي لو كـان مصنع البطيخ فعـلا كمـا تصورنـا ووافانا رسول من السماء ، واعلن ان القدرة الالهيـة التي اقامت هذا المعمل الكبيـر الهائل لصنع انواع البطيخ ستجعله في حجم قلامة الظفر . اكنـا نصدق ذلك بمجرد الاعلان !!؟ ان لم نلمس ذلك بدلائل حواسنا الخمس ، وهو ملمـوس لهـا ...

ولا ريب ان وعينـا هذا لواقع اعمال بذرة البطيخ في عالم النبات يكفي وحده ليوقـد في مجال افكارنـا شعلات الايمـان بجلال القدرة الالهيـة ويحمس هواتفه في اعماق قلوبنـا بنشوة وخشوع وقناعـة وسعادة .. واقرب مثل من مصانـع العالم الانساني تجده الجماهير موافقا لمصنع البطيخ هو مصنع الشوكولا فـان آلاته لا تقدمهـا في الاسواق حتى يتوفر لدى المهندسين المشرفين على صنعهـا ، جميـع موادهـا الاوليـة الخاصة بهـا . لاجل ان يقدروا ضم بعضهـا الى بعض بمقـادير موزونـة معينة ... ومهمـا يكـن فـان حبة الشوكولاتة لا تصل الى اغلفتها الواقية مـن الجراثيم حتى تمـر بمراحل عدة . كل مرحلة لهـا خصائص اعمالهـا ناهيـك بالعلمـاء الذيـن اخرجوا الات صنعهـا للناس .

وكم من آيات بينات في مصانع الطبيعـة الحية اشباه مصنع البطيخ ، يمر بها الملحدون غيـر مكترثين ، ولا مبالين بمـا تشتمل عليه من الدلائل ، على جلال قدرة الصانع الاعظم المبدعة ، كأنهـا في نظرهم شيء تافه ، لا تزيـد على لعب الاطفال ..

بيـد انهم يقيمون الدنيـا ويقعدونهـا اذا مروا بمصنع من مصانع البشر : فمن

اعجاب الى اكبار الى حمد وثناء ، الا تراهم واكلي العشب سواء . تشغلهم عن دلائل قدرة الخالق العظيم المبدعة شهوتا البطن والفرج . وما اصدق قول الخالق العظيم في حق هؤلاء : « وكأين من آية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ، ١٢ ـ ١٠٦ » .

٣ ـ عالم الحيوان :

واذا انتقلنا بالدراسة الى عالم الحيوان ، وانواع فصائله ، واعمال كل فصيلة وخصائصها بالذات . فانا نجدها في منتهى العجب العجاب . ونجد اعمالها ناطقة بجلال القدرة الالهية التي ابدعتها واتقنتها صنعا .

والحيوانات في كل اعمالها ، يسيرها الالهام الغريزي العضوي وفق مخطط القدر . كالنحل مثلا فان القدرة الالهية تسيره في اعماله الدقيقة الصنع التي تستوقف بالاكبار والاعجاب اكبر العلماء العبقريين وامهر المهندسين الفنيين وان كان هو غير مدرك لها ، كالطائرة التي يسيرها العقل الآلي ..

ولا يسع العلماء حيال ما يشهدون من اعمال عالم الحيوان بعين العلم الدقيقة المستقصية الواعية الا ان يرددوا : سبحان من : «اعطى كل شيء خلقه ثم هدى».
هدى » .

٤ ـ عالم الانسان :

واذا انتقلنا الى عالم الانسان الذي يعتبر جزءا من عالم الحيوان ، وانعمنا انظارنا في مظهر القدرة الالهية : في خلق افعاله المنسوبة اليه الفيناها تختلف عنها في سائر الحيوان . اذ نجد له فوق اعمال الالهام الغريزي ، اعمال الارادة المخيرة الناجمة عن الفكر كالايمان والكفر ، والطاعة والعصيان ، والقيام والقعود ، والذهاب والاياب ...

الى جانب الافعال العضوية الجبرية ، كالتنفس وتمدد الشعر والاظافر ، والحاجة الى الطعام والشراب والمكان وكل ما يتصل بهذا القبيل ....

ولامتياز الانسان بأفعال الارادة الحرة المخيرة بالعقل خص بالتكاليف ، وانواع الاجزية ، من مثوبات وعقوبات ..

ا ـ مسؤولية الانسان عن افعاله المختارة :

كل التكاليف وليدة المسؤولية . واينما تجد المسؤولية تجد التكاليف . وكون الانسان مسؤولا عن افعاله المختارة ـ وان لم تكن من خلقه ـ واضح لانه يملك الارادة الحرة التي يتصرف بها وفق ما يختاره من افعال : خيرة او شريرة ،واقرب مثل يكشف مسؤولية الانسان عن افعاله المختارة هو سائق السيارة اذ يملك

ارادة التسيير . لا قدرة التسيير ، وان كانت قدرة التسيير طوع يديه حتى يخيل للناظر السطحي الذي يجهل فعالية الوقود ان السائق يملك قدرة التسيير ايضا.

وهنا قل لو لم يكن السائق يملك ارادة التسيير . لما كان مسؤولا قضاء عن اخطائه ، ومعذرته انه لا يملك قدرة التسيير مرفوضة لتجاهله ان المسؤولية تتبع ارادة التسيير فقط ، ولعل معترضا سطحيا يقول : « ما دامت قدرة الخالق العظيم هي التي توجد اعمال الانسان الخيرة والشريرة معا . وما دام علمه الازلي يكشف بحكم احاطته وشموله ان ذاك سيحرق بيدر هذا مثلا ، فلماذا يجعل قدرته العادلة الحكيمة تستجيب لارادة الانسان الظالمة الشريرة ، فتشعل لها النار الضارة . ولا تبطل فعاليتها كنار ابراهيم . وهب انه احرق البيدر ، ولم يفطن لجريمته احد ، فلماذا يعاقبه يوم القيامة ، وما هو في عين اليقين الا سبب ظاهري ، والواقع ان مثل هذا الاعتراض لا يصدر الا عن سطحي ، يجهل ان الله عزوجل خلق عالم الانسان حرا في اختيار افعاله الارادية ، ويجهل ان الله لو ارغم الانسان على فعل الخير ، دون فعل الشر لتحول عالم الانسان الى عالم جبرٌ على الطاعات كالملائكة .

وتحويله يقضي تغيير السنن الخاصة بالعالم الانساني المقدرة ازلا . والله محال ان يغير السنن الخاصة . أو السنن العامة التي اقتضت حكمة الخالق أن يفرضها على العوالم مجتمعة او منفردة من اجل ان فلانا او فلانا لم تنكشف لهم الحكمة، في كائن ما ، وقد تكون الحكمة لا تنكشف الا بانكشاف كل حكم الخلق ، في كلّ الكائنات .

ومن هنا نتبين : ان الاعتراض من اساسه ساقط لان العلم الذي يكشف سنن العوالم وصلاتها المتشابكة وخصائص تعيناتها كافة ، ويكشف واقع الحكمة في خلق كل كائن بالذات تفصيلا لا يتسنى الا لمن كان علمه محيطا باسرار العوالم جمعاء ، وهذا خاص بخالق الوجود وحده .

اما العقلاء من سكان العوالم كافة ، فمهما اوتوا من سعة في المعارف وشمولها فان معارفهم تظل محدودة ، بالنسبة لمعارف العوالم المجهولة لهم والمعارف المحدودة لا يكون حكمها صادقا على ما تجهله ، فالجهل لا يكشف العلم ، وانما يكشف العلم بالعلم ، فهذا الاعتراض باعثه الجهل .

فهو من ذاته ساقط ومهما يكن فالعلم المختفي في ضمير اي كائن، لا ينكشف الا بالعلم وهل كشف ويكشف العلم الكائن في ضمير الذرة سوى العلم .

والواقع ان سكان العالم اجمعين ، لا يعلمون من غيوب معارف الوجود ، الا ما تعلمه النملة عن عوالم الكرة الارضية او قل دون ذلك ـ لو اوتيت عقلا عالما ـ.

اذن فكيف لا يكون الاعتراض من اساسة هراء في هراء ، على ان المعترضين انفسهم ولو وجهت الى ما يؤثرونه من اعمال ، وحاجز القدرة الالهية ـ لاحتجوا قائلين اين هي الحرية الاختيارية التي تعلنون اننا فطرنا عليها في صميم كياننا ، وها نحن اولاء نجبر على ترك ما نختار من اعمال ، فاذا اشعلنا النار فلا تحرق واذا ضربنا بالسيف فلايقطع ، واذا تحدثنا بما نحب ان نتحدث به

فلا نجد السنتنا تستطيع ذلك . وهكذا دواليك .

والخلاصة ان قدرة الخالق العظيم هي التي خلقت العوالم ابتداء وهي التي تخلق أعمالها من وراء ستار الاسباب والسنن سواء كانت من العوالم العاقلة لاعمالها كعالم الانسان ام من العوالم غير العاقلة لاعمالها كعوالم الحيوان والنبات والجماد (١).

وارادة الانسان الحرة هي منحة من ارادة الخالق العظيم جل وعز لتكون للانسان علة مسؤوليته وما يتبع المسؤولية من ثواب وعقاب .

ولو لم يكن الانسان حرا مخيرا في كفره وفجوره ومجونه ومباذله ، لكان عذابه في العالم الثاني او في الدنيا ظلما ما بعده ظام ... لانه حينئذ يكون مجبورا والمجبور على شيء لا قدر له على مخالفته ويكون حينئذ تكليفة بسواه من باب التكليف بالمحال ، والتكليف بالمحال ، يستحيل ان يصدر عن الخالق او المخلوق، قال الله تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، وقال أيضا : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

---

(١) ان للجمادات اعمالا هائلة مدهشة . ونظرة عابرة في بعض ما اكتشفه بعض العلماء من اعمال الاجرام السابحة في ابعاد الفضاء وما يسبح حولها من القوى كبحر المفناطيس مثلا المكتشف حديثا تكفي وتكفي .

تصور مقلوب

ما رأيت فكرا منكوسا ساذجا ، وتصورا مقلوبا واهيا في قول ما رأيت في هذا القول :

القاه في اليم مكتوفا وقال له ايالك اياك ان تبتل بالماء

فيا أيها السارح في عالم الارواح ، لو ان الله أجبر البشر على نواياهم وعقائدهم وافعالهم لما استطاعوا ان يختاروا ما يشاؤون من ايمان او كفر ، ومن خير او شر ، ومن طاعة او عصيان .

بل لكان ما اوحاه الله من عقائد وتكاليف عبثا، لان المجبور لا يكلف بغير ما هو مجبور عليه من افعال .

واحسبك قرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان احدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفه ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك، فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات ، بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ، فواللهالذي لا اله غيره ان احدكم ليعملبعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النارفيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عايه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها » .

اجل احسبك تصورت في هذا الحديث الشريف نزوعا الى الجبر . وما هو الا بيان لانفراد الخالق العظيم بالعلم الازلي الذي يصدر عنمخلوقاته من قبل خلقها .

فها هو الملك حين يرسل بروح الجنين المكتوب له الحياة ــ سواء حياة الرحم فقط او حياة الرحم والدنيا معا ــ يؤمر بكتابة ما تكون عليه حياته وما يكون منه سواء ، ما يكون منه على طريق الجبر : كأعمال الروح في عالم الرحم ، وبعض اعمال حياة الدنيا ، كخضوعه لنواميسها . او ما يكون منه على طريق الاختيار : كأعمال الايمان والكفر وسواهما .

وما هذه الكتابة الا بيان لشمول علم الله الازلي لكل ما كان ويكون في محيط العوالم البسيطة والمركبة . حتى لا يدخل في بال احمقمغرور ان خالق الخلق يجهل ما يكون عليه خلقه وما يصدر عنه جبرا كان او اختيارا . لان الصانع ــ لصنعة ما ــ محال ان يجهل ما يصدر عنصنعته ولو جهل لاستحال ان يكون هو صانعها .

وهذا عين ما جاء به الوحي الالهي قال الله تعالى : « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم ،الافي كتاب ، من قبلان نبرأها ان ذلك على الله يسير .. » وقال ايضا : « عالم الغيب والشهادة لا يعزب عنهمثقال ذرة في السموات ، ولا في الارض ، ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين » ٣٤ ــ ٤

واقع القدر

واقع القدر بالنسبة لجانب الحياة الانسانية المختارة هو ما يفعله الانسان بمحض مشيئته : من ايمان أو كفر، من خير او شر ، من قيام او قعود وهكذا ...

ومن ثم نتبين ان الانسان هو الذي يتجه الى قدرة المختار ويعينه . ولا تباين بين مشيئة الخالق العظيم الازلية ومشيئة الانسان الحادثة لان ما يشاؤه الانسان بمحض اختياره ، ويتجه اليه اعتقاداً وعملا محال ان يكون الخالق العظيم يجهله ، ولم يكن شاءه ازلا . اليست حرية الارادة الانسانية هي منحة من مشيئة الله .

ولو لم يكن الامر كذلك ، لكان الخالق العظيم يجهل اعمال الانسان المختارة قبل خلقها ونسبة الجهل الى الخالق العظيم جل وعزعين الكفر « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

وعلم الخالق العظيم الازلي الكاشف لكل اعمال الانسان المختارة . لا جبر فيه من الوجهة العماية المشاهدة . فعلى الانسان ان يفعل الخير ، وهو قادر على فعله حتما وحينئذ يكون ما عمله عين ما علمه الله وشاءه ازلا وهذا هو القدر .

ومن اكبر الظلم ان يلقي الانسان المنحرف مسؤولية سوء افعاله ، وما ينجم عنها : من مهالك وبلايا وآلام في العالمين على الاقدار الالهية كأن الاقدار الالهية في تصوره الفاسد سلاسل من الفولاذ ، وسدود من البلاتين ، تصدان ما فيه الصالح له ، دون الطالح . والتجربة والمشاهدة اكبر برهان على فساد تصوره هذا .

ومن هنا ندرك ان احتجاج الاشرار بالعلم الالهي الازلي وما هو مسطور في

اللــوح المحفوظ : من اعمــال العباد ، وحركات الوجود . مــا هــو الا احتجـــاج شيطاني ، يقصدون بــه تبريــر ايثارهم الشر على الخير ، والباطل علــى الحــق ، والرذيلــة على الفضيلــة ، والظلام على النــور .

وقد ارشدنا الله عزوجل ، في محكم الوحي اليقيني ، على افتراء امثال هؤلاء وانهــم لا يقصدون بمثل هذا الاحتجاج الا تبرير سوء اختيارهم تأمل قولــه تعالــى: « واذا قيل لهم انفقــوا ممــا رزقكم الله قال الذيــن كفروا للذيــن آمنوا ،انطعــم من لو شاء الله اطعمه ، ان انتم الا في ضلال مبين » .

الا ترى سوء اختيارهم للشح مغلفا بمظاهر الايمان المكذوب بالقدر : « انطعــم من لــو شاء الله اطعمه » فهم يظهرون انفسهم انهم في ادب مع القدر فمــا دام اللــه يعلم انهــم جيــاع قطعا ،ولم يطعمهم ، فكيف هم يتخطــون قدره ويطعمونهم قسرا .

وما اعلمهم ان الله لــم يشأ اطعامهم ، لعلهم كانوا ينتظرون ان ينزل عليهم مائدة من السمــاء ليعلمــوا انه يريــد اطعامهم ، ولــو حصل ذلــك لمــا احتاج مؤمــن ان ينتدبهــم لاطعامهــــم .

والحقيقة هي انهم بخلوا ، ولم يجدوا وسيلة لاخفاء بخلهم الا ان يعلنوا للنــاس ان اللــه هــو الذي لم يشأ اطعامهم ــ لا هم ــ على انهم لو اطعموهم لكــان حتمــا هو عين ما قدره الله ، ولكنهم بخلــوا وأخذوا يتثعلبون فــي أقوالهم دفعــا لتأنيــب المؤنبيــن .

ومن اجل ذلك اخبرنا الله عز وجل أنهم في ضلال مبين عــن حقيقة القـــدر وهم لا يقصدون بمثل هــذا المنطق المجرم ايمانــا بأقدار الله ولا شبــه ايمــان وانما يهدفــون الى العبــث والافتراء وتبريــر شحهم امــام الرأي العام .

نظرة سطحية رعناء

ان من حماقة الغرور ، وعمايــة الوجدان ، وشرود الفكر ، وسطحية المعرفة. ان يعتقــد انسان ان الاسباب نفسهــا هي التي خلقت وتخلق العوالم كافة . ويجحد قدرة الخالق العظيــم الفعالة في الواقــع ونفس الامر .

يا هذا أن عوالم القوى البسيطــة كالجاذبيــة والمغناطيس وسواهمــا .. لمــا تحصر . ولمــا يحط بكنهها علم الانســان التقدمي الصاعد .

وان القدرة الالهية التي خلقت من جملة عوالم القوى البسيطــة القوى التــي كونت منها الذرات وكونت من الذرات العناصر المواد ، ومن المواد مختلف الكائنــات المادية . اي ان القدرة الالهية هي التي خلقت العوالم البسيطة والمركبة جميعهـــا ابتداء بكــل خصائص تعيناتهــا . . . هي بالذات التي تخلق كل مــا يصدر عنالكائنات من وراء ستــار الاسبــاب على استمرار وتكرار .

ولا ادري كيف يدخل في عقل انسان او علمه ان الذرات الصماء غير المدركة ، والعناصر المؤلفــة منهــا والمواد المؤلفــة من العناصر هن اللائــي خلقــن عوالمهـــن الحيوانيــة والنباتيــة والجماديــة السائلــة والغازيــة وسواهما علــى اختــــلاف أسبابها ونواميسهــا وتعيناتهــا وأعمالها الباهرة وغاياتها التي لمــا تحصر فــي علــم الانسان ولن تحصر . وهو يعلم ان نفس القوى المكونــة منهــا الذريرات (١) والذرات لا تملــك عقــلا ولا ارادة ولا اختيارا . على مــا في صميم تكوينهــا : مــن العقـــل والعلــم والارادة والاختيــــار .

---

(١) اكتشف العلمــاء ان ذرة الاورانيوم مكــون عالمهــا من ١٥٠ جزءا الى جانب اشعاعات الطاقــة المحضة، هي المسماة بالذريــرات .

هـذا ما سيشاهده عباقرة العلـاء في مختبراتهم ، بعـد انفلاق الذرة والذريرة وتجريدهمـا من كثافـة المادة وعودتهمـا الى القوة البسيطـة التي كونتا منها ابتداء. وتدوين مـا انكشف وينكشف من معارفها .

نعم قد يتصور هذا الهراء ويعقله ويعلمه ويديـن بـه الاغبيـاء والمجانين والمهووسـون النيـام امـا العقلاء المفكرون والعلمـاء العبقريـون والايقاظ الواعون فمحال ان يتصوروا مثل هذا يحصـل . بله ان يعتقدوا حصوله الا اذا كانـوا مـن المؤمنين بأسطورة بناء « قصر أنس الوجود » . المتقدمة .

وما من عالم ــ تثبت معارفه الفائقة العميقة انه عالم ــ يسمح لنفسه ان يديـن بالاساطير واولئك الملاحـدة الاسطوريون ، لا تجدهم الا مـن الذيـن سقطوا دون قمـة التفوق والتجديد في اكتشاف معارف الوجود . فمـا وجدوا وسيلة يشغلون بهـا الافكار عـن سقوطهم ، سوى التظاهـر بالالحـاد والحملة على حقائق الايمـان المتجليـة في معارف الوجود . والسبب الذي جعلهم يتصورون ان التظاهـر بالالحاد يشغل العقـول عن سقوطهم دون القمـة ويخيل للناس انهم بلغوهـا . هو مـا يجري عـادة على بعض ألسنـة عباقـرة العلماء في بدايـة دراستهـم للعلوم والفلسفـة من كلمـات الحاديـة تقليدية ، يتعجلون بهـا اعـلان انهم بلغـوا القمة . ولكنهـم حيـن يبلغونهـا فعـلا ، ويلمسون حقائق الايمـان الكبرى ناطقـة في مـا بيـن ايديهم من معارف الوجـود بسيطة ومركبة ويعلنونهـا للمجامع العلميـة كافـة وهم فوق القمة فانهم يرددون حينئذ ويردد العالم الانساني معهم : « سبحانك ، سبحانك ــ يا خالق الوجود . يا مـن تجلى علمه وارادتـه وقدرته وجلاله في كـل كائنـات الوجـود لا اله الا انت لك الملك ولك الحمـد .

مسؤولية الانسان

مسؤولية الانسان ناتجة عن اعماله الارادية المخيرة واقرب مثل نقدمه لكشف واقعهـا هو المثل السالف مع بعض التوضيـح . قيـل :

« ان مخترعا احكم صنع سيارة تسير بتيار كهربائي يوجهه اليها من مختبره، وقـد اعـد لمـن يقودهـا احسن المثوبـة ، ان التزم توجيهاتـه ، وجنبهـا المخاطر واسـوأ العقوبة ان خالف وانحرف » .

ومن اجل هذه المسؤولية المفروضة ، ترك لمن يسوقهـا حرية قيادهـا بكل مـا يملـك من ارادة حرة مخيرة . كمـا ترك طوع يديه قوة التسيير على كل الاحتمالات. ورعايـة لحـق المسؤولية عين له الطريـق المعبدة المأمونة وحذره سوء المنقلب .

« هب ان هـذا السائق استعمل حريته الاختياريـة في الاعراض عن الطريـق المستقيمـة المعبدة ، وانحرف عنهـا عامدا حتى اودى بالسيارة » .

فهل يقبل القضاء احتجاجه على رب السيارة اذا قال له : « مـا دمت مشاهدي، ومـا دام في يديك وحدك قوة التسيير فلـم لـم تحجزهـا عني ؟!! وتبطل حرية ارادتـي لتحـول دون تحطيـم السيارة » .

لا لا ، لن يقبل القضاء احتجاجه هذا ، لانه اخفى انه كـان يقود السيارة بكـل ما يملـك من ارادة حرة مخيرة دون معارضة . حتى ولـو حطمهـا . كمـا اخفى انه لو قطع عنه قوة التسيير لاحتج علـى ذلك بقوله :

« أين هي الحرية المخيرة التي منحتني اياها على كل الاحتمالات ، وها انت ذا تقف فـي وجههـا » .

ولو قال رب السيارة حين ذاك ، ان وراءك خطرا محققا اقتضى ذلك . لـرد عليـه انـي مسؤول انـي مسؤول .

ومهما يكن فاعتراضه على انزال العقوبة عليه تضليل مكشوف . لان اتجاهات ارادتـه الحرة الى الخيـر او الشر ماثلـة في كل اعماله ولن توارى . . .

واخيرا اخاله نسي انـه يحاول ان يضلل (من لا يضل ولا ينسى) .

جهل في ثوب العلم

من مثاليات التشريع في الاسلام

لم يفهم محاضر سطحي مثالية التشريع الاسلامي في اباحة زواج المسلم من اليهودية والنصرانية دون العكس . واعترض قائلا : ان هذا التشريع خال من العدل الاجتماعي المثالي الذي يفرض المساواة بين الناس . واعتراضه هذا جهل في ثوب العلم ، لان التشريع الاسلامي يحمل في صميم نصوصه الدينية مثالية العدل الاجتماعي المطلق في كل مسألة من مسائله .

ومن الحسرة ان فتاة مسيحية مثقفة علمت مثالية العدل الاجتماعي في هذه المسألة بالذات في حوار جرى بينها وبين فتاة مسلمة ، وجهلها المحاضر وهو زعم انه درس المسألة في اعماق نصوصها اليقينية ، وانه عرضها على تلاميذه تبتلا لوجه العلم .

ولما كان عمله هذا اجراما مكشوفا في حق العلم ، ذكرت النصوص اليقينية للحوار الذي جرى حولها بين الفتاتين انتصارا للحق وتنويها بتسامح الاسلام ، لا ايثارا ان تكون ام الجيل الناشيء الحديث غير مسلمة . والام كما يقولون هي حاضنة الجيل الناشيء ومدرسته الاولى التي تتركز فيها ميوله واهدافه . وهو في غضون العمر ، عهد التركيز ودعم الاسس .

واليك الحوار الذي جرى بين الفتاتين وسندلي بعده بالنصوص التي تدعم هذا الحوار وتضحض قول المحاضر الجاهل .

الحوار

قالت فتاة مسيحية لزميلة لها مسلمة ...

« ما كنت أحسب ان في الاسلام كل هـذا السمو ، وكل هذا الانتصار لعاطفة المـرأة .. »

وكـان مـا عنتـه هـو قول الزميلـة المسلمة لهـا ...

« ومهما يكن فزوج وزوج (وهي كلمة تطلق على الرجل والمرأة) يقترب مـن الابهام في عرف الحاسبين ، ولكنه لن يتجاوز الخنصر حين يصدق على الرجـل والمرأة بعد عقد الزواج ، وهذا سمـو في لغتنا العربية ، لا يعدله سمو . لانه يـدل علـى وعي انساني مهذب في تفكير الواضع العربـي .

وكم من مثقفين لم تع أفكارهم ، وهم في ارقى عواصم الحضارة الحديثة ، مـا وعاه فكر الواضع العربي القديم ، من أن المرأة ما خلقت بجانب الرجل الا لتكون شريكة تبعات وتكاليف من اجل بناء اسرة صالحة سعيدة ، ولم تخلق لتكون خلسة شوارع يعبث بها المارة الهاربون من احمال بناء الاسرة . اي ان الغاية من عقد الزواج هـو مزج احاسيس الرجل والمرأة ومصالحهما ومسؤولياتهما ليذوب احدهما في الاخـر ذوبانا كليا من اجل الابقاء على استمرار الحياة ، وتحمل أوزارها الشاقة في تربيـة الجيل الناشيء ، فأطلق لفظة زوج على كل منهما لتدل على كل ذلـك دلالـة لغويـة صريحـة .

وهذا اسمى ما يمكن أن يصل اليه الوعي الانساني المهذب في أصل وضع اللغة. وجاء الوحي مؤيدا مثاليات هذا الوضع الكريم : « هن لباس لكم وانتم لباس لهن »، وبديهي أن الشخص والبسته لن يكون اثنين . ومعنى هـذا ان الوحي أيـد مثاليات اللغة فجعل الاثنين واحدا . بل ضاعف تأييده فجعل أيضا احدهما زينة للآخر، ومظهر حرمته وساتر عوراته ، ومكملة في أعين الناس .

ولكن جميع هذا التأييد لن يأخذ مكانه المقدس في محراب الوحي ، الا اذا أوثق عقد الزواج رضا الطرفين ، فاذا لم يكن رضا ، فان لفظة زوج تصبـح ولا مثاليات لها . ولاجل ان تظل لفظة زوج حافظة لكل مثالياتها في صميـم عواطـف الزوجين وسلوكهما، حرمت الشريعة الاسلامية أن يقترن المسلم من امراة لا يؤمن بأصول دينها حتى لا يجرحها فيه لدى المحاق ، فان تبدل حال المرأة من البدار الى المحاق ، فـي أحضان العشرة الطويلة لا تدوم معه شعلة غريزة الاشتهاء التي يسميها ـ الاوادم ـ حبـا .

وحينئذ ـ لاوهن الذنوب ـ تنطلق جوارح عقارب اللسان من مكانها تنهش قدس عواطف المرأة ، عن عمد ، وعن غير عمد ، تبرما وملالا ...

هذا اذا لم يكن في صميم عقيدة الرجل حارس أمين يحول دون ذلك . كالمسلم

بالنسبة لزوجه اذا كانت يهودية أو نصرانية ، ولهذا الغرض عينه حرم الاسلام على رجاله ان يقترنوا بنساء لا يؤمن بأصول عقائدهم الدينية . كالمشركات اللائي لا كتب سماوية لعقائدهن. كما حرم الاسلام على نسائه ان يقترن من رجال لا يؤمنون بأصول الاسـلام .

« لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن » ، (٦٠ ـ ١٠)

ومن هنا نتبين مثالية التشريع الاسلامي وعدله الاجتماعي المطلق ، حيث أباح للمرأة اليهودية او النصرانية ، ان تقترن بالمسلم ـ ما دامت راضية ـ وان كانت هي لا تؤمن بأصول دينه ـ وسبب الاباحة هو الاكتفاء بايمانه هو بأصول دينها ...

هذا هو شرط اباحة زواج المسلم بغير المسلمة . وهذا الشرط هو أبعد ما يسمو اليه التسامح في احترام عاطفة المرأة .

وهذا حق فان الاسلام ما اسقط هذا الشرط في جانب المرأة وحدها الا اعتمادا على طريقته في التسامح معها ، وانتصارا لها ، في مسائله الشرعية كافة .

والاصل في ذلك ان الرجل يصبر على أذى امرأته عادة ، لان ثورته يسودها العقل ، اما المرأة فثورتها شواظ من نار ، لان العاطفة وقودها ، والعاطفة مزدوجة في نفسية المرأة ازدواج حاجة المواليد اليها ...

وهنا جمعت الفتاة المسيحية نفسها للانصراف وهي تقول : « ولكن لا أكاد اتصور ان رجلا مهذبا يسمح لنفسه أن ينال من عاطفة زوجه في اصول دينها ـ ولو لم يكن مؤمنا بها ـ ما داما قد استظلا معا بأفنان شجرة المودة المتصلة اعراقها بأعراق القلب ردحا من الزمان وان لفحها سموم الملال ، واسقط اوراقها الخضراء ، اللهم الا اذا كان وحشا ، فأجابتها الزميلة المسلمة وهي تصافحها الى اللقاء .

« الوحوش في هذه الدنيا كثير يا اختاه » . والشرائع لا تسن للافراد ابدا ، ولو لم يشرع منع الاختلاس للحاجة ، لتذرع بها المختلسون : « محترفو الكسب الآثم » .

النصوص اليقينية

بســـم الـه الرحمن الرحيـم

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم (٨٣) ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريتـه داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين (٨٤) وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين (٨٥) واسماعيل واليسع ويونس ولوطـا وكلا فضلنا على العالمين (٨٦) ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهـم الى صراط مستقيم (٨٧) .

(سورة الانعام ــ ٦ ــ)

فالاسلام يفرض علينا ان نؤمن بكل رسل الله سواء من ذكرهم القرآن المجيـد أو من لم يذكرهم « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص » ، « نزل عليـك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديـه ، وانـزل التوراة والانجيل مـن قبـل هـدى للناس .. » (٣ ــ ٤) .

كما يجب الايمان بكل رسل الله يجب الايمان بكل كتبه المنزلة .

« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم . ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولـو اعجبكم .. » ــ (٢ ــ ٢٢٢) .

المشركون في عرف الوحي الالهي هم الذين لا يرجعون في أصول عقائدهم الى وحي الله ..

« لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن . ولا تمسكوا بعصم الكوافر . واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم .. » (٦٠ — ١٠) .

وهذه الآية اظهرت أن التزاوج محرم بين المسلمين والمشركين مطلقا ... والحقوق تدفع لاصحابها لدى اسلام المشركة او اشراك المسلمة ...

« وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم. والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخذان .. » (٥ — ٥) .

هذه الاية أظهرت ان الكتابية يجوز التزوج منها ما دامت عفيفة والاحصان العفة لان الاسلام يحرض على العفة ليعرف الولد لمن ينسب .

« ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » . (٦٦ — ١٢) .

وهذه الآية اظهرت عفة مريم رضوان الله عليها خلاف ما اذاعه اليهود .

« واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » (٣ — ٤٣) .

هذه الآية أظهرت مكانة السيدة مريم في الاسلام .

حديث شريف :

« من قال أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله، وان عيسى عبد الله وابن امته وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه ، وان الجنة حق، وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء » .

(رواه مسلم عن عبادة بن الصامت .)

هذا الحديث الشريف بين ما يحب على المسلم اعتقاده في سيدنا عيسى المسيح ...

ومن أراد التوسع في معرفة مقاصد الآيات الكريمة فليرجع الى تفسير ابن كثير .

هذا ما كتبته ردا على محاضر جاهل ، ولكن لا ينبغي الافراط في هذا الامر ، لان الامة الاسلامية لها بنات وهن اطهر وابر واوفى .

فلا ينبغي مجاوزتهن الى سواهن الا لضرورة والدولة قد فطنت لهذه المعضلة فأمرت كل من يرغب في الزواج من اجنبية اي غير سعودية ان يحصل على اذن حفاظا على روحية الامة ووحدتها . ولي كلمة ضافية اخرى في هذا الموضوع ان شاء الله تعالى .

عيد تصفية الاستعمار

« هذه الكلمة مرفوعة الى لجنة تصفية الاستعمار التابعة الى الامم المتحدة ، والى كل رجال السياسة والعلم الذين يعملون لابطال عبودية الاستعمار » .

ان الدول الحديثة كافة ، تعمل جاهدة ، لتصفية الاستعمار ــ الى جانب الامم المتحدة ــ وانها مزمعة ان تتخذ اليوم تتم فيه التصفية عيدا لانها :

ــ في عصر الذرة .

ــ في عصر العلم والفكر والوعي .

ــ في عصر الانسجام والتفاهم .

ــ في عصر هيئة الامم ، والتعايش السلمي .

ــ في عصر العودة الى روح وحي السماء الصافي .

ومن العار ، ومن الوحشية ، ومن غرائز الغاب ، ومن الكفر بكرامة الانسان أن تظل دولة قوية ــ في هذا العصر ــ تقيد دولة ضعيفة بعبودية الاستعمار ، فتدس في اوساطها الفتن العمياء ، والمؤامرات الحاقدة ، والحروب الاهلية والجاليات الاجنبية ، توطئة للقضاء عليها وسلب ثرواتها وامتلاك اراضيها ...

وعلماء العصر النبلاء الذين يعيشون لمعارفهم الواسعة ، وأفكارهم العبقرية ، وأحاسيسهم الراقية ، يرون في أصغر عبودية اكبر اساءة للعلم والفكر والنبل والانسانية والسماء .

وانهم يبذلون من ذات معارفهم، ومن ذات أفكارهم، ومن ذات أحاسيسهم فوق ما يستطيعون لتصفية سائر العبوديات من سائر الشعوب . والانسانية تمجد جهادهم وترقب اليوم الذي ينتصرون فيه فيمنحون كل جماعة مستعبدة أسمى مثلها العليا ــ الحرية ــ . كما مجدت بالامس الذين جاهدوا وانتصروا فمنحوا كل فرد

اسمى مثله العليا ـ الحرية ـ .

واذا كانت الانسانية مجدت حرية الفرد ، ورفعتها في صميم دساتيرها منار عزة وكرامة ونبل واتخذت يوم تصفية الجماعة من العالم . وانه سيكون أسمى أيام الانسانية الراقية وأعلى منائر الحريـة المثالية الخلقية بعصر الذرة وأكبر أعيادها على الاطـلاق .

ولا احسب كاتبا الآن ـ وان بلغ أوج الابداع والعبقرية والنبوغ أن يصورها على وجهها الذي تكون عليه ... لان مأتاها من عالم المثل ، وما يأتي من عالم المثل يكون بدعا من الاعجاب ، وفتنة من العبقرية والسحر .

ولولا أن الحرية هي اثمن شيء في الوجود لما قدمت الالوف من أجلها أنفسهم الغالية .

ومفكرو العالم الاحرار مجمعون على الغاء الاستعباد الجماعي ، والقضاء عليه ومجمعون على تبادل المصالح الاقتصادية وكل مرافق الحياة بين الشعوب على اساس التعايش السلمي ، أي على أساس الحرية والرضا والتفاهم وتبادل المصالح المشتركة.

وهم يسخرون من كل دولة تحرم الاستعباد الفردي في صميم دساتيرها ولا تحرم الاستعباد الجماعي . « الذي هو الاحق بالتحريم ، والاخلـق بعصر الـذرة . وهؤلاء المفكرون الاحرار هم الذين ينقدون كل دولة تصر علـى انفاق مليارات النقود في كل عام من أجل العتاد الحربي الذري وترفض أن تحولها لاستخراج كنوز الارض وثرواتها الدفينة ومرافقها الحية ..

وكم اهابوا ويهيبون بالدول المشتركة في هيئة الامم انيجدوا في تطويرها ـ من هذه الغاية الانسانية العالية ـ حتى تصبح بمثابة دولة عالمية لها السلطان المطلـق النافذ والهيمنة على كل سياسات الدول واتجاهاتها تأمينا للحرية العامة ، والسلامة العامة والمصالح العامة دون ما طغيان او ظلم او محاباة او ضعف او اضرار بأحد .

وهؤلاء الذين يعملون لتطوير هيئة الامم ، لتكون شبه دولة عالمية كبرى تملك القيادة المطلقة، والاسلحة الذرية الرادعة والسلطة الحاكمة فيكل منازعات الدول.. انما يعملون بوحي من ضمائرهم الانسانية المهذبة وارادتهم الصارمة العاملة وافكارهم المثقفة الواعية ، لانهم يعلمون أن الحجر على الخبثاء الماكرين الاشرار ـ الذين يدسون احقاد نفوسهم الوحشية بين الجماعات والافراد لسوء نواياهم وشره اطماعهم وعـدم ثقتهم بأحد ـ لن يتحقق الا اذا تطورت هيئة الامم واصبح في مقدورهـا ان تضرب على أيديهم وتحجر عليهم قسرا ...

اما اذا ظلوا مطلقين على هذه الحال فان مؤامراتهم التي يدبرونها بمعزل عن علم هيئة الامم ستؤدي بالدول الكبرى الى حرب عالمية مسعورة ذات صواعق ذرية حمراء وذات توابع هودروجينية سوداء تقلب العالم الحي رأسا على عقب وتحيله فيساعات ركاما فوق ركام من الرماد المعجون بالدماء .

اذن فأحكم السياسات الدولية العليا وأسماها في هذا العصر ، هو تهيئـة الظروف لتسليم مقاليد السياسة العالية ، وسائر انواع الاسلحة الحديثة الى هيئة الامم لكي تصبح قادرة على ان تهيمن على سياسة كل دولة بالذات ، وترغمها علـى

الامتثال لقراراتها والاذعان لارادتها السلمية الانسانية العليا التي هي في الواقع ارادة الامم جمعاء .

اذن فمتى أصبح الحكم الفصل النافذ في العالم لقوة عسكرية واحدة . هي قوة هيئة الامم وأصبح لا ينعقد أي قرار في دولة ما بالنسبة لدولة أخرى في أية معاملة سياسة أو اقتصادية أو ثقافية او سواهن الا اذا اقرته هيئة الامم . أي اذا أصبحت هيئة الامم بهذه المكانة والشوكة في العالم . فان الاسلحة الذرية والهودروجينية ستنتهي الى أحد أمرين : اما أن تحفظ لدى معسكرات هيئة الامم، واما أن تتلف بأشرافها وبذلك تأمن الامم الى الابد انفجار حرب ذرية على حين غره.

وسواء أتلفت أو لم تتلف فان اتجاهات اجتماعية سلمية بكرا ستجد في العالم ومثلا عليا فذة ستكتشف ، وهنا ندلي بجانب منها .

سيجد رأي سلمي انساني عام يملك حق التصرف المطلق الكاسح المسيطر في اتجاهات الجماعات والافراد ومصايرهم وكل دولة تعرض سلام العالم الى الخطر... ستحارب من قبل العالم أجمع وعلى رأس المحاربين جنود هيئة الامم الابطال .

واعلان هذه الحرب السلمية الجماعية هي في الواقع بمثابة حكم بالاعدام من العالم أجمع على الباغي . ولن تتجرأ دولة ـ مهما أوتيت من سلطان وشوكة ـ ان تعرض نفسها لحكم الاعدام من العالم أجمع . وهذا الحكم القاسي بالاعدام هو منطق الصواريخ الذرية ومنطق قواعدها السريةوالعلنية كما هو فيالوقت نفسه الذي يدفع الدول جمعاء أن تجعل فريقا من جنودها تحت تصرف قيادة هيئة الامم كلما تعرض سلام العالم الى الخطر ...

٢ ـ ستحدد هيئة الامم الاسلحة وأنواعها ومقاديرها وجيوشها . حسب حاجة كل دولة بالذات . وحسب مصلحة سلامة العالم بالذات .

٣ ـ سيساعد العالم اجمع كل امة ممزقة متخلفة ضعيفة بكل أنواع المساعدات حتى تأخذ طريقها الى الوحدة والتقدم والقوة والانتاج النافع للانسانية جمعاء .

وحتى تتمكن أ تقرر لنفسها انسب الدساتير والشرائع المؤائمة لعقائدها وحضارتها وامجادها الانسانية الكريمة ، دون أن يكون في ذلك ما يسيء بسمو التفاهم السلمي العام ودون ان تتمكن أمة أقوى منها ان ترغمها أن تقيم في ارضها قواعد لارهابها أو اعوانا لاستعمارها او دخلاء لتمزيقها وقتل روحها المعنوية المكافحة.

وسيعود الدخلاء في كل أمة من الامم الى أممهم بكل سلامة واكرام ورضا اذا هم رفضوا الانصهار في مصالح الامة التي يعيشون فيها ، والانسجام مع مشاعرها المقدسة .

٤ ـ لا حدود بين الامم الا ما تحده هيئتها ، وتراه حقا مشروعا . وكذلك قضية ثروات الحدود يعود البت في الحكم فيها اليها .

ولا تسمح هيئة الامم لاية دولة أن تجعل قضية الحدود بينها وبين جيرانها مصدر شقاق وخصومات وتهديد وعنترة بين فريقين من أبناء أمة واحدة كما حصل بين الجزائر والمغرب الاقصى أو بين أمتين : كما حصل بين الصين والهند .

وكل دولة تجاوز احكام هيئة الامم في مسألة الحدود بالسلام فان العالم أجمع

سيكون خصمها المبارز الرادع .
٥ ـ ستؤيد الشعوب كافة التطورات الاجتماعية الكبرى كل التأييد . لانها في اعتبار الفكر الحديث سير تطوري سام الى الوحدة الانسانية الكبرى التي هي المثل الانساني السياسي الاعلى . ولا خطر من التجمعات السياسية في العالم ما دام أمر الجميع بيد هيئة الامم .
ولا خوف من الشذوذ والغدر والخيانة والانتكاس ما دامت هيئة الامم تملك القوى الذرية الرادعة وما دام دستورها يسمح لها بالتأديب اذا اقتضى الامر .
٦ ـ سينتهي التطور الاجتماعي الانساني الصاعد الى الغاء التعبئة الحربية في كل الامم ويستعاض عنها بحماية قوى الامن الداخلي ما دامت الوقاية من العدوان الخارجي من أعمال هيئة الامم ومن ورائها العالم أجمع .
٧ ـ ستتحول بحوث العلماء من تنمية قوى الذرة والهودروجين . الى تنمية المنافع المستخرجة من كنوز الطبيعة . والافادة منها لصالح الامم كافة دون ما تميز امة على أمة أو تفضيل أمة على أمة والى تنمية التعرف الى عوالم الفضاء الخارجي .
٨ ـ ستهتم كل امة بمسألة تنظيم أنسالها حسب اقتصادياتها ومساحات بلادها ... حتى لا يضرها تكاثف السكان لديها الى الزحف الى الامم المجاوزة والاستيلاء على مرافق عيشها وثرواتها .
ومسألة تكاثف السكان وقلة المرافق من أكبر أسباب الغزو في العالم القديم الى جانب الاطماع وحب السيادة والغلبة والاستغلال المغتصب ...
٩ ـ ستنسق هيئة الامم كل الصادرات والواردات لكل الامم في كل الاسواق التجارية العامة وستكون التنمية الاقتصادية وتوزيعها في العالم تحت اشرافها وفقا للاضرار وجلبا للمنافع والكفاية العامة والخاصة .
١٠ ـ ستتضافر الجامعات العلمية ووزارات المعارف لدى الامم جمعاء بالصعود العلمي لكل الافراد والجماعات على السواء بالاضافة الى مساعدة هيئة الامم حتى لا تحرم الانسانية من مواهب جماعة أو فرد في سبيل النهضة الانسانية العامة . وكم فرد نهض بأمم ...
١١ ـ ستنتهي الاستكشافات الخفية من وراء الفضاء والمؤامرات والعيون والارصاد الذين يدسون عادة من أوساط الامم لاثارة الفتن والاحقاد والخصومات والحروب اذ يصبح كل ذلك عديم الجدوى ولا ينال مرتكبه سوى الخسران والسقوط في أعين الجماعات والافراد ..
ولا شيء ينفع يومئذ مثل الصراحة والصدق وحب العمل والنفع العام والمواهب العلمية والادبية الفنية الخيرة اصلاعدة .
ولا ريب أن تحول هيئة الامم الى شبه دولة عالمية تفرض السلام العالمي وتؤكده بقوة السلاح وتوقف تيارات التصدي والتحدي واحقاد الاطماع الاقتصادية التي هي مثار الثورات والفتن والحروب قلى مدى التاريخ ....
وهذا التحول عليه الاعتماد في الابقاء على حياة الشعوب كافة وهو لا يلمس اية دولة بأي ضرر . وكذلك لا يضر الانسانية والسلام العام في مثلها الاجتماعية

العليا بل انه سيبني كل شعب ولا يهدمه ويجمعه ولا يفرقه ويصلحه ولا يفسده ويقويه ولا يضعفه ويسعده ولا يشقيه ويسمو به ولا ينحط .

اذن فواجب الشعوب كافة ان يستمروا في نضالهم ضد الاستعمار ، ويأخذوا بيد هيئة الامم ويؤيدوا لجنة تصفية الاستعمار التابعة لها بكل ما يملكون من شوكة وسلاح وسلطان وامكانيات .

لان اليوم الذي يرفع فيه الاستعمار من الارض ويصبح كل شعب مهما ضؤل يملك حرية التصرف وفق مصالحه واستقلاله وعقائده سيكون أول يوم تأخذ فيه هيئة الامم اهبة الاستعداد للتحول الى دولة عالمية وذلك سهل وممكن اذا اراد البشر ذلك واذا لم يريدوا فلا يستقبلهم سوى الحكم بالاعدام الجماعي الاكيد .

ومسألة وضع الدستور الانساني العالم لدولة هيئة الامم بكل مجالسها ووزاراتها هو عمل كبير جدا . لذلك لا نجد نصوص هذا الدستور الكبير الذي يشتمل على كل المصالح الانسانية العامة الخيرة الا في القرآن المجيد . وفيما يلي من الكلمات سنبسط أصول هذا الدستور الذي أوحاه الله على خاتم رسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة بالعالمين .

وهذا الدستور وحده هو الذي يضمن لكل امة مصالحها وحرياتها وثقافتها ولغتها وسائر خصائصها ومن ما ظلم او عدوان او اجحاف او أثرة . .

وتصفية الاستعمار لا يرضي العنصريين المغسولين المتآمرين على الشعوب الانسانية كافة . في الخفاء الحفاء . وبالاخص الصهاينة ، لانهم يحرضون عليه ، ويا ليتهم يستعمرون دون ابادة الشعوب والقضاء عليها ، بكل دهاء وكيد ومكر .

ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين أي هو وحده القادر على ابطال مكر الماكرين العنصريين الذين يتخذون اسم الانسانية للعبث والاضرار بها ، نعوذ بالله من ذلك .

الثقافة لدينا

ما اقدر العلماء والادباء السعوديين على استغلال مواهبهم وامكانياتهم في انتاج المؤلفات الحديثة ، ومـا احوج الشباب الناشىء المثقف الى هاتيك المؤلفات . انهـم في ظمأ الى المعرفة والادب فاذا لـم يظفروا بمـا ينفع غلتهم ويطفىء اوامهم فـي مؤلفات حديثه يقدمها اليهم علمـاؤهم وادبائهم طفقوا يلتمسون ذلك لدى سواهم . وكـل شيء استطاع الناس ان يخلصوا ما فيه من ضر الا الثقافة ، فانهم وقفـوا دونهـا عاجزيـن لانهـا : تنفذ مع الراحلين ، وتنفذ مـع القادمين ، وتنفذ مع اطواء الاثير ، وفي صحائف الكاتبيـن ، وليس في الامكـان حجز هؤلاء جميعا .

اذن فتسرب الثقافـة من ههنا وههنا الى شبابنا النهم امر محتوم . وما دمنا واثقين ان كل مـا يصدر في الخارج ليس صافيا طهورا لم يدخل على اسلامـه وعروبته دنس ، ومـا دمنـا واثقين انه ليس في الامكـان حجزه بالفعل ، فما علينا الا أن نقـلدم الى المسؤوليـن عن سلامة الثقافـة الاسلاميـة والعربيـة في بلادنا ان يعالجـوا هذا الامر بطريقـة حاسمة . وهم بحمد الله مدركون مدى الاضرار التي تلحق بالشباب اذا استمروا من وراء يفتشون على هذه الفوضـى فـي التثقيف والتأديـب .

وعلاج هذه الفوضى يسير اليوم ، ولكن اذا تفاقمت وتغلغلت في الاوسـاط استحال العلاج ، وحينئذ يلم بنـا مـا الم بسوانـا من البلبلة في الافكار ، والالحاد في العقائد ، والتطرف في الاراء ، والكثرة في الاحـزاب ، والتتابع في الثـورات والفتـن ، وانتشار الاحقـاد . .

جل العلاج يسير اذا عرفنا كيف نستثير نشاط الكاتبيـن الوطنيين ، وكيف نوقد هممهم الى اخراج المؤلفات الحديثة الى ايدي الشباب ، ومـا دام جلالة الملك

حفظه لله لفت نظر الكاتبين الى قيمة هذا الامر الحيوي وفوضه الى الاستاذ الاديب عبدالله بلخير لاجراء اللازم قبل ان يستشري الداء ، وما دام الاستاذ يعلم ان المادة هي التي تجعل المؤلفين في المملكة يصدون أحسن مؤلفاتهم الاسلامية العربية الجيدة فما عليه الا ان يعين لهم من مواضيع ضرورية قبل سواها لدرء الاخطار واشباع نهمة الشباب .

ولا يفوتني في هذه الكلمة الموجزة ان اشكر المؤلفين المواطنين الذين يملكون مواهب ممتازة ترفع الرأس وتقر العين . أيدهم الله وأعانهم فيما أخذوا به انفسهم من الشرح والذود عن حقائق الثقافة الاسلامية والعربية كما هي في منابعها الاولى .

والهمة ناشطة لايصال الثقافة في المملكة العربية السعودية الى القمة .

لاننا نسمع في كل عام افتتاح آلاف المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية وجامعية .

كما نسمع بانشاء مجلات وصحف جديدة ، كما اننا نطالع دوما مؤلفات مختلفة المواضيع لرجال من صميم الوطن السعودي .

اليس كل ذلك يدل على نمو الثقافة لدينا واننا في طريقنا الى القمة .

من اعجاز القرآن الاجتماعي

الاسلام مثل عليا واقعيـة اوحاها الله لاصلاح اوضاع الحياة الانسانية واسعادها كافة . والمثل العليا ــ مهما عظم شأنها ــ اذا لم تكن واقعية ، فهي لا تزيد عن اسطر تتلى في كتاب كجمهورية افلاطون ، او اطياف متحركة تشاهد على شاشة بيضاء في ساعة او ساعتين .

ومثل الاسلام العليا ما اوحاها الله عزوجل ، الا لتكون واقعية مفروضة على الافراد والجماعات . ولاجل أن تكون كذلك ، فرض الدعوة اليها وتأليف الجماعات والافراد حولها ، واخذ البيعة منهم ، حتى يتقيدوا بها ، ويخلصوا لها ويذودوا عن حريتها ، بالمال والنفس اذا اقتضى الامر . والبيعة عهد لالتزام الطاعةولصدق القيام باعباء بنودها .

ورسول الله صلىالله عليه وسلم اخذ البيعة على الرجال والنساء معا . والذين يدرسون بنود بيعة النساء كما هي في القرآن المجيد ، ثم يدرسونبنود بيعة العقبة الاولى يجدون الوحدة المشتركة بين البيعتين واضحة جلية . والمعروف عن الذين كانوا يقبلون على مبايعة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قريب او بعيد من الرجال او النساء ــ انهم وعوا فضائل دعوة الاسلام من قبل البيعة ، واستجابوا لها ووطنوا انفسهم على الاذعان لها وان كانت التكاليف شاقة جاهدة . واني في هذه الكلمة بسطت بنود الآية المعجزة التي نزلت في بيعة النساءكما بسطت اسرار اعجازها بالمقدار الذي تفضل الله به علي .

الآية المعجزة :

« يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور

رحيم » . الممتحنة ١٢ .

هذه الآية في سورة الممتحنة والممتحنات هن النساء المشركات اللائي كن يقبلن على رسول الله في المدينة المنورة مسلمات ـ فأمر الله بامتحانهن خشية ان يكن جئن عيونا وارصادا على المؤمنين « يأيها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ... » فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بالبيعة ، والاذعان لها ، والتقيد بها والسير على مقتضاها دليلا على صدق اسلامهن .

بنود البيعة :

١ ـ « على ان لا يشركن بالله شيئا »

من المؤكد أن الانسان اذا استطاع أن يميز بين الكائنات المادية الروحية الحادثة وبين خالقها الازلي القديم الذي لا اول له ولا تماثله شيء ما . محال ان يشرك به شيئا . ووحدة الايمان بالخالق العظيم تفضي حتما الى وحدة النفسيات وهل يختلف الناس لولا اختلاف ما انطوت عليه نفسياتهم . ولما كانت الام هي الامة ، اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد من النساء لدى بيعتهن ، « على ان لا يشركن بالله شيئا » . لان وحدة الايمان متى استقرت في أعماق نفوس الامهات انتقلت بحكم التربية والحضانة الى الجيل كله . ومن هذه القاعدة تنطلق الوحدة بين افراد الامة بصورة عملية مؤثرة تلقائية .

ولاهمية هذا البند كان الاول في البيعة ، واثره في الرجال لا يقل عن اثره النساء ، لذلك كان الاول في بيعة الرجال ايضا ... اذ به تنتظم الامة في سلك واحد وتتوحد اتجاهاتها وتتنسق اعمالها وتندفع في الذود عن الفضيلة والخير والحق بكل حماية واخلاص وتضحية .

٢ ـ « ولا يسرقن »

يستطيع الانسان ان يصحب الرجل المخالف في العقيدة بكل ارتياح ، لانه يعلم ان حرية العقيدة منحه آلهية ثابتة ، « لا اكراه في الدين ... » ولكنه لا يستطيع بأية حال أن يصحب الخائن اللص او أن يركن اليه في شأن من الشؤون ولو كان فلذة كبد او شقيق جسد .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث لتوحيد كلمة الامة ، والنهوض بها الى الامجاد وتطهيرها من ادران الوثنية والشرك ورداءة الاخلاق . وامر كهذا لن يستقيم الا بتنشئة الجيل كله على الامانة . ولما كان عهده تنشئة الجيل وهو في عمر التقليد من خصائص الامهات بصورة مباشرة . ولما كانت الامهات لا يستطعن ان ينشئن الجيل الجديد على الامانة الا اذا كن هن امينات جاء فرض التزام الامانة عليهن في اخذ البيعة منهن « ولا يسرقن » .

والخلاصة ان الامانـة قوام النهضة ومن اجل انها قوام النهضة اعتبرت لازمة في بيعة الرجال ايضا .

٣ ـ «ولا يزنين»

لا شيء اجلب للعار واراقة الدماء من الزنا . لان المرأة التي تفرط بعرضها لاجنبي هي خائنة في اقدس حق من حقوق عقدة النكاح ، ومتى فرطت المرأة في هذا الحق المقدس . فهي في التفريط بما هو دونه من الحقوق اسرع . فكم من ربات اسر مطفلات هلكن بأسوأ المهالك . وكم من ناشئات قصفن شر قصف وهل في غفلة الشباب ، بل كم من فوادح نزلت ومن فتن اشتعلت ، ومن دماء اريقت كل ذلك من الاستهانة بقداسة الاعراض .

ولا ريب ان الزوجة التي تخون عقدة الزواج التي واثقت الله عليها ولا ترى جريمة في تسليم عرضها لرجل اجنبي انما تجهل امرين خطيرين : تجهل ما يترتب على هذا الامر عادة من الاهوال في الاسر . وتجهل ان لعرضها كرامة ذات حقوق مقدسة لا تملك هدرها في كل الشرائع والقوانين . ـ مهما كانت خبيثة ـ ولو كانت عاقرا ، او اتخذت الوسائل التي تمنع الحمل . لان الاتصال الجنسي بغير العقد المشروع ، يضيع كرامتها ذات الحقوق المشروعة ، ويجعلها وسيلة لارب اثيم لا غاية لنسل كريم . ومتى اصبحت المرأة كذلك سقطت ، وسقوط المرأة يؤدي حتما الى سقوط الامة بكاملها . لان اي فرد من افراد الامة لا يرضى ان يكون زوجا او ابنا او اخا لبغي ولو كان افسق الفاسقين وافجر الفاجرين . حتى الزناة انفسهم لا يرون كرامة للمرأة المطروقة العرض ، ولو كانوا يجدون لها ادنى كرامة ، لرضوه لبناتهم او ازواجهم او اخواتهم . وهل تكون النساء اسرة اخط حرمة في اعين انفسهن ـ بله الاجانب ـ اعراضهن مباحة لكل طارق ـ الهول الهول ـ اجل كل الهول في جرائم هذه الفاحشة وفي فداحة اثارها الهدامة في الامة .

ولاجل سلامة بيت المسلم من هذه البلايا والمخازي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ على النساء . حفظ اعراضهن وهن يبايعنه ـ ولا يزنين ـ ولهذه الاسباب نفسها حرم الله اقتراف جريمة الزنا على الرجال ايضا كما جاءعين النص في بيعة الرجال . وكم افتئات في زعم الذين يرون تحريم هذه الفاحشة على النساء اشد منه على الرجال .

٤ «ـ ولا يقتلن اولادهن» :

هذا هو البند الرابع في عقده البيعة . وحِال هذا البند دقيق جدا وواسع جدا . بالنظر لمستقبل الامة وسيادتها ووعيها وقدرتها على الاحتفاظ بكرامتها وتقدمها وحريتها . لان الامة هي الام في الواقع . فلولا الام لما وجدت الامة.

وكذلك لولا الام الصالحة لما وجدت الامة الصالحة . والمرأة العادية حين تسمع نص هذا البند في القرآن المجيد « ولا يقتلن اولادهن » تعجب قائله : من النادر ان يقسو قلب الام فتطاوعها عواطفها مهما تكن قاسية ـ على قتل اولادها . والنادر لا يكون قاعدة في دستور . هذا العجب قد يكون له وجه من الاعتبار، لو لم تكن كثرة الامهات في عهدي الحضارة والبداوة يقتلن اولادهن فعلا بالوان من القتل قد لا يدركها العقل العادي لاول وهلة واليك البيان . .

اولا : القضاء على الحياة بعد وجودها قتل . والقضاء على وجود الحياة مع الامكان لون منه . اذن فالمرأة التي ترفض الزواج وتقترف البغاء سرا ، هي قاتلة لاولادها لانها تعمدت منع وجودهم مع الامكان . وكما يقال لمانع الاعطاء مع القدرة عليه بخيل . يقال للمعرض عن الزواج مع اقتراف البغاء سرا قاتل لاولاده وان كان قتله غير مباشر .

ثانيا : على الام تنشئة اولادها على ايثار العلم والخير والحق الكريم . اذن فالام التي تهمل هذه التنشئة الكريمة هي قاتلة لاولادها عن عمد . لان ضحايا الجهل والشر السيء لا يحصون عدا .

ثالثا : جهل الام بفن تربية الاطفال سبب مباشر في قتلهم . فكم هن الامهات اللائي قتلن اطفالهن بايديهن واخذن يندبنهم .

رابعا : الام التي تترك اولادها لانفسهم وان كانت فقيرة او للخدم وان كانت ميسورة فانها تعمل على قتلهم من حيث لا تدري .

خامسا : اسراف الام سبب في قتل اولادها لان اسرافها على زيناتها وسهراتها وضيوفها ، لا يبقي من الدخول ما يكفي لتعليم اولادها تعليما عاليا وتمريضهم تمريضا حسنا . وهذه حال تؤدي ـ بكل تأكيد الى قتل الاولاد شر القتل .

ان التربية المثقفة الواعية القادرة على جعل الاولاد ينهضون باوزار التبعات ويعالجون تكاليفها بحكمة ومهارة وتفوق هي الحياة بلا ريب ومهما يكن ـ من معاذير كاذبة فان انفاق الدخل الذي يصل الى يد الزوج المستهتر او الزوجة المستهترة في الزينات والسهرات والمظاهر الخداعة الطائرة ـ هو قتل عمد للاولاد .

وهذا البند كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة النساء اخذه في بيعة الرجال لان تبعة القتل تقع على الجنسين معا وان كان بعض رجال الجاهلية انفردوا بوأد بناتهم .

٥ ـ « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهـن وارجلهن »

وهذا يتناول ناحيتين :

الاولى :

ان تسعى المرأة لايجاد ولد من طريق الفاحشة سرا ، اذا يئست من زوجهـا حرصا على ابقاء الثروة في يدهـا . اذا كـان ذا ثروة . وعملها هذا اجرام مزدوج، لانها خانت زوجهـا بارتكـاب الفاحشة ، وغدرت بأمانة الله ولانها حرمت المستحقين الشرعيين من حقوقهم في اصل الثروة . وربما تزوج هذا الغلام المفترى ممن يحرم التزوج منهـن، وربمـا حرم على نفسه الزواج ممـن هن حلالا .

الثانيـة :

ان تتخذ المرأة لقيطـا وتنسبه الى زوجهـا وتزعم انها ولدته منه بهتانا مفترى. وسواء أجاءت بالطفل من طريق الفاحشة أم من طريق التقاطه فنسبته الـى الـزوج عمل اجرامـي محض وبهتان عظيم ، لانه لا ينفك ماثلا تتعثر به بين يديها ورجليهـا طول حياتها . ولا يقال أنه من باب التبني لان التبني الذي يترتب عليـه الاحكـام الشرعيـة في الميـراث والنكاح والنسب محرم في الاسلام . وفي قوله تعالـى لرسوله الكريم « أدرعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله . . » اقناع كاف للمؤمنين. وهذا البحث غير كفالة الايتام والاحسان أليهم وتعهدهم بحسن التربية والتثقيف والتنشئة الصالحـة الكريمـة . وهذا البند معتبر في بيعـة الرجال ايضا . لان المرأة التي ترتكـب الفاحشة لايجـاد الطفل المفترى لا بد لهـا من شريك وقد يوافقهـا زوجها في اتخاذ اللقيط المتبنى . فضلا عما في هذا الامر من مغالبة القدر الذي لم يـرد لزوجين أن يكونا بمقتضى الخلق نسل فاتخاذ نسل مزور هو مغالبة لا يكـون مـن مؤمـن .

٦ ـ « ولا يعصينك في معروف »

لفظة معروف من الالفاظ الكريمة المشتملة على اشرف المعاني فهل تدل علـى الاحسان وعلى الخير وعلى الحق وعلى الشريعـة وعلى العادات المتعارفة . ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بمـا امره الله . . وهل أمر الله عبـاده الا بمـا فيه أسعادهم في الدارين . وهذا هو المعروف المقصود فـي الآية . وأخـذ البيعـة على هـذا المعروف ضرورة حتميـة للنساء والرجال معا . وهذا الذي كان. فالمجتمع لن يكـون مثاليـا راقيـا لـه المكانـة المرموقـة بين المجتمعات وله الاسم الكبير والمجد المؤثل والحضارة الممتازة والطهر والصفاء . الا اذا كان متقيدا باصـول بيعـة كهذه التي قيـد بهـا رسول الله مجتمعه الاسلامي من اول يوم ، هذا جانب يسير من اعجاز الآيـة ولعل الله يوقظ علمـاء اماجد عبقرين يكشفون الكثير ممـا تشتمل عليه الآيـة من الاعجاز . لان اعجاز القرآن المجيـد لا تزال ينابيع معارفـه تتجدد بتجديد الحضارات ولا تقف عند حد لانه مصدر علم الغيب الالهي .

أدوار الوثنية

ما دام الانسان وهو في عصر الذرة وارتياد الكواكب ، لم يحط علما بكل حقائق الكائنات المادية والروحية ، وبين يديه آلاف المكاتب الكبرى التي تذخر بآلاف المجلدات الضخمة . فما يكون منه وهو في عصر الحجر والمغاور يفقد كل معارف السماء والمعارف المكتسبة ، لا ريب ان الانسان في العصر الحجري كان يتطلع الى العوالم المحيطة به تطلع الخائف الحذر وكان اذا شاهد من ظلمات مغارته هذا الفضاء الفسيح ، ولمح خفق البرق وسمع دوي الرعود استولى عليه الرعب ، واعتصم بأعماق مغارته من هول تلك القوى الصاخبة المجهولة . وكان لا يخرج الا اذا شاهد الجو ساكنا والسماء صافية صفاء المرآة .

وكان اشد ما يخيفه من قوى الطبيعة ، البراكين المشتعلة والزلازل المدمرة والصواعق المحرقة . ولم يجد الانسان في ذلك العصر الحجري ، ما يعتصم به من المخاوف سوى الاحجار فاتخذ منها مرافقه واسلحته ، كما اتخذ منها شخوصا واعتقد على توالي الايام ان لتلك الشخوص سلطانا على الطبيعة فأذعن لها ، كما اعتقد انها نهمة تكلف بأمتصاص الدماء فقدم لها القرابين البشرية ومن جراء ذلك الاذعان وتلك القرابين نشأت عبادة الشخوص الحجرية وناهيك اذا كانت ترمز الى شيخ كبير او بطل جبار . وهكذا نجد وثنية عبادة الاحجار ، اقدم من وثنية عبادة الحيوان والانسان ، كما ان الضحايا البشرية التي كانت تذبح على اقدام الانصاب ، هي اقدم الوان العبادات الوثنية .

وكان الانسان القديم يشاهد الحيوانات تنساب من مخارم الاودية وتختفي بين الادغال اذا فاجأها الخطر . وقد تمر حيال كهفه ، فاذا شاهد ضعفاءها اتسعت عيناه ورقص قلبه خشعا وهجم عليها مقتنصا ، وان ابصر اقوياءها ارتاع وانكفأ الى اعماق مغارته خشية الافتراس . ومن هنا تسربت اليه عبادة

الحيوانات ولا تـزال الى اليـوم لدى بعض الجماعات بقايا عبادة الاحجار والحيوان.

وحين تطورت البشريـة بعض الشيء في المجموعة العضوية والنفسية اي في العصر الحديدي اخرجت رجـالا نظروا في الكائنات نظرات فيهـا لمحات من الفكـر موازيـة للحياة الاجتماعيـة التي ارتقـوا اليهـا فأتخذوا من اجرام الطبيعة معبودات حديثة ، وجعلوا بينهـا وبيـن المعبودات القديمـة شيـئا من الصلات متأثريـن بالايحاء الوراثي . فعبدوا الشمس والنجوم والنار والنور والظلام وبعض الاشجار . وكـان الانسان القديم يعرف الارواح ممـا كـان يتسرب اليه مـن معارف الوحي السماوي المنزل على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وان كان الذين اتبعـوا الرسل قلائل جدا وفي مواطـن خاصـة .

وقد ساعد الاهتداء الى معرفة الارواح الرؤى والاحلام . وبعد التعرف الـى الارواح ازدرى الانسان عبادة ذات الاحجار والحيوان ، وادرك انهـا احقر من ان تكون هي الالهة الخالقة للعوالم بل عـزا خلقها الـى الارواح ومـن هنا صعـد الانسـان الـى عبـادة الارواح متصورا أن الآلهة الخالقة هي ارواح تحـل في مـا يعبـد البشر من حجر او شجر او حيوان ،ومن فكرة نسبة الخالقيه الى الارواح ومن سيـر الصالحين المصلحين من البشر ، ومن المبالغة في ذكر خوارقهم ارتقى الانسان الـى عبادة روح الانسان وعزا الخالقية اليه ، لظهور الخوارق على يديه ، وعدل عن عبادة الارواح التـي كـان قد تخيلهـا حالـة في الجمـاد والنبـات وبعض الاجـرام الطبيعية .

وتفاقمت فكرة تأليه روح الانسان حتى افضت الى عقيدة ان خالق الوجود روح ازلية قديمـة مدركـة قادرة تحل في مـا يعبد . وتطورت في مضاعفاتهـا النحـل الوثنيـة المختلفـة حتى افضت الـى عقيـدة حلول الروح الكلـي العام وعقيـدة وحـدة الوجـود ..

هذه فلسفة نحل العالم القديم الوثنية ، وهذا ميراثها التقليدي في تعقيـد حياة الانسان الاجتمـاعيـة وفي تناكـر عواطفه المتباينة التي يعجـز العلم عـن تقويمهـا . وقد جرت حكمـة الله ان يرسل في كل فتـرة تنحـل فيهـا الانسانية وتضطرب بواعث الوجدان والضمير ، وتطلق الغرائز ويستطير الالحاد ، وتفقد موازين المنطق ومقومات الاخلاق رسلا يقومون المعوج ويهدون الضال ويرشدون الى حقائق الايمان ومكارم الاخلاق .

وما حجر الحرية الفكرية واستبداد الفرد وتحكيم طبقة من الناس ، وتسخير الطبقـة الفقيرة والفوضى في توزيـع المعايش الا بعض النتائج الطبيعيـة لخصائص مواريث العصر الحجري . وتنافر عواطفه وارسال غرائزه على هواها . هذا خاتـم

الاديــان السماوية ــ الاسلام ــ الذي هــو صفــوة الاديــان السماوية وفيضهـــا الابدي الغامر قد اعلن ذلك في محكم وحيه ــ « شرع لكم مــن الدين ما وصى بـــه نوحــا والذي اوحينــا اليك ومــا وصينــا به ابراهيــم وموسى وعيسى ان اقيموا الديــن ولا تتفرقــوا فيه » .

اجل افتتح الاسلام جهاده بتقويض بواعث المجموعة النفسية المنبثقة عن عوامل العصر الحجري وتشيد بواعث جديدة منبثقة من صميم الحقيقــة الازلية الخالــدة ، وعلى هذه الاسس القويمــة المكينــة اقام الاسلام صروحه العليــا . وهي تتناول كل اوضــاع الحياة المثاليــة العادلــة الاصيلــة واهمهــا هي :

١ ــ تركيز الايمان الصحيح بالحقيقة الازلية الخالقة والقضاء على الوثنية والاشراك .

٢ ــ اعلان حقيقة الايمــان بالاديان السماويــة وبالكتب الموحــاة والرســل الذيــن ارسلوا صلوات الله عليهم اجمعين .

٣ ــ لا توسط لاحد من علماء الذيــن بين الله عزوجل وعبيده .

٤ ــ العوالم المادية مسخرة لفكر الانسان ونظره ودرسه .

٥ ــ الحرية الاختيارية والفكرية فطرية في خلق الانسان .

٦ ــ لا تفاضل من الجماعات والافراد الا بالاعمــال الصالحة .

٧ ــ الدعوة للتقدم العلمي وجعله جزءا من العبادة .

٨ ــ الاسلام دين الفطرة ودين الله هو الاسلام .

والنهاية ان الوثنية كالاشراك سم زعاف تقتل بحلاوة العسل المغشوش المسموم باسم الدين والتوحيد والايمان. كذلك الوثنية دخلت الاديان السماوية قديما بأسلوب الشيطــان .

وما جاء الاسلام ونزل القرآن الا للقضاء على الوثنية لانهــا كفــر وبلاء وفتنــة وداء عيــاء .

اعجاز القرآن العلمي

« وهذا قائل جاء في الزمن الاخير » ينتدب تأليف مجمع علمي حديث : « يخصص لدراسة القرآن ـ المجيد ـ دراسة علمية صرفة . واحسبه يتخيل ان هذه الدراسة ، ستخيف خمسمائة مليون مسلم « يعتقدون ان هذا القرآن هو كلام خالق الوجود ، لانها ـ على زعمه ـ « ستكشف ان القرآن يشتمل على آيات كثيرة تخالف واقع العلم ... »

والنتيجة التي ينتظرها من وراء هذا المجمع العلمي ، هي تكذيب نسبة القرآن المجيد الى خالق الوجود .

والواقع ان هذه الدراسة العلمية الجماعية ، هي امنية المسلمين كافة جماعات وافرادا وهم أشد الحاحا منه في طلبها وتحقيقها ليلا ونهارا . لانها لا تخيفهم أبدا ولو نفذ العلم بالبشر من أقطار السموات والارض بين عوالم الكوكب ..

ولو انها تخيفهم لما كان القرآن المجيد هو كلام الخالق العظيم . بل هم اليوم في كل قطر يفاوضون من بيدهم الثروات الاسلامية ان يرصدوا جانبا منها لتحقيق هذه الدراسة العلمية العالية خشية ان يتولاها سواهم ممن لم يكتب لهم التعمق في لغة العرب وآداب العرب ، والسعة في العلم واصول الدراسة .

يا هذا !!! لو ان امثال هذه الدراسات للقرآن المجيد تخيف المسلمين ، لاخفوا آيات التحدي الصارخ ، ولاوعزوا ـ الى القراء ـ ان يكفوا عن تلاوتها . في مختلف الاذاعات . وهل آيات التحدي التي تذاع على البشر اجمعين من كل مكان ـ صباح مساء ـ الا صرخة جبارة في أوجه المرتابين وتحميس لهم ولأربابهم الذين

يدينـــون لهم بالقوى الخارقة ، ان يبذلـوا كـل امكانياتهم فرادى ومجتمعين ليرتفعوا بشكهم المزيف المتهافت الى ذرى اليقين العلمـي .

وباب التحدي مفتوح على مصراعيه ، وفيه اعلان مؤكد بالنصوص القطعية انهم يعجزون ابدا : « وان كنـتم في ريب ممـا نزلنـا على عبدنـا فأتوا بسورة من مثله وادعـوا شهـداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لـم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقـوا النـار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين « ٢ ــ ٢٢ و ٢٣ » . « قـل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كـان بعضهم لبعض ظهيـرا » ١٧ ــ ٨٨ .

وانخذالهم عن التجمع لاجراء المعارضة هو اكبر برهـان علمي قطعي مشاهـد يعلـن انهـم في ريبهم ظالمـون مفترون ، وانهم ثرثارون فاشلون أوغاد ، وانهـم لا يملكـون الا الدس والافك والنزال الجبـان من وراء وراء .

الا فليعلم هؤلاء المرتابون الفاشلون ان هذه الدراســة العلميـة الحديثة المحررة من لوثـة التقاليد والجهل والافك والعبث والدس هي مطلب القرآن المجيد ومطلب المؤمنين كافـة من قبـل ان تكـون مطلبهـم .

وما دام يلذ لهؤلاء المرتابين المبطلين أن يحولوا شمس اعجاز القرآن المجيد مـن المشرق الى المغرب . وما داموا يتخيلون ان ذلك في امكان العلم الانساني وهو فـي عصر الذرة وقد تقدم عما كانت عليه في عصوره الاولى بمسافـات لا تقاس أبعادهـا بالاميـال والفراسخ بـل بأبعـاد السنين الضوئية الخيالية .

وهذه آيات القرآن المجيد ما تزال تتحدى المجامع العلميـة الحديثة كما تحدث المجامـع العلميـة القديمـة بالامس .

ولا امنية للمسلمين ولا الذ ولا أسمى من أن يقدم عباقـرة العلمـاء ومفكـروه على دراسة آيات القرآن المجيد دراسة علميـة عميقـة محررة لا هـوادة فيهـا ولا غرض لهـا سوى كشف واقـع المعرفة ــ الذي هـو غرض الانسانية الصاعدة الاول والاخير ــ . ولو انهم اقدموا على ذلـك لانقلبوا اشد ايمانا بـه من المسلمين انفسهم، اسرعوا فـي بذل الاموال والارواح من أجل توسعه هـذه الدراسة وتخصيصهـا بالمجامع العلميـة والادبيـة والتشريعيـة واذاعتهـا وتعميمهـا في الشرق والغـرب لتستفيـد الانسانيـة جمعـاء من مثلهـا العليـا ، اذ لا مخرج لهـا من مأزق الالحاد المادي الضاري الحقود المبارز الا بالاقبال على هذه الدراسة باخلاص وصدق وتضحية وعزيمـة وجلـد . وانـي اعتقـد ان تبعـة اهمالهـا تقع على عواتق الاثرياء كافـة مسلمين وغيـر مسلمين ، لان القـرآن المجيـد انزل لاصـلاح الانسانية جمعاء وان

كان القسط الاوفر من التبعة تقع على المسلمين منهم . ولولا هذا الاهمال الآثم من ناحيتهم لما كان يذاع ما يذاع من شبه مدخولة حول معجزات القرآن المجيد . وهي وأن كان لا تخيف العلماء ولا أشباههم ولا تضيرهم في قليل أو كثير في حقيقة ايمانهم بجلال اعجاز القرآن ولا تنقص منه مثقال ذرة أو أصغر . الا انها تضير الناشئة الذين يتلقون العلم بقلوب فارغة ، ويلتهمونه من هنا وهناك التهام المقوين وان تعمدوا ان يلوثوه بأفتك الاوبئة واخبث الادواء من شبهات وظنون ومفتريات واباطيل .

واذا كان تأليف مجمع علمي لاكتشاف معجزات القرآن يقتضي نفقات باهظة ليس في استطاعة ثري واحد مهما بلغت به حماسة الايمان بالقرآن ومعجزاته، ومهما صدقت نيته في ان يقدم له عملا مجيدا خالدا ، فلا اقل من ان يرصد هو وامثاله جوائز للعلماء الذين يوفقون في اكتشاف اي جانب من معجزاته على طريقة جوائز نوبل من اجل السلام ، فان ذلك ممكن وسهل ، ومنافعه لا تنتهي عند حد .

يكفي انه يكشف لشباب العالم الصاعد حقيقة معجزات القرآن ، ويحفظ لشباب الاسلام صفاء عقيدتهم ، وينأى بهم عن غواية الملحدين ويمسك بهم عن الانزلاق في مهواة اباطيلهم وشرورهم ، ويحول دون ان يندفعوا في تبديد ثرواتهم وما ورثوه من تليد في سبيل شهوات زائلة ستقضي عليهم وعلى امتهم ان تركوا دون ان تملأ نفوسهم وعقولهم القناعة العلمية بجلال اعجاز القرآن الذي يدينون به والناشئة بعد ــ من كل امة ــ في هذا العصر مقبلون على التوسعة في الدراسة والاطلاع والفهم الصحيح لحقائق الاشياء بلهفة وشوق .

ولولا انهم مقبلون بلهفة وشوق لما شيدت في كل مكان آلاف المطابع ، واسست آلاف دور النشر وسوى ذلك من وسائل الثقافة الحديثة التي تضم الى جانب الخير اوسع جوانب الشر ، والى جهة الهدى كل جهات الضلال ، والى الصعود العلمي للتعرف الى واقع معارف الاشياء اعمق مهاوي الانحراف المتعمد المرصود، والى الدعوة الى الاسلام والعروبة ووحدة الكلمة كل دعوات الالحاد والشعوبية الحاقدة المتربصة بالعرب والمسلمين لتمزيق كلمتهم وفصم عراهم ودفنهم احياء ..

ومهما يكن فواجب الذين يملكون المال الكثير من المؤمنين بأعجاز القرآن المجيد ، في هذا العصر ان يرصدوا في كل بلد جزءا يسيرا من ثرواتهم تجعل كجوائز تحمس علماء الشرق والغرب ان يقدموا دراسات حديثة تدور حول كشف معجزات القرآن العلمية وسواها ...

وهذا اقل واجب يقوم به مؤمن بالله ورسوله والكتاب الذي انزله هدى للناس اجمعين .

مبادلة الثقة بين الناس

ثقة الانسان بأخيه الانسان من هبات السماء .

و« الثقة » طمأنية القلب للقلب ، وصفاء الوجدان للوجدان ، وطهر النية للنية ، ومقابلة الايثار بالايثار ، والتسامح والنجدة بالنجدة ..

وأنى للارض أن تهبها ، وهي لا تملكها ؟!! . وهذه شعل نزواتها لا تخمد، وحواجز تخومها لا ترفع ، واطماع جشعها لا تنتهي الى غاية .

ومن خراب الوجدان أن يسمي عباد المادة نهم اطماعهم الخاصة وصلاتها التي ترتبط بها عادة ثقة انسانية ، وان كانت في أعماق انفسهم أوهى من بيت العنكبوت .

وما دامت المصالح هي التي تقيم ثقة الانسان باخيه الانسان في اعتقادهم فلن يهبط السلام من السنتهم الى قلوبهم ، ولو اقاموا له الف مؤتمر ومؤتمر . ووقعوا باسمه على الف صك وصك .

ولعل طيران الفيلة الى عوالم الفضاء ، اقرب تصورا من سلام يقيمه انسان اناني خبيث يبدو في الف لون ولون ، اي يبدو وفق مصالحه الخاصة ، وعلىالانسانية والسلام الهبل ، فهو في آن واحد امين وخائن ، وصادق وكاذب ، وعدو وصديق، ووديع وبطاش ، وخير وشرير ، ومسالم ومحارب ..

ولن يستمر سلام بين اناس الثقة بينهم مفقودة . والثقة مثواها القلب ، واستمراره متوقف على استمرارها فيه . سواء أكان بين انسان وانسان ، او بين

جماعة وجماعة ، أو بين كل أمم الانسانية جمعاء .

ومن ايـة سماء ؟!! ومن ايـة ارض ؟!! تهبط الثقة الى قلـوب زعماء البشر الحاليين وهم لاعداد العدد الفتاكـة يروحون ويغدون ، في خبث ومكر آناء الليـل والنهار حذر انقضاض المفاجآت المبيدة .

اني تكون الثقـة ؟!! وكل زعيم لا يماري ولا يداجي ، ولا يخدع ولا يكذب ، ولا يحقد ولا يتربص يعد من سقط الساسة .

انى تكون الثقة ؟!! وكل عضو يرسل الى مؤتمـر يحمل في جرابـه الـى جانب مناقضات المطامع ، وحيل المكايد ، وخفايا المؤامرات ، ومساوىء الدسائس، البسمات المغلفة بالمجاملات الانيقـة ، وعزوبة المـودات المتلونة بألـوان الحرابـي، ومظاهر أداب الحضارة المادية الخداعـة وفقـدان الثقة علـى الرغـم مـن ادعائهـا والتظاهر بها هـو داء لانسانية المزمـن المواكـب عصور الغابات ، وعهـود الحضارات معا . وهـو المجاور لبواعث الغرائز ومجـالات العواطف منذ الخلق الاول.

فهل يدخل في امكـان أتربة الارض البشرية ــ وهذا خلقهـا ــ ان تدخل الثقة الـى قلوبهـا ــ والثقة نور ــ اذا هي لـم تصعـد الى خصال الملائكة ، بسلطـان الوحـي الآلهي المعجـز .

أجل لن تتم ثقة صحيحة ، بين الاتربة البشرية المدركة ، حتى تنزع من مجموعتها النفسيـة طبائع الارض وبواعث اطماعهـا المادية ، وحينئذ تصبح اهلا للصعود وهؤلاء البشر الملائكـة الذيـن أتم الله تصفيـة قلوبهم بسلطان وحيه ، من خبائث الارض هم رسل الله الاخيار ، وأتباعهم الاطهار ، واذا لم تضىء قلوب البشر سماء مشرقـة ومثل وحي عليـا ، وهدايـة رسـل كرام فـلا مفر من فقـدان كل ثقـة صحيحـة بينهـم .

ومـا دام زعمـاء الشعوب انفسهم اليوم عاجزيـن عن تبادل الثقة الصحيحـة بينهم عجز أهل الادغال والمغاور بالامس من كل الأوجـه فمـا بالك بمـن دونهـم ثقافـة وفهمـا ووعيـا .

وانهم يعرفون من انفسهم قبل سواهم انهم اعداء الثقـة الصحيحة فيما بينهم، واعداد التفاهم والتسامح ، واعداد استمرار السلام خضوعا لتباين مطامعهم المادية. الا انهم تفاديا لابادة الحرب الذرية المقبلة وكوارث سوء التفاهم يتظاهرون بتصافـي الثقـة ، ويتغنـون بأطياف السماء ، ويتبادلون الاجتماعات ، تهدئة للخواطر ، وتصفية للجـو . والتصفيـة ممكنـة .

وهم يلجأون الى كبت غرائزهم ، حين يلجأون الى مثل هذه المجاملات التي تفرضها عليهم أهوال الحرب الذرية المقبلة لكي لا تفلت خيوط التفاهم – وأن كانت رقيقة واهية – من أيديهم في ساعة طائشة مجنونة .

وهم اذا لم يقوموا بمثل هذه المجاملات السياسية الحديثة يسقطون في اخطار قد لا يستطيعون الخروج منها ، وحينئذ يقابلون في شعوبهم العالم بلعنة الله وملائكته ، ولعنة الآباء والامهات ، ولعنة الناس أجمعين .

ومهما يكن فالثقة غالية ، وهي لا تنبع من الارض وانما تنزل من السماء، تنزل بها كتب الوحي الآلهي الى المؤمنين الخاشعين الذين يحملون قلوب الاطفال وعقول الفلاسفة الذين يفقهون قيم الوحي الالهي ومثله العليا ، واصلاحاته السامية . واين هم المؤمنون الواعون العباقرة بين كبار ساسة اليوم ؟!! . ولو أنهم وجدوا لما اضطروا الى أن يلجأوا الى مظاهر المجاملات والى ترصد الاستعداد الى الاخذ والرد في حلقة المصالح الخاصة . ولو انهم وجدوا لادركوا ان في وحي الله سموا في التشريع فوق كل سمو ، ونبلا في الاخلاق فوق كل نبل ،ورفاهية في الاقتصاد فوق كل رفاهية ، وعدلا في الاحكام فوق كل عدل ، وسعادة في الاجتماع والحضارة والتقدم والعلم فوق كل سعادة . .

انهم مفقودون ، ولا ظلال لهم في مؤتمر من المؤتمرات التي تعقدها هيئة الامم ولا في ندوة من ندواتها السياسية . وهيئة الامم مفتقرة الى اعضاء انسانيين اوفياء ابطال يحملون عقيدة النضال والفداء والتضحية من اجل مبادئها . لان هيئة الامم تطمح أن تتحول الى دولة عالمية انسانية تجمع تحت لوائها الدول جمعاء ، دون قيد أو شرط . وتبعة تخلف هيئة الامم عن بلوغ ذلك ، لا يتحملها ساسة دولة بعينها وانما ساسة الدول جمعاء ، بيد ان شطر التبعة تعود الى تحكم وراثات اجيال الغابات ، وايحاءاتها في هواتف مجموعاتهم النفسية . وهم في عصر الحضارة الحديثة ومن المجازفات العاصفة حصر التبعة في ساسة دولة بعينها .

والذي يدين له الفكر النير هو شمول المؤاخذة على سواء بين افراد البشر عامة لانهم انصرفوا أجمعين عامدين الى ربط اعمالهم بأهداف مثل وحي الله العليا ، ولم يبق سوى الذين يؤمنون بألسنتهم ، ولا غناء فيهم للسلام والانسانية والهدى والخير .

وهكذا اساء البشر جميعا الى انفسهم قبل ان يسيئوا الى احد سواهم ، واذا لم يسارعوا في العودة الى الاخذ بوحي الله بصدق وايمان واخلاص وفداء فلا بد أن تنزل لعنة السماء بهم ، ويا هول الامر ساعة نزولها ، انها ساعة خاطفة ساحقة حاصدة وانها آتية لا ريب فيها ، وكل آت قريب .

من قصص أمثال الجزيرة العربية

كـــان سهل بن مالك الفزاري ذا وعي وفكـــر نافذ ، وكان ذا منطق عذب وقول فصل ، اي كـــان اديبـــا اريبا على رأس قمه بين ابناء الجزيرة، اسمه كبير وذكـــره حسن ، وشرفه معروف ونجـــاره اصيـــل .

كان محبوبا لدى ملوك العرب ، وكـــان النعمـــان بن المنذر ملـــك العراق يؤثره بمودتـــه وتلذ لـــه زيارته فكـــان اذا وفـــد اليـــه ابتهـــج به ، واحسن وفادته وبالغ فـــي اكرامـــه ...



اتفق لسهل بن مالك الفزاري في احدى رحلاته الى العراق ان يعرج في نجـــد على بعض أحياء طي ، واراد أن ينزل ضيفا على سيد أحياء طي ، حارثة بن لأم فلـــم يجده ، فأحب أن يتحول الى سيد آخر ، ولكن امامة ابنـــة لأم شقيقة سيد الحـــي رفضت ذلك وقالت : « انزل على الرحب والسعة » . ثـــم أخـــذت تلاطفه وتحسن استقباله وتكرمه أبلغ الاكرام بما يليق بسيد عظيم كسهل بن مالك .

وطالما نزل سهل ضيفا في أحياء العرب وطالما لقي من الحفاوة والاكرام مثلمـــا يلقاه في هذا الحي . فالعرب جميعا كرماء وأبطال ميامين يحبون الضيف ويؤثرونـــه على أنفسهم بكل ثقة واخلاص .

ولكن سهلا لا يذكر انه أحس في كل الاحياء التي نزل بها ما أحس في هـــذا الحي في هذه المرة من سعادة القلب التي تفيض فيضانا وتمور في نفسه وتشرق بهـــا وتغرب . في ألوان من المفاتن السحرية. اجل انه رأى نفسه فجأة حيال فتاة احلامه، حيال غادة خفيفة الظل زهراء جذابة اديبة تنطق بعقل وتحتفي به بلباقة وظرف .

★ ★ ★ ★

هكذا كانت الايام التي قضاها قليلة ، وكان بوده أن تطول الى غير نهاية ، ولكن ماذا يفعل وهو ضيف ، والضيف عادة لا يستمر في حي من الاحياء وبالحرى انه أعلن وجهته الى العراق، واحس انه أطال المكث أكثر مما اعتاد أن يطيله في حي من الاحياء.

وهنا أحب أن يعلن ما يعتلج في نفسه من رغبة ملحة في طلب يد الفتاة التي شاهد من عقلها وظرفها وجمالها ما شاهد ، احب ان يعلن ذلك بنفسه لانه لم يجد من يأتمنه على تبليغها رغبته بالصورة التي يهواها دون أن يساء به الظن أو تشوه سمعته الكريمة بين أحياء العرب او يسيء الى التي احسنت وفادته وبالغت في اكرامه.

وقد اخذ يفكر في الخطة التي يدلي بها اليها رغبته ، فان الدنيا ضاقت في وجهه على رحبها ، واسودت أمام عينيه الارجاء واختلطت عليه الافكار وجفاه الغمض وأضواه الهم واكبر أن يرحل قبل أن يعرف رأيها في هذا الامر .

وكان يتصور أنها لو رفضت قتلته ، ولكن الامل ما يزال حيا في نفسه ، قويا في فكره ، عذبا في لسانه ، طلقا في محياه ، على رغم ما تنتابه به الهواجس من الم وسهد . واخيرا اعتزم ان يحتال لاعلان رغبته لها بطريقة بعيدة عن الريبة ، قريبة من الطمأنينة والثقة .

وفي صبيحة اليوم الذي اعتزم فيه أن يرحل دنا من خبائها ، وجلس حيث تسمع حديثه ، ولا تراه ، واخذ يردد هذين البيتين :

يا اخت خير البدو والحضارة — كيف ترين فتى فزاره
أصبح يهوى حرة معطاره — اياك اعني واسمعي يا جاره

وكان سهل يترنم بهذين البيتين من خلف خدرها ، وهو مطرق خجلا في نفسه، مرهفا اذنيه ، لكل نأمة او حركة ، خشية ان يسمعه أحد خدمها فيساء به الظن، ويوصم في شرفه ونبالة مقصده ، والعربي الصميم أشد ما يخشاه أن يوصم في شرفه ونبل مقصده .

★ ★ ★ ★

اما هي فان ايام ضيافته مرت بها كغمضة فاتنة او كسنة حلوة اشعلتها افكارا يقظة لكل حركاته وسكناته لان قلبها كشف لها ما في نفسه وتبينت اعجابه الحائر الملح بها ، في صباحه ومسائه فهو ابدا بين الاحجام والاقدام ، يقدم حين تبدو ولا ثمة عيون ولكن في أفكاره ..؟! ويحجم حين يجد الاضاد بين يديه ، ولكن في افكاره ..؟! وان كانت ابدا روحه ترفرف حواليها في اقدامه معا ..

وقد هدتها حاستها المرهفة اليقظة انه جاد في حبها وأنه يضوي يوما فيوما حتى لتكاد سريرته تحسر عن وجهها بين يديها ، كلما اقبلت ، وان كانت تعتقد انه لا يبدو منه شيء من ايماء الى ما يريد أن يبوح به في غياب اخيها ، لانها تعلم أنه سيد كريم مهذب ، وانه ابن سيد كريم مهذب ، وانه يرى ذلك خيانة ، لا تليق بعربي ابي اصيل ، زد على ذلك سمو الارومة وحقوق الاسرة ، وسمعة الكرامة ، وحق الضيافة.

من أجل ذلك ما كادت تسمع تعريضه ببوح حبه لها ، في بيتيه اللذين رددهما

على مسمع منها ، من حيث لاتراه ولا يراها حتى ثارت ثائرتها على رغم ما في قلبها من لواعج وأمان ، وصدته صدا عنيفا بقولها: « ويحك ما هذا بقول ذي عقل أريب ولا رأي مصيب، ولا أنف نجيب. فأقم ما اقمت مكرما، ثم ارتحل متى شئت مسلما» . .

★ ★ ★ ★

طاش عقل سهل حين سمع منها ما سمع ، ولم يكن يعتقد انه سيصفع بمثل هذه الكلمات العنيفة الجارحة لانه يعلم من نفسه أنه طاهر النية للغاية ، وما تعجل في البوح برغبته في طلب يدها ، بهذه الصورة التي ازعجتها الا لانه مزمع على الرحيل ، وهو في حرقة ولهفة ليعرف رأيها في هذا الامر الكريم قبل أن يعلن الطلب لصديقه حارثة بن لأم ، ولكنه حين صدمته بهذه الثورة العنيفة صرخ من اعماق قلبه قائلا دون وعي : « ما اردت منكرا وا سوأتاه !! » .

وهنا أحسست أمامة أنها شطت في الصد ، وأن ثورتها كانت عنيفة جدا لا يجمل ان تقابل بها سيدا مثله في الوقت الذي رات من سمو أدبه ورفعة شمائله وكريم اخلاقه الكثير الكثير . ولماذا يصد بمثل هذا العنف ، وكل ذنبه لديها انه اومأ الى رغبة كريمة بكل لطف وادب وذوق سليم أنه طلب يدها ومن حق كل شاب ان يعلن ذلك بمثل ما أعلن ومن حق كل فتاة أن ترفض اذا لم يرق لها الامر ، ولكن في حدود المجاملة والادب ، والخلق الكريم . ولو لم يكن حارثة بن لأم غائبا لما لجأ الى مثل ذلك التعريض المتحفظ . .

وقد أدركت أنها اخطأت في تعنيفها ، وأنها تجاوزت الحد في الغضب الذي لا مبرر له ، مثله تكفيه الاشارة ، لذلك أطرقت حياء وقد حز في نفسها الندم ما حز وقالت له بصوت خافت ينهمل بالاسى : « صدقت ، صدقت ، » .

★ ★ ★ ★

ارتجل سهل وفي قلبه جرحان عميقان : جرح الحب وجرح الاخفاق ، ولعل ما جعله في ظلمات من الحيرة ووهاد من اللوعة والحسرة هو رفضها بتلك الصورة العنيفة ، وكم توجع لسوء حظه منها ، وكم لعن تلك الساعة التي جعلته يعرج على حي طي ، ولكن قلبه ينكر عليه كل ذلك ويأخذ في الخفقان والشوق اليها ، وكم شاهد الفجر حواليها مشرقا ، والربيع في ارجائها منورا . وحينئذ ينحني على نفسه باللائمة حيث تعجل في كشف سريرته وكان بوده لو تركها في اعماق قلبه دفينة ، وكان بوده لو ظل اياما اخرى ، ولو ظل الى الابد بجوارها كأوتاد خبائها متجنبا ذكر كل شيء يسوءها ، ولكن كيف يبقى وهو سيد من سادات العرب وزعيم من زعمائهم . بل وكيف يرضى بالبقاء بعد أن قوبل بذلك الرفض ، وبقاؤه بعد الرفض يعد تطفلا، واحيانا يشتد به الغيظ فيخاصمها في نفسه ويثور ثورة البركان مغاضبا مهددا عواطفه بقوله : « لا ، لا لن اذل نفسي ولن أعود الى ذلك الحي أبدا ، وسأتخذ لعودتي طريقا آخر » ، ولكن أنى يتم له ذلك وطيفها الحبيب يبدو في أعماق قلبه كالقمر بين السحب ضاحكا جذابا ، فينخذل امامه فيهتف ويقول : « لا ، لا ، يا ابن مالك لا بد

لك من العودة الى حي طي ، ولا بد من زيارة ابن لأم » ، وهكذا قضى أيام رحلته الى العراق وهو في لجة من الافكار طاغية يسمع فيها ما لا يسمعه سواه ويرى دون رفاق الركب ما يرون ، فيضحك تارة ويحزن اخرى ولا يعلم احد ما اضحكه ومـا احزنـه حتى وصل الى العراق .

★ ★ ★ ★

لم يجد سهل بن مالك ما كان يجده كل مرة في العراق من الافـراح والبهجـة والانس ، في قصر النعمان بن المنذر ، حتى ان النعمان نفسه احس انه على غير الحال التي يعرفها فيه ، فمنحه من اوقاته على ضيقها فوق ما كان يمنحه اياه في العادة، وبالغ في الانس به والحفاوة ، وطلب اليه أن يطيل مكثة لديه ولكن سهلا كان يحس أن الدنيا مطبقة عليه بظلماتها ومخاوفها وبلابها وأشباحها الصارخة الضاربة فأعتذر بلطف للنعمان ، وطلب ان يسمح له بالعودة الى اهله بعد أن قضى في العراق اسبوعا خاله أعواما ، وما كان يخفف عنه بعض هواجسه الاليمة الا رجاؤه أن يعرج الى طـي في العودة الى أهله . . . والا ما كان يمنحه لكل طائي رآه في العراق ، ومن اجل ذلك احب أن يعود الى أهله وهو في ركب طي العائدين من العراق الى نجد ، وما أكثر مـا كان يتودد الى جماعة حارثة بن لأم حتى انه توطدت بينه وبينهـم المـودة والاخلاص واصبح كأحدهم ، الجميع يحترمونه ويحبونه ويؤثرونه بالاجلال والاكبـار . وكـان سهل يحس ان الارض تطوى طيا بالركب ، وان كل شيء يمر به يحبه ويهنئه بسلامة العودة ، ويحس ان الجزيرة من أقصاها الى أقصاها ، تحتفي به فرحة مهنئة ايـاه بما نال وينال من أمجاد كبيرة فذة .

وفي هذه المرة قصد سهل بن مالك سيد الحي حارثة بن لأم وكأنه فرد من افراد اسرته وكان ابن لأم يحبه كثيرا ويطري مزاياه ، وأمجاده ومكانته المرموقة العاليـة لدى العراق النعمان بن المنذر ، فاستقبله بما يليق من الاحتفاء والاعجاب والتقديـر وقد أحس سهل ان كل ذلك كان بوازع خفي من تأثير اخته فيه ، وحديثها عنه .

★ ★ ★ ★

مرت الايام التي مرت على أمامة بعد رحيل سهل، بتلك الطريقة المزعجة الاليمة، وكم عاتبها قلبها وكم حاكمها وكم ادانها ، وقد ادركـت انهـا اشتطت فـي عنفها، وتجاوزت الحد في كلمتها ولكنها كانت تحس في اعماق نفسها أنها أثيرة في قلبه، وأن طيفها لا يفارقه، وانها هي في نفسه كما هو في نفسها، نوران متقاربان يتناجيان بالاضواء ، ويتبادلان هواتف السرائر بالالهام ، وترى على رغم ما صدر منها عن غير قصد ان روحيهما قد أمتزجتا .

اجل سعدت أمامه بمقدم سهل واحتفت به كل الاحتفاء، وأرته من نفسها اجمل ما يحب ، واحسن ما يفتتن به ، وادركت ان الفرصة وافتها وانها أن افلتت من يدها هذه المرة ، فلن تعود ابدا ، فدست اليه من يقول له : « ان اخطبني ان كان لك الـي حاجة يوما من الدهر فاني سريعة الى ما تريد » .

وسهل كان ينتظر موافقتها على القرآن لما رأى من فرح أخيها بمقدمه .

وما انقضى الاسبوع الاول حتى كان كل شيء قد تم ، وما انقضى الاسبـوع الثاني حتى كانت امامة ترافقه في العودة الى أهله .

هدى العقيدة بالله الخالق العظيم

الفى الانسان نفسه في هذه الكرة الارضية التي لا تعادل حبة رمل بالنسبة للاجرام السماوية الهائلة المنتشرة في أبعاد الفضاء ، يروح ويغدو مفكرا متأملا ، فأكبرها واعظم ما فيها ، وما يبدو حولها من عوالم لا تتناهى . كما اخذ يفكر في مأتى هذه العوالم وفي مصيرها وفي الصلة التي تربط الارض بها وفي الصلة التي تربطه هو بها ، فوجد ان عقله يتيه في مجاهل لا نهاية لها ، وعجائب فوق الحصر ، فعكف على الدرس والتأمل واكتشاف المجاهل يوما فيوما .

ولا ريب ان العلماء الذين درسوا سنن الكائنات وخصائصها واعمالها العجيبة واكتشفوا شيئا من مجاهلها ، يستحيل ان يصدقوا زعم الوجوديين : « الكائنات جميعها خالية من عالم بوجودها سوى الانسان . فالانسان وحده اله الكائنات، ولولاه لظلت مجهولة من الازل الى الابد » .

اجل يستحيل أن يصدقوا زعم الوجوديين وهم يعلمون ان للارض عمرا في تاريخ الوجود . وان الانسان نفسه لم يكن موجودا في بداية وجودها .

وما اشبه زعم الوجوديين الملاحدة هذا بهذيان ممرور قال لاطبائه وهم يحاولون اجراء عملية جراحية في دماغه :

ـ « انا اعلم وحدي بوجودكم ، فهل انتم تعلمون بوجودكم » ؟! .

قالوا : « لا » .

قال : « لا عجب . فالخالق وحده هو الذي يعلم بوجود خلقه، والخلق يستحيل ان يعلموا بوجود انفسهم » .

هذا هراء ولكنه منطق ملاحدة الوجوديين في جحود الخالق العظيم ونسبتهم الخالقية والعلم الى الانسان وحده . ولولا ادواء التربية الالحادية وتفاقم اوبئتها القتالة لما وجدنا انسانا واحدا يسقط في كبت غريزة الايمان بالخالق العظيم ويفاخر بالجحود والكفر والعصيان ، لان غريزة الايمان لن تقتلع من اعماق النفس ما دامت احاسيسها وبواعثها اصيلة في صميم الفطرة ، وما دامت البراهين القطعية الصارخة في منطق سنن الوجود لا تنفك تعمل أعمالها الفطرية في المجموعة النفسية بصورة تلقائية على الرغم من كل كبت الحادي هذا هو التدين الفطري ، « فطرة الله التي التي فطر الناس عليها » . ومن بواعث هذا التدين الفطري يطلب الانسان الايمان سواء كان من طريق السماء او من طريق الوضع فالذين لم يصل اليهم الايمان الصحيح من السماء يتخيلون تلك القوة الخالقة على مقتضى التطورات العضوية والنفسية اي ما داموا بعيدين عن الاديان السماوية لان الاديان السماوية هي التي تصحح الاعتقاد بالله الخالق العظيم وتطهر المجموعة النفسية من اوضار الوثنية والاشراك، لذلك نجد كل دين سماوي يأتي في الوقت الذي تغرق البشرية في طوفان عبادة المخلوقات الى اذنيها ..

هذا خاتم الاديان السماوية ــ الاسلام ــ نادى البشرية وهي منحلة في بحران فوضى العقائد الوضيعة ، وحائرة في متناقضاتها وخرافاتها وفساد اوضاعها، عقيدة وتشريعا واخلاقا ومتناحرة تناحر اساليبها المنحطة في التعرف الى كنة خالق الوجود. فأقبل هذا يحمل صنما وذلك يقود بقرة وثالث يسوق ثورا ، ووقف هؤلاء يشيرون الى الشمس خاشعين واولئك الى النجوم ضارعين ، وصرخ اناس وهم يقولون : ان خالق الوجود روح أزلية حالة في اجزاء الكائنا ت، فرد عليهم آخرون وهم يقولون أن الله حل في جسد فلان ، فيثور آخرون ويقولون : بل في جسد فلان ، فتجحد جماعة هذين وتسمى ثالثا .. وهكذا تكثر اعداد الالهة وتختلف اشكالها من الجماد والحيوان والنبات والانسان .

لا ادري علام يختلفون ؟ ولماذا يحمل بعضهم لبعض هذه الكراهية والمقت ؟ ولاي شيء ترجو كل جماعة أن تنزل النوازل بأختها . علام ؟ ولماذا ؟ ولاي شيء ؟ وهم اخوة في الانسانية ...

امن اجل هذه المجموعة من الالهة المخترعة وهي بعض اشياء الطبيعة ولا تفضلها في شيء من جهة انها مخلوقة مثلهم . اجل هم أخوة ، وليعلموا ان وراء هذه المجموعة من الالهة التي اتخذوا من الكائنات اكبر منها بمراحل ، لو كشفت لهم لاستصغروا الكائنات التي عبدوها ورأوها اشياء تافهة بجانبها . وان وراء هذه أيضا ما هو أكبر منها وهكذا دواليك .

ايها المنحرفون عودوا الى عقيدة ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم . عودوا الى الايمان الصحيح بالخالق . عودوا واعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا واعلموا ان الذي جعلكم تختلفون وتتحاقدون هي عبادة المصنوعات المختلفة . عودوا واعبدوا الصانع الذي اتقن كل شيء صنعه . عودوا وقولوا معي: « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد » .

لا وثنية ولا شرك في الاسلام...

الاسلام يطهر العقائد من عقيدة (أن الله روح يحل في الاشياء) ويوجهها الى الايمان الصحيح بالله خالقنا العظيم ، اي أن الاسلام يجل البشر من عبادة أفراد الكائنات ويوجهها الى عبادة موجدها المهيمن فيها والمتصرف القادر جل جلاله... والى المطالعين البيان والتفصيل ...

الحجر الاسود

يظن بعض الكتاب الغربيين ان الحجر الاسود صخرة كبيرة كانت معبودة في الجاهلية ، وظلت معبودة في الاسلام . ومأتى ظنهم هذا هو ما جاء في السيرة من أن زعماء القبائل اجتمعوا على حمل الحجر الاسود حين اقترح النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ردائه لينال كل واحد منهم حظه من السؤدد ورضا النفس بعد ما اختلفوا على حمله وغمسوا ايديهم في الدم . والواقع هو غير ما ظنوا ، ولو شاهدوا الحجر في موقعه من البيت الحرام لادركوا خطأهم وفهموا الغاية التي من اجلها كان في الجاهلية والاسلام علما للطائفين ليكون منه ابتداء الشوط واليه نهايته ولما جهلوا علم الواقع اليقيني المشاهد ...

ما كان الحجر الاسود معبودا حتى في الجاهلية ، بله الاسلام ولو كان الامر كذلك لحطمه النبي صلى الله عليه وسلم كما حطم كل معالم الوثنية الشرك سواء منها ما كان في الكعبة او في غيرها .

وهنا يجدر بنا أن نلفت الانظار الى جملة مسائل كانت مثار الوثنية والشرك والالحاد والسخرية والخصومات بين الكاتبين منذ أبعد الازمان الى اليوم ...

ان من الخطأ الخلط بين العبادة الموجهة الى الله خالق العوالم المادية والطاقية كلها القادر على الايجاد والاعدام الذي بيده التصريف المطلق الذي له ملكوت كل شيء واليه وحده يرجع امر الخلائق أجمعين لا يشاركه بذلك مشارك في اي عالم من العوالم . وبين التعظيم لشعائر الله عز وجل التي هي من تقوى القلوب ، فالتعظيم لا وثنية فيه ولا اشراك ، لان المؤمن لا يعتقد أن الله روح حل في حجر لان هذا كفر .

اذن فالذين يقبلون الحجر الاسود ويطوفون حول البيت الحرام هم لا يعبدون الحجر او البيت ، وانما يعبدون الله وحده وطوافهم وتقبيلهم انما هو تعظيم شعائره التي أمر بتعظيمها . كالذين يعظمون المساجد فهم لا يعظمونها لانهم يعبدونها بل لانهم يعبدون الله وحده فيها ، اما الابنية فلا تزيد في نظرهم عن احجار مبنية لا تضر ولا

تنفع : « وان المساجد لله فلا تدعو مع الله احدا » . ومأتى ان يدعو الانسان مع الله احدا هو اعتقاده أن الله روح حال في ذلك الاحد . وهذه هي حقيقة الوثنية والشرك ومأتاهما ...

وبعيد عن الواقع قولهم : « وكذلك الذين يعبدون الاحجار والابقار والنصب والتماثيل والنجوم والاناس لا يقصدون عبادتها بالذات وانما القربى من الله ، اجل بعيد عن الواقع لامور :

الاول : «ان الله لم يجعل تعظيم هذه الاشياء لنيل المثوبة منه كما جعل شعائره المقدسة ، والامر في ذلك لله وحده .. هو الذي جعل المناسك في وحيه السماوي.

الثاني : جعلوا الخالق العظيم مخلوقا ، اذ اعتقدوا انه روح يحل في هاتيك الاشياء المعبودة لهم ، فكفروا وجهلوا انهم كافرون . ولم يكفهم ذلك بل جعلوا حجة انتقادهم علينا جهلهم . وهذا هوس من الجهل ..

الثالث : نحن نسكن الارض ، والارض عالم مادي ، وارواحنا تسكن اجسادنا، واجسادنا مادة . ونحن بحكم فطرة التدين وبواعث الوراثات وايحاء معالم الوجود الصامت والناطق ودلائل الوحي الالهي التي كشفت حقيقة الايمان وعبادة خالق الوجود الحق وحده... فنحن حين نعبد الله عز وجل في سهل أو جبل أو مبعد أو بيت فاننا لا نعبد السهل او الجبل او المعبد أو البيت وانما نعبده وحده دون أن نشرك به سواه . أو نعتقده روحا قائما فيما نعبد ، كما يعتقد الوثنيون فيما يعبدون من مخلوقات .. وكبير في الجهل ان يقال عن المسلم حين يقبل الحجر الاسود او يطوف حول البيت أو يتخذ من مقام ابراهيم مصلى او يسعى بين الصفا والمروة أن عمله هذا عبادة وثنية لان المسلم لا يعتقد ان الله روح ازلية تحل في هذه الاشياء، ويشركها في عبادتها مع عبادته لله عز وجل وحده ..

نعم ، قبل الرسول الحجر الاسود وهو يعلم انه لا يزيد عن كونه حجرا ، قد وضع علما للطائفين وانما قبله تعظما لشعائر الله . وهذا شأن المؤمنين .

اجل يقبل الحجاج الحجر الاسود وهم يعتقدون انه حجر لا يضر ولا ينفع، وانما يفعلون ذلك ايضا تعظيما لشعائر الله ، والله عز وجل يقول : « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » .

وفي نهاية كلمتي اعرض للقراء الكرام قطعة الفن الرفيع والشعر الرصين ذي الموضوع الحساس للصديق الشاعر الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري في هذا الموضوع..

الحجر الاسود قبلته	بشفتي قلبي وكلي وله
لا .. لاعتقادي انه نافع	بل تهيامي بالذي قبله
محمد ، اطهر انفاسه	كانت على صفحته مرسله
قبله والنور من ثغره	يشرق آيات هدى منزله
قبلت ما قبله ثغره	الناطق بالوحي ابتغاء الصله

اذن فقبلة تعظيم شعائر الله شكل، وقبلة عبادة الشيء شيء اخر. شتان شتان، ما بين التوحيد والشرك وبين الحق والباطل وبين النور والظلام .

رسالة الشباب الخالدة

« في هذه الرسالة كل التوجيهات لاحراز النبوغ وتوجيه الناشئة اليـه وتمهيد الطريـق المستقيـم وقـد نسخهـا بعض الآبـاء وأرسلوهـا الـى أبنائهـم فـي الخـارج لتكون لهم عونا في حسن التوجيه من أجـل احراز النبـوغ واستقامة الطريق والاعتصام بحبل الله في كل الشئون» !!.

لحضرة الاديب النابه السيد ع.ع.ي. الموقر ، (1)

تحيـة طيبة وبعـد ،

فان لك اروع الاعجاب ، واكرم المودة في قلوب عارفيك ، وانت لا تزال فـي فجر شبابك ، واني لا اعجب من ذلك ـ وان عجب سواي ممن لم يكتب لهم ان يتصلوا بك عن كثب ـ لأني خبرت فيك خصالا عالية ، تؤذن بمستقبل باهر ، توافيـه ـ ان شاء الله ـ وسيكون فوق النيرات سموا واشراقا ، وتلك الخصال هي :

١ ـ الطموح :

لك الطموح الفذ المرموق بين اترابك ، وهاتيـك تلوح فـي أعمالـك ، وانهـا لعزيزة ذات آفاق فسيحة مترامية . ومن لا طموح له من الشباب فلا مستقبل لـه، ولا أمجاد .

شباب قنـع لا خير فيهـم ... وبورك في الشباب الطامحينـا

---

(1) ارسل الي السؤال تلميذي الماجد الاستاذ عارف بن رئيس وزراء لبنان سابقا السيد عبدالله اليافي حرصا على فهم الحقيقة العلمية في الموضوع الذي سال عنه وهو تلميذ في فرنسا في ذلك الوقت ولم اكن أريد أن أشير الى اسمه لولا ان سألني عنه بعض الادباء بعد نشر الموضوع .

٢ ـ العزيمة :

انها الاقدام على الاعمال بجد ونشاط وسهد وشوق ومثابرة ومغامرة ، وانها كالكبريت الاحمر لا تظفر بها الا في السابقين الواعين من الشباب ، وقد تفضل الله بها عليك . ولولاها لما استطعت ان تنجز عملا من أعمال الدراسة ، بمثل هذا التوفيق والتفوق .

ومهما يكن فللعزيمة وحدها سقيا الطموح المؤمل ، ومثل الذين يحسبون أن طموحهم المؤمل يقدم لهم ثماره المحسدة بغير عزيمة ، كمثل من يسقي غراسه بالسراب ، ويحسب انه يحيا وينمو ويأتي اكله ، ولا يدري انه يذبل ويجف ويموت.

٣ ـ دماثة الخلق :

لا شيء املك لمودة القلوب وطمأنينتها من دماثة الخلق ، وقد خبرتها فيك عن كثب ، وانت تتحدث الي او الى احد اقاربك او رفاقك ، او الى احد اصدقاء أسرتك، بأسلوبك الموائم الجذاب . وما أصدق القائل .

« ان دماثة الخلق حاسة صافية ناعمة واعية حبيبة تستمد سحرها من صميم الفطرة ، وميراث احاسيسها الاصلية . « ودماثة الخلق هو البر الذي لا يكلف شيئا على راي الشاعر الحكيم :

ابني ان البر شيء هين ... وجه طليق وكلام لين

٤ ـ حب التوسع في العلم :

حب العلم للعلم يورث الجهاد للتوسع فيه ، وقد تأثلت فيك هذه النزعة الماجدة بالوراثة السامية ، وبالحماسة الشاعلة ، وبالهمة الوطيدة ، بالذاكرة الثاقبة، وبالتأهب للوثوب الى القمة ، وان كنت أنسى فلا أنسى اننا ما التقينا للدراسة في ليل أو نهار الا وانت تحمل كتابا جديدا سواء بلغتك العربية او باللغة الافرنسية. وكم كنت تترجم لي ما شاء الله ان تترجم من كل طريف شيق في العلم والفلسفة والادب والفن . فأنت تلح في طلب المعرفة الحاحا غريبا . والشأن في الطلبة يقتصرون على ما يكفل لهم الجواز في اختبارهم . وقليل منهم الذين يجهدون لاستيعابها ، أما انت فإنك تبذل ما تبذل للاستيعاب والتفوق ثم تأخذ في توسعة معارفك باعتداد ، وهذا دأب الشباب النابغ الصاعد المصعد اذ ليس كل الصاعدين من الشباب المثقف يملكون الاقتدار على التجديد والنبوغ في انماء المعارف الانسانية، ليكونوا مصعدين لسواهم، وهذه نفحة السماء للعباقرة الموهوبين ، والعبقرية مواهب .

٥ ـ البعد عن الغرور :

هذه خصلة الانسانية المهذبة العالية . لان الغرور لا يصدر الا عن انحطاط ووضاعة واحساس خفي بالنقص . وهو داء وبيل فكم قذف بأربابه الى الهاوية، واودى بمطامحهم النبيلة وجعلهم مثلا في الاخفاق وسوء الطالع .

والذي جعلك كبيرا في أعين اساتذتك ورفاقك بل حتى في عيني والديك، ــ وأنت في طليعة الشباب ــ زمن أخصاب الغرور وترعرعه أنك لم يداخلك الغرور، اجل لم تغتر بشرف اسرتك ولا بثروة والديك ، ولا بوفرة الممائثين ، بل حتى ولا بذكائك فكان نظرك الى مستقبلك نظر البناء البصير الذي لا يضع حجرا على حجر الا بعد روية وفكر ودراسة ووعي . كل ذلك ليتم بناء أمجادك في المستقبل على احكم وضع واسمى اتساق وقوة على مغالبة الاجيال والحقب . ومهما يكن فالغرور والاخفاق توامان . . .

٦ ــ حسن الاختيار للاصدقاء :

التودد الى الناس والرفق بهم واكتساب ثقتهم ومودة قلوبهم سمة المدركين الواعين . ولكن التودد الى الناس مسألة وصداقة الاصدقاء مسألة اخرى ، فما كل من تتودد اليه يصلح لان يكون صديقا صالحا لحمل أمانة الصداقة ، ووفائها وشرفها وطهارتها وتضحيااتها ، لان أمانة الصداقة هي امانة الحياة ذاتها ، وليس من السهل حملها والصبر على آدابها والوفاء لها الا لمن آتاه اللـه الاخلاص والشجاعة الادبنة واحترام نفسه .

وأني لا ازال الس المودة الخالصة لك في قلوب الذين عرفوك وعرفتهم ، كما لا أزال أذكر اولئك الرفاق الاوفياء ذوي الاخلاق الحميدة والنفوس الصافية النزيهة الطامحة ، وقديما قالوا من أراد أن يفهم سلوك شخص فلينظر الى ساوك أصدقائه فان سلوكهم كسلوكه حتما .

وقديما قال الشاعر العربي :

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن معتدي

٧ ــ الاقتصاد في انفاق الوقت :

فهمت ان الحياة هي الوقت ، وفهمت أن ضياع الوقت هو ضياع للحياة نفسها، لذلك كنت واعيا مقتصدا في انفاق وقتك ، لان مثلك في عقله وادبه ومطامحه محال ان يستهتر بحياته ، او يرضي ان تضيع هنا وهناك في غير جدوى ولا منفعة تعود عليه .

وكم رأيتك تسخر من الطلبة الذين يركبون رؤوسهم ، فيصادقون من هب ودب. ولا يحسون أية قيمة لحياتهم ، ولا يبالون ان تضيع سدى بين رفاق مسرورين لا يفهمون من العلم الا حمل الاجازات ولا من الاعمال الا الوظائف كأن اللـه لم يخلق اسبابا للوصول الى الثروة والجاه الا هذين . .

اولئك الطلاب الذين ترفض مصادقتهم هم الفاشلون ، وانا نرى منهم في الامة العربية وفي غير الامة العربية كثيرين ، ولعلك ترى منهم في فرنسا نفسها ، وكم كنت تقول لي : « اسمع بالدكتوراه والليسانس والعالمية والعالية والاعلى . !!!ولكن لا ارى اثارة من الثقافة والعلم والوعي عند حملتها » ، وما أصدق المثل القائل :

« اسمع جعجعـة ولا ارى طحنا » ويجيء فشلهم المحتوم جزاء تفريطهم ، لانهم تعمدوا ان لا يميزوا بيـن التسايـة البريئة التي يقصد منهـا الاستجمام واستعادة النشاط لاستئناف الدرس والتحصيل وبين ارتياد الملاهي الفاحشة ، وارتياد السهـرات المريبة التي تنزف الاخلاق ، وتلتهم التوفيق والنجاح والسلامة في المستقبل كما تلتهم النار الحطب ، فشتان بين اهدافك واهدافهم واعمالك واعمالهم ..

من أجل ذلك تبتعد عنهم برفق ووعي وبعد نظر ، وتجتهد أن لا يضمك واياهم مجلس سوى مجلس الدراسـة المفروضة ، لانك مدرك ان عدوى الاخلاق ابلـغ اذى وأشـد فتكـا وأدهى وامر من عدوى الامراض .

وما من خصلة يحمدها لك من عرفك اسمى ولا اكرم من بعدك عـن امثال هؤلاء فأنت في جامعتك كالغائص في أعماق النفوس تستخرج منها اللؤلؤ والمرجان وتطرح الزبـد : « فأمـا الزبـد فيذهب جفاء وأمـا ما ينفع النـاس فيمكث في الارض » ١٣ ـ ١٩ ،

٨ ـ الوعـي الاجتمـاعـي :

إن وعيك الاجتماعي يلمسه في اعمالك واحاديثك كل من يجتمع اليك . وقـد اكسبك هذا الوعي يقظـة عجيبة ، وفهمـا عميقا لخفايـا الامور يلمسان في صدق ايمانك بالله عزوجل والانسانية وبعروبتـك ولغتك التي لهـا في نفسك هدى المنار .

فايمـانك بالانسانية يتجلى في كبير اعمالك من اجل حريتها وتقدمها واسعادها ووحدتهـا . وكم لك من مواقف رائعـة في سبيلهـا ، ومـا يدفعـك اليها سـوى ايمانك الصادق بها ، اليس قلبـك كنز الحب الانساني والاخاء العام والثقـة الغالية التـي هي فوق القيم الموازين ؟!

وايمانك بالله عز وجل يبدو في أعمالك قبل أقوالك ، وآية ذلك تتابع دراساتك للقرآن المجيـد واهتمامك العظيم في كشف أسراره ، والاهتداء الى عجائب اعجـازه ومثله العليـا واتخاذه انيسا حبيبـا في حلك وترحالـك ، ورفيقـا كريمـا فـي دراستـك العاليـة . وهذا الايمـان الصادق هـو مـا حداك الى جمع المؤلفات التي يصدرهـا رجال العلم والادب عن الاسلام ومعارفه وعقائده وطرائق شريعته وأئمتـه الاعلام . بالاضافة الى مـا يكتبه المفكرون في الشرق والغرب عن صاحب الرسالـة الاعظم صلوات الله وسلامه عليه . وليس بخاف استمساكك بآدابه ، واداؤك لفرائض الله ، وان كنت تؤثر اخفاء ذلك لكراهتك حب التظاهر المؤدي للمثوبة . ولكن النور لا بد ان يظهـر ، وان أسدلت من دونه الحجب .

وهذا كله آيـة صفاء فطرة الايمـان في نفسك ، وايمانك بعروبتك يشهد لـه وعيك السامي لمعناهـا وسعـة افقه وذودك ـ الى جانب الرفاق ـ عن حقوقهـا وحريتهـا وكرامتهـا وحضارتهـا في شتى اقطارهـا الاسيوية والافريقية على سواء دون تفرقة او تمييز . وكم لك ولهم في كل مطلع شمس مـا هـو جديد ونافع مـن الفكـر والجهـاد لجمع شملهـا وتوحيد صفوفهـا والصعـود بها الى قمة الخلـق

والعلم ، واوج حضارتها المثالية الماجدة . وصدق ايمانك بلغتك يعلنه جهادك الصاعد في عمق درسك لاستيعاب ادبها والتعرف الى نتاج عباقرتها الخالدين، في كل جيل . وكم سمعت لك ولاترابك النبلاء في اندية الناشئة من طريف القول ما يأسر اللب ويفتن القلب ، ويؤذن بنهضة حديثة صاعدة شاملة يكون لها من الآثار في العالم ما يهز العالم ، وبهذا يحرز المجد وشرف العروبة وقمة الخلد ، فيوم مجدك غدك ، والذين يرقبونه بأمل وشوق واعتزاز كثير وكثير .

٩ - ضباب وشدائد :

الحياة كلها ضباب وشدائد ،ولذة النابغين هي في مقارعة الشدائد وازاحة الضباب لتصفو الحياة لمساعي النبوغ .

والنبوغ في أية ناحية من نواحي الحياة الماجدة الخالدة ، كاستقلال الامة ، لا يمنح ولكن يؤخذ بالجهاد والمقارعة والتضحية ولا يمنح كالهبات والمواريث .

وابعد الشباب عن نيل النبوغ اسرعهم في الانهيار العصبي والاضطراب الفكري والقلق والسأم والفرار من الميدان ، لدى تراكم الضباب وترادف الشدائد ... وما أكرم ، وما أجل قول أمير الشعراء أحمد شوقي :

دون النبوغ واوجه	ما لا تعد من الصعاب
فاذا بلغت الاوج	كنت الشمس تهزأ بالضباب

واني بلوت فيك ما ذكرت يوم كنت لدينا ، وأنت تكافح وتكافح ...

١٠ - الولع واللذة :

لكل قلب ولعه ولذته .. وطالب المعرفة - والمعرفة اسمى قمم الحياة - اذا لم يكن ولعه ، وكل لذته في الصعود الى القمة فمحال ان يصل اليها ، وان شاب قرناه ..

والولع واللذة لا تتجزآ ، فمن ظن أن ولعه ولذته في التفوق في العلم أو الادب أو الفن أو الصناعة يصعدانه الى القمة وهو يلتذ بالسهرات ويتولع بالرفاق ويعشق النزهات ويستطيب اللغو ويستريح الى الذهاب والاياب هنا وهناك فظنه كاذب ، وهيهات هيهات ان يظفر بشيء حتى الظلال . أجل لا ظفر بقمة ولا ظلال قمة للهمل العاديين المجزئين ولعهم ولذتهم هنا وهناك .

وما يخالونه ظفرا أن هو الا طعم الذوق الذميم المنحط ، ومهما يكن فالقمة لن يذوق طعمها الذواقون والذواقات ابدا أبدا ..

أما أنت فالطمأنينة وطيدة حيالك لانك حجزت ولعك ولذتك للصعود الى القمة بكل ما تملك من ارادة وقوة ونشاط وكد ونصب وقديما قيل : « من تعب صغيرا استراح كبيرا » وبالعكس ، كن مطمئنا فمجد التفوق يومىء اليك من أرفع القمم .

١١ ـ تدبير المعيشة :

حياتك ستكون سعيدة لانك وهبت تدبير المعيشة ، والسعادة هي الغنى عن الناس الى الى جانب الصحة والسلامة. وتدبير المعيشة رهن بالغنى عن الناس. لان التبذير افساد في كل شيء ، وهذا حق فان الله عز وجل يقول : « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين .... »

والشيطان عين الفساد والافساد ، وهب ان ثروة قارون كانت لمبذر ، فان شهواته تكون أكبر منها تلتهمها وتلتهم أمثالها وتبقى الحسرة والندامة واللوم بلا جدوى ، ولا عجب بعد ذلك اذا رأينا من يملك المصانع الضخمة من الكبريت يقيم الدنيا ويقعدها اذا رأى عودا اتلف عبثا ، لان الاحسان يظل ابدا غير الاساءة في الكثير والقليل ، والشر غير الخير ابدا ، وقديما قال احد الناس : « لا خير في السرف » فرد عليه آخر ليكشف الانفاق في الخير قال « ولا سرف في الخير »

وانت والحمد لله لست مسرفا ولكنك خير ...

١٢ ـ طاعة الوالدين :

عرفت فيك طاعة الوالدين، وطاعة الوالدين من اكرم الخلال، واشرفها واعلاها، بعد طاعة الله عزوجل . وهي الخليقة بالاكبار والاجلال والوفاء ..

وما أطاع الله من لم يطع الوالدين فيما يرشدان اليه من خير ، وفي هذه الطاعة يتمثل الشكر الحقيقي المفروض لله والوالدين في الآية الكريمة : « ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير ، ٣١ ـ ١٥ » .

وهكذا لا مجد ولا توفيق ولا نجاح لانسان يخالف توجيهات والديه التي صفتها التجارب والاحداث . وكم مرة سمعت والديك الماجدين يوجهان اليك او الى احد اخوتك ارشادهما السامي الكريم في بعض الشؤون ، فأراقب اثر ذلك في اعمالك واعمالهم فاذا هي وفق ارشادهما . ووالداك نفساهما واثقان انك لن تكون الا وفق ارشادهما ، لانهما ما عرفا منك ، ولا من اخوتك الا الطاعة الراضية دون قيد أو شرط ، واني عاينت ذلك بنفسي منك ومنهم في غضون الدراسة وما اكرمها واجلها ...

كن مطمئنا ان والديك راضيان عنك كل الرضى ، واخوتك لم يفتهم منك سوى وعيك الاخوي المهذب وحدبك الشفوق اليقظ وعونك المذلل لهم مصاعب الدرس..

ايد الله بك الانسانية والامة والوطن والاخلاق أكبر التأييد وأخلده ، وأعادك الينا وانت على انبل ما ترجوه لنفسك ونرجوه لك من سؤدد وسعادة وتقدم وشوكة وعلم والسلام .

أيها العربي مكانك

تحت رايـة الاسـلام

ما رأيت تبعات جسامـا ملقاة على عاتق انسان ، ما رأيتهـا على عاتق العربي ..

أيهـا العربـي :

وان عليك تبعات عربية ، وتبعات اسلامية ، وتبعات انسانية ..

هذه هي تبعاتك ـ أيها العربي ـ وانها لعظيمة ، وان عظمتها مستمدة من الوحي الالهي المقدس ، ومن تاريخك الخالـد العملاق ومن تأريخ نهضتك السلفيـة الحديثة وانهـا لتبعـات تفرض عليك التضحيـة والنضال والسهد والنصب وخوض المعارك.

وانها ذات تكاليف فادحـة ماجدة فأحذر الاهمال . ولا تجعل الشماتة تومىء اليـك من الاعداء . فالمهمل يطرح في سلة المهملات ، وينفض الزمـان والمكـان منـه اليدين . وأصحاب القبور والاحيـاء الاموات في الدنيـا كثيرون فاحـذر أن تكون واحـدا منهـم ...

وأنت ـ أيهـا العربي ـ ابن الحياة البكـر على مدى تاريخك الكبير ، والحيـاة لا عبث فيها ، الحياة كلهـا جد ونشاط واقدام ، وقد عرفت هذا قديمـا ، وانـت تعرفه حديثا ، لان حسابها للعابثين اللاهين محتوم أنه حساب عسير اليم ، لانهـا ذات سنن أزليـة فرضهـا الله عليهـا ولن تستطيع ان تنفك عنهـا .. ولن تجـد لسنـة الله تبديـلا ، ولـن تجـد لسنـة الله تحويلا » .

ومن سنتهـا الازليـة التي أودعهـا الله فيهـا أنهـا لعباده الصالحين ، ومن

يكونون غير صالحين فلن تكون لهم ، لانهم زبد ، وهل يصلح الزبد للحياة ؟!!..
لا لا « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

واني اعتقد بتجاربي ومطالعاتي في تاريخك الخالد — ايها العربي — أنك ابن الحياة البكر اذا قصدت ، وانك المجاهد المغالب الصابر ، انى حللت وفي أي مكان نزلت . وأنك القادر أن تؤدي حق تبعاتك كاملا غير منقوص ومن تخلى عن قدرته ركبه الانحطاط والذل والتمزق .

(١) تبعاتك العربية :

وتبعاتك العربية : هي الحفاظ على كيانك العتيد ، وسجاياك العربية الاصيلة التي هي مضرب الامثال منذ أبعد الازمان ، وعلى سلامة لغتك التي تقيم الدنيا وتقعدها ، لان الخالق العظيم — جل وعز — اختارها — دون لغات الارض — ان تكون لغة السماء لغة الروح — وهل يأتي الخلود الا من السماء !؟ وهل يأتي الخلود الا من الروح .. « وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا » (٤٢ — ٥٢) .

ولو لم تكن لغتك لغة الروح لماانكفأت من دونها اللغات وترامت على اقدامها على مدى الحقب ، ولولا اهمالك أيها العربي لكانت اليوم كالامس سيدة اللغات .

ومن تبعاتك العربية : الحفاظ على سلامة بلادك من ذوي النزوات المستهترين والاغمار الجاهلين ، والعابثين المستعجمين الذين يحسبون هذا الملك في بلادهم لم يقم بالتضحيات والفداء والبذل والسهر والصدق والتقوى

(٢)تبعاتك الاسلامية

تبعاتك الاسلامية هي أن تظل أمينا على رسالة الاسلام الخالدة ، قادرا على الذود عن مثلها العليا ، مضحيا في سبيلها بالنفس والنفيس داعيا لها في كل امة بالحكمة والموعظة الحسنة والمودة الانسانية الكريمة ، جاعلا نصب عينيك المثل الاعلى في الدعوة الى الله وتأييد خاتم رسل الله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه » .

وجاعلا نصب عينيك ثباته وبطولته وصدقه واخلاصه وتقواه وعفافه ويقظته ووعيه في علمه وحلمه في علمه وحلمه في بره وعفوه وفي منحه الكثير ، ورضاه بالقليل في سبيل الله ..

اجل اجعله نصب عينيك أبدا ، فأنك ما سموت ولا اعتززت ولا توحدت ولا

تهذبت ولا قويت ولا تثقفت ولا خلدت الا تحت راية الوحي الالهي الذي اوحاه الله عليه فان لم تستمسك به بعزيمة ونية صدق وبذل ذهبت ادراج الرياح ، وأصبحت في خبر كان ... »

فالاسلام أيها العربي هو امانة السماء التي عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها ، والقاها الله على عاتقك لتكون مادتها الابدية ، وقوتها الخالدة في كل عصر وجيل .

فأنت بين الامم الانسانية منار الوحي الهادي ، فان طمس المنار فأي شيء يهدي. واعلم انك المسؤول عن الاسلام قبل اية امة في الارض ، فان اهملت هذه المسؤولية أو تهاونت في الاخلاص لها والتضحية من اجلها استبدل الله بك قوما آخرين يؤدون امانة الاسلام بصدق واخلاص : « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم » ـ ٤٧ ، ٣٨ ـ

ومهما يكن فلن تقوم لك ايها العربي أية قائمة من مجد أو وحدة أو تفاهم أو مودة أو اخلاص او احترام بين الامم الاسلامية وسواها الا بمثل الاسلام العليا، وبغير الاسلام لن تظفر بعد الاخذ والرد الا بالحسرة والندامة فاحذر الف مرة قبل ان تهلك الف مرة ...

(٣) تبعاتك الانسانية :

وتبعاتك الانسانية ـ أيها العربي ـ هي مثالية فذة وعبقرية كريمة لانها مستمدة من اخلاق الانسان الكامل اسوتك العظيم ، وهل في العالم كله انسانية اجل وارفع واقوم من انسانية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! اجل انه الانسان الكامل في اخلاقه وادابه ، في كل ما يأخذ او يدع وانه ما بعث الا ليتمم مكارم الاخلاق . والحديث عن انسانية رسول الله العليا يستغرق أسفارا ضخاما ، وانها الانسانية العالية ومتمثلة في آيات القرآن المجيد ، فهي صورة اخلاقه ، فعليك بها تكن انسانا كريما مهذبا راقيا وتكن انسانا فذا يشار اليك بالبنان .

هذه هي انسانيتك العالية أيها العربي فأستمسك بها واستنر وانر بأضوائها ولا تنس ان تذكر ذلك ابدا ...

ان الحياة نهار أو سحابته   فعش نهارك من دنياك انسان

وهذا الموضوع يحتاج الى سفر كامل . ولكن الذي لا يدرك كله لا يترك جله ... ومملكتنا العربية السعودية حكومة وشعبا هي قبل سواها القوامة على هذا الموضوع لانها تستظل بعلم الاسلام علم لا آله الا الله محمد رسول الله ...

وهل يمقت هذا العلم الا العنصريون المجرمون الحاقدون المتخلفون ...

من أثر التطورات العلمية الحديثة

في عالمي الذرة والالكترون

توطئة :

بعث الي الشاب الوجيه الجامعي « ع.ع.ي. » جملة من الاسئلة في رسالة ضافية باللغة الافرنسية تدور حول ما جد من تطورات علمية في المحيط الالكتروني بعد انكشاف عالم الذرة المترامي الافاق .

وقد طلب الي أن أجيبه عن واقعها العلمي بالنسبة لمعارف القرآن . والشاب ذو نزعة علمية اصيلة ورثها عن أبويه ، أي لا تحصد تفكيره الشخصي ظواهر المعارف المادية الحديثة التي لا تزيد عن رشفة ماء في كوب ، حين يراد مقارنتها بمعارف القرآن المجيد ذات العباب الازلي الدافق الشامل لوضع الكائنات ، كما هي عليه بأعيانها وبحقائقها وبتقلبات اطوارها من قبل ايجادها ومن بعده، وفق مخطط علم الله الازلي ..

والشاب يعلم من دراسته السابقة للقرآن المجيد أن قدرة الخالق العظيم جل وعز ليست محصورة بخلق الكائنات وان كانت الكائنات محصورة بها : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون » ٣٦ ـ ٨٣ .

ويعلم ان كل حقائق الكائنات لم يحط بها العقل الانساني وهي فوق مستوى معارفه ، وبالحري عوالم الطاقات الروحية « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ١٧ ـ ٨٦ .

ويعلم ان كل انكشاف علمي حديث من غيوب عوالم الوجود ، هو انكشاف في الوقت نفسه لاحد أسرار عظمة الله التي يجهلها الانسان ولولا ذلك الجهل لما

كـان قد اقتنع واطمئـن قديمـا ان خالق العوالم جل وعز هـو جزء من عـوالـم الطاقات الروحيـة وانه يحل في اي كائـن مادي ممـا عرف من انسان او حيـوان او نبـات أو جمـاد .. والذي جعل تصوره للخالق العظيـم ضئيـلا الى هذا الحـد قديما ، هـو ضآلـة عامه بواقع عوالمه الظاهرة والباطنة ..

ولو قارنت بين ما كـان يعلمه عن عوالم الوجـود قديمـا بمـا علمه حديثـا يقينا لكانت المقارنـة هي قطـرة الماء بالنسبة الى المحيطات المترامية الشطآن .

على ان هذه المحيطات المترامـيـة الشطآن من معارفنـا الحديثة لا تعـدو قطرة الماء أو دون ذلـك بالنسبة لمـا هي عليه في عين الواقع اليقيني .

واذا اضفت الى مـا سبق أن قدرة الله لا تحدّهـا هذه الممكنات من العوالم ، فانك تدرك حـالا الاسباب الحقيقيـة التي جعلت الانسان القديم ـ الذي كـان يجهل مدى هذه القدرة ومدى العوالم التي أبدعتها ـ ينحط بالايمـان بالخالق العظيم الى مـا انحط اليه . وتدرك ايضا معجزة الوحي الآلهي في الاديـان السماوية كافة التي كانت تنهض بالتفكير الانساني المحدود الى حقيقـة الايمـان بالخالق العظيم ، والى حقيقـة الصفات الكماليـة التي تايق بجلاله دون وثنيـة او اشراك او تحريف او تأويـــل .

وانك تضحك بملء فمك ، ممـا هـو مدون في أسفار النحل القديمة بسبب ضآلة تصور الخالق العظيم جل جلاله وضآلة الصفات المنسوبة اليه بالنسبة لما عرفنا ونعرف من غرائب العوالم وتهاويلهـا والوان ذواتهـا وعجائب اعمالهـا ومدهشات خلقهـا واختلاف مواطنهـا وسننهـا وسوى ذلك ..

ولولا ان الله عزوجل انزل القرآن المجيـد بالمثل الاعلى لكشف وقع معـارف العوالم اليقينية لما تحدى باعجازه العلمي الحضارات على مـدى الاجيال . ولكنت رأيت في دلائل آياتـه اليقينيـة مـا يناقض العلم اليقيني بعد هذا السيل العـرم الدافق من الاكتشافات الواسعـة عن حقائق عوالم الوجـود الهائلـة العجيبـة . والحبل على الجرار ، وفي كل يوم تسمع مدهشات العجـب عـن غيوب العوالـم ولكـن أنى يكـون ذلك ، والقرآن المجيـد هـو حجة الله القاطعـة الدامغـة على ضآلـة علم الانسان واختلاطه بالظنون والفروض على مـدى الاجيال !؟. ولو ان مـا في الارض من شجرة اقلام والبحر مـن يمـده من بعده سبعـة أبحـر مـا نفـدت كلمـات الله » وهذا كله تامسه فـي جوابي على رسالة هذا الشاب الجامعي المتعطش لعب معارف معجزات القرآن المجيد . ولمعرفـة الخالق العظيم المعرفة العلميـــة الصحيحـة التي هـي عيـن الواقـع اليقينـي : المعرفـة التي أوحاهـا الله علـى رسلـه كافـة ... ويا لهـا من معرفـة يقينيـة منجية من المهالك ..!!

الرسالـــة :

الرسالة ضافية وفيهـا عرض لمدى التطور العلمي الالكتروني الحديث ، وشرح للعقائـد السائدة في صفوف العلمـاء ، وفيهـا جملة من الاسئلة حول ما جد ويجد

مـن المخترعات الالكترونيـة العجيبة وصلتهـا بالعقائـد الدينيـة السائدة لديهم. وما يكـون لهـا مـن آثار بالنسبة لخاتم الكتـب السماويـة ـ القرآن المجيد ـ وبالنسبة لعقائـد اهله .. والقرآن حجـة الله اليقينية لاهـل الارض الصارخـة الابديـة ..

وقد اقتصرت في الاجوبة على اسئلة الشق الثاني اي عـن الاسئلة المتصلـة بالقـرآن المجيـد وعقائـد أهله ولم أجب عن الشق الاول ، لا لانهـا مخيفـة بالنسبة لمعارف القرآن ، فمعارف القرآن مثل عليـا تقدميـة صاعدة ، بل هي قمم معـارف الوجـود الشامخـة الخالـدة على مـدى تعاقب الحضارات والمنار الهادي لعباقـرة العلمـاء الراسخيـن الى حقائقهـا التي يلمسونهـا لمس شرارة الكهرباء والتي تهـز ضمائـرهم هـزا عنيفـا وتشـع في اعماقهـا نور اليقين .

ولكن تركت الاجابة عنه لامريـن :

١ : لعدم صلتها بمعارف القرآن .

٢ : ولأن الاجابة عنهـا تقتضي سِفراً كامـلا .

وعلى كل حال فهذه بعض الاسئلة التي جاءت في الرسالة ومن كان يحمل شبهة مثلهـا أو قريبـا منهـا من شبابنـا المثقفين ثقافـة حديثة فليرفعهـا الـى ادارة المنهل الاغر فـي جدة وحـرام ان يتركهـا في نفسه تتفاقم ثم تقذف به في النار .

الاسئلـة :

« ... اني أواظب على تلاوة القرآن الى جانب دروسي وقد توفرت لدي جملة من الاسئلـة سجلتهـا في هذه الرسالـة ارجـو الاجابة السريعـة عنها واليك هي..

« يتساءلون هل لله العظيم من لعب بمخلوقاته ؟!! انه يوجـد بين العلـــوم الحديثة التي يواصل العلمـاء تطورهـا علم يسمى : « علم الانتقال والمراقبة » : اي انتقال المعرفـة ومراقبتهـا سـواء :

أ : من الانسان الى الانسان .

ب : او من الانسان الى الآلة .

ج : أو من الآلة الى الانسان .

د : أو من الآلة الى الآلة .

د : او من الآلة الى الآلة .

اجل اوجدوا الآن آلات تعلم الانسان وتراقب اعمالـه ، بل اوجدوا آلات توجد آلات على شاكلتهـا ، كمـا يلـد الانسان انسانا على شاكلته .. وبهذه المناسبة اذكر ما قالـه الاستاذ « نوبرقيذ » عن انتقال المعرفـة والمراقبة وعن التوالد الآلي .

: « ان انتقال المعرفـة والرقابة همـا من خصائص المخلوقات الحية وفـي مقدمتهـا الانسان « وقـد اوجـد الله الانسان على صورته . ومن اجل ذلك كـانت وظيفـة الانسان هي ايجـاد انسان آخـر على صورته . ولاجل اننـا نريـد ان نمجد اللـه ثم الانسان فـي مثل هذا الايجـاد افترضنـا ان الآلة لا تستطيع ان توجد الات

على صورتها وإن كان الامر على العكس تماما ، اذ ان بعض الآلات في عصرنا الذري استطاعت ان توجد آلات على صورتها تماما .. »

وهناك مسألة التدريب التعليمي الآلي . وهو ان يتلقى الانسان معلومات من الآلة ويستعملها لتطوير عمله الذي ينوي القيام به الى الكمال . ولنضرب لذلك مثلا . انواع اللعب فانها تجري على مقاييس محدودة وقواعد خاصة التنبه لها واتقان معرفتها يؤديان باللاعب الى الغلبة والفوز .

ولكن هناك العابا دقيقة « كالشطرنج » و « الدامة » لا تزال محلا للمنافسة الذهنية ويقظة الفكر والتفوق في اللعب اكثر من حفظ القواعد والمقاييس ومع ذلك فقد اخترع الدكتور « صومائيل » آلة الكترونية يمكن ان نطلق عليها « الدامية » (١) تتقن لعب الدامة وتتغلب على خصمها بمجهودها الخاص واختباراتها الدقيقة دون معاونة اي انسان حتى ان الدكتور « صومائيل » نفسه لعب مع هذه الالة غلبته بعد يوم او يومين من تمرينها ، غلبته خمس مرات . ولم يكن الدكتور صومائيل لاعبا متفوقا حين بدأ اللعب الا انه عاد فتمرن عليه حتى اتقنه وبرع فيه ثم تغلب على الالة ولكن هذا التغلب لا يبطل الحقيقة : ان الالة تغلبت على من اوجدها في يوم من الايام ، وان طريقتها في تلقي العلم مماثلة لطريقة الانسان .

والملاحظ في سفر ايوب في التوراة ان هذه الحال التي وجدناها في الدامية نجدها في الشيطان تجاه خالقه جل وعز . والشيطان استاذ بارع في الخبث والكيد والاحتيال ومعلوم ان كل مقاومة تكون من ناحية المخلوق ضد خالقه محتوم عليها بالفشل والخسران . وهل من الممكن ان يتغلب الشيطان على ارادة خالقة كما تغلبت الالة اللاعبة على ارادة موجدها ولو مرة واحدة . هذا مستحيل ، على انه لا فائدة للشيطان في ذلك « كما جاء في سفر ايوب » طالما كل المخلوقات والشيطان في جملتها تستمد من الله عزوجل القوة وهي مخلوقة له وحده ومسيرة بارادته جل وعز .

والان اقف وانا ارجو ان تنورني بالحقيقة في هذه المسائل على ما هي عليه في القرآن الكريم لاني لا ازال اذكر قولك لنا اثناء الدرس : « لا مخلوق بلا خالق ولن يخلق كرسي كرسيا آخر ، ومنضدة منضدة اخرى ، وان النار لا تحرق بنفسها ، وانما بقدرة الله ، وان الله اذا قصد ابطال احراقها ابطله .. » كما ارجو ان تبسط في حقيقة العقيدة الاسلامية من الوجهة العلمية الحديثة بدلائلها اليقينية الواقعية وحكم الذين يقولون : « لا نؤمن بوجود الله حتى نعلم حقيقة ذاته » وهم كثيرون في هذا العصر .

وفي الختام ارجو ان تلاحظ في اجابتك الآلات الالكترونية الحديثة وما تقوم به من الاعمال الذهنية المدهشة المشاهدة وما يقدر لها ان تبلغه من تطورات

---

(١) هذا الاطلاق من وضعي والذي دعاني الى ذلك اني رأيت اسم الشخص الالكتروني في الانجليزية مطلقا عليه « ربوت » .

صاعـدة في مجـال الاعمـال التـي تتطلب التـفكير العميـق والتقدير البعيـد والذكـاء الخـارق النـادر . . . والسلام

المخلص : ع٠ع٠ي

الاجـوبـة :

١ ـ لا عبث في خلق الكائنات :

اي صانع مهمـا صغرت صنعته فانه لا يعبث . وهل شاهدت حذاء او دباغا او نجارا او سـواهم حين يصنعـون مـا يصنعـون يعبثون . ؟!! حتمـا تقـول : « لـم اشاهـد » .

وانك تؤكد ذلك في ذوي الصناعـات الكبيرة كالذيـن يصنعـون الصواريـخ والطائرات والتلفزيونات والآلات الالكترونية الحديثة وسواها . .

والعمل لا يكـون عبثـا الا اذا خـلا من العلم والقصد والتنظيم كأعمال المجانين . ولن يتصور ذو علم باحث في خلق الكائنـات وخلق اعمالهـا انهـا تخلو من العلـم والقصد والتنظيم حتى تكـون عبثا وصدفا . وقـد اكـد القرآن المجيـد نفـي العبث واللعـب عـن الخلـق .

: « افحسبتم انمـا خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » ٢٣ ـ ١١٦

: « وما خلقنـا السماء والارض وما بينهمـا لاعبين » ٢١ ـ ١٦ .

واذا كـان العلمـاء قـد ادهشهم وحيرهم ما انكشف في عالم الذرة من العلوم والمقاصـد والنظـام حتى شاهدوهـا كأنهـا المجموعـة الشمسية مصغرة . . فمـا بالك بمـا تشتمل عليه العوالـم الكبـرى المتراميـة في آفـاق السماء من العلـوم والمقاصـد والنظـام الدقيـق الرائع . .

اذن فبرهـان نفي اسطورة العبث قائم صارخ في خلق الكائنات وخلق اعمالهـا بالذات ومـا تشتمل عليه مـن علوم ونظم ومقاصـد وكم من اعجاز علمـي كبيـر تلمسه فـي آيـات القرآن المجيـد التي نفت اسطورة العبث التـي كان يتخيلهـا ذامـي اهل النحـل .

ولعل الذي جعل القدامى من أهل النحـل يتصورون وجود العبث في بعض اجزاء الوجـود هـو جهلهم بمقاصدهـا الاساسية في اصل الخلق . .

هب ـ زيادة في الاقتناع وتثبيتا لليقين ـ ان عالمـا منعلمـاء القرون الوسطى في اوروبـا بعث في هذا العصر الذري الالكتروني الذي نعيش فيه واستوقفه مصنع مـن مصانع « وصل » الصواريخ التي تربط اجزاء الصاروخ بعضهـا ببعض وتنفصل بعـد الاطلاق في الفضـاء وهـو يجهل ذلـك بل يجهل الصاروخ نفسه الا تعتقـد انه يرتـاب فـي صنعهـا ويراهـا عبثـا .

وما الذي يجعله يرتاب ويراهـا عبثا اليس هـو جهله بالغايـة منهـا بالنسبة الى مجموع الصاروخ . وما قيل عـن الوصل يقال عـن الاجزاء الاخرى ، ولو علم كل

اجزاء الصاروخ والغاية من كل جزء بالنسبة لكيان الصاروخ ثم علم الغاية من الصاروخ نفسه لما ارتاب ولما تخيل العبث .

اذن ففكرة العبث لم تأت من العلم وانما من الجهل . والجهل لا يصلح ابدا ان يكون برهانا لاثبات شيء ما على ان معرفة الغاية من الجزء لا تعطي معرفة الغاية من الكل ، اي اذا عرف العلماء الغاية من خلق الاكسجين او الفوسفور او المغناطيس او سوى ذلك من كائنات المادة او كائنات الطاقة فان ذلك لا يجعلهم يعرفون الغاية من خلق الكائنات . والخلاصة ان الجهل هو الذي اوقع صغار الدارسين القدامى من اهل النحل في فكرة أسطورة العبث .

انى يكون العبث وهؤلاء العلماء وثبوا على سطح جاذبية الارض وقد شاهدوا من نظام مواقع النجوم المترامية في ابعاد الفضاء اسرابا وراء اسراب الى غير استقصاء .. وقد اكتشفوا من معارفها ما لم يكتشفه العلم من قبل وما وراءها منه كثير وكثير .

وكم ادهشهم ما ظهر منها لمراقب صواريخهم المنطلقة وكم يدهش ما وراءها لما يظهر ، وما وراءها فوق حصر الحاسبين وتقدير المقدرين .

وما ظهر من عوالم الفضاء ان هو الا رشفة من معارف القرآن . تأمل وتدبر هذه الايات المعجزة :

« فلا قسم بمواقع النجوم (٧٦) وانه لقسم لو تعلمون عظيم » ٥٦ ـ ٧٧ ، (١)

« فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس » ٨١ ـ ١٧ .

« ولقد زينا سماء الدنيا بزينة الكواكب » ٣٧ ـ ٧

« ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين » ٦٧ ـ ٦

واذا كان هذا نظام الكواكب التي جعلها الله زينة للسماء الدنيا فناهيك بعوالم السموات السبع وما فيهن وما وراءهن . يا للروعة !! يا للدهشة !! الا أن هؤلاء العلماء المتفوقين يرون أنفسهم يزحفون على رمال الشاطىء .. شاطىء الوجود ، وما مثلهم الا كمثل قوم كانوا يعيشون في اعماق واد سحيق مظلم الى جانب جبل شامخ املس .. قبل ان يبلغوا الوعي العلمي وكانوا يرون واديهم قلب الوجود وما عداه اطرافا لا وزن لها . ولما بلغوا وعيهم العلمي ارتابوا في ذلك وبذلوا كل وسعهم حتى تسلقوا الجبل وشاهدوا على مدى ابصارهم بعض معالم الارض فاستكبروا وبالغوا ...

وان كان ما شاهدوه لا يحسب حسابه بالاضافة الى ما لم يشاهدوا من معالم الارض ولكن بالاضافة الى ما كانوا عليه في اعماق الوادي هو كثير بيد ان هذا الكثير لا يعد شيئا الى جنب ما يجهلونه من معالم الكائنات وحديث الجاهلين عن حقائق الوجود غير حديث العالمين بها .

هب أن العلماء تجاوزوا سطح جاذبية الارض وأخذوا يطوفون بين الكواكب بسرعة الضوء بما يملكون من طاقة الذرة. وهب انهم ظلوا يطوفون ويدرسون ويحررون واقع المعرفة من الظنون والاوهام والاساطير مائة الف عام . وهب ان الله جل

---

(١) علم مواقع النجوم اليوم آخذ من اهتمام العلماء كل مجهوداتهم وتاملاتهم ودراساتهم .

« ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفذت كلمات الله ، ان الله عزيز حكيم » ٣١ ـ ٢٧ .

وكلمات الله هي مخلوقاته . . .

« انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون ٣٦ ـ ٨٣ .

والنهاية أن نسبة العبث في خلق الكائنات انما جاءت من الظن لا من العلم، والظن لا يغني من الحق شيئا .

« وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا » ٥٣ ـ ٢٩ .

«قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون» ٦ ـ ١٤٩.

والخلاصة أن لا عبث في خلق العوالم صغيرها وكبيرها ، وانما العبث من معارفنا الناقصة ، وتصوراتنا المقلوبة .

قد يقول قائل : ان في اعمال البشر وتصرفاتهم كثيرا من العبث ، وهذا معلوم لانه جاء اليهم من حرية الارادة التي فطرهم الله عليها ، فكان ذلك العبث من انفسهم في أعمالهم المختارة ، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الوحي .. وفي ذلك يقول الله تعالى :

«انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم .. ٤٧ ـ ٣٦.

« اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد . كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » ٣٧ ـ ٢٠ .

فهذه الآيات تصور واقع عالمنا الاختياري وما أنزلت الا لتوجيه البشر الى الخير والهدى ، وهي سوى البحث في اصل الخلق .. ولعل بعض الدارسين اختلط عليهم الامر بين النظام الذي عليه الخلق وبين اعمال البشر المختارة فنسبوا الى اصل الخلق .. وهو جهل فاضح ضخم .

٢ ـ العقل الالكتروني الآلي : ـ

هو عقل آلي ينفعل بالمعلومات بواسطة الشحنات « الالكترونية » الكهربائية، فمعارفه هي معارف المخترع التي اودعها فيه حسب الكيفيات المكون بموجبها دون زيادة أو نقصان .. ومن هنا تدرك الفارق العظيم بين العقل الآلي المتجمد والعقل الانساني النامي ، ولكي نميز بينهما أقدم مثلا القصة الآتية : منذ ست عشرة سنة صمت رمضان المبارك في شبعا وهي اكبر قرى العرقوب في لبنان . وكان مضيفي رئيس بلديتها المرحوم خالد الخطيب . وكان من عادته بعد صلاة المغرب ان يسمعنا بعض تسجيلات كبار القراء وكان في القرية حافظ للقرآن الكريم وكان يقول : ان هذا

الحاكي يجود القرآن الكريم بصوت احسن من صوتي .. فقلت له : « ليس الحالكي الذي يجود القرآن بهذا الصوت الحسن ولكنه القارىء .. !! » .

وما قلته بالامس اقوله اليوم : « اجل ليست الدامية هي التي تلاعب الدكتور صمائيل ولكن الدكتور صمائيل هو الذي يلاعب نفسه : فمجهودها الشخصي هو مجهوده وبراعتها هي براعته وانتصارها هو انتصاره .. اليس هو الذي اخترعها . وصنع عقلها الآلي الالكتروني المكيف حسب لعبة الدامية . وقد يسأل : كيف استطاعت ان تنتصر عليه بعد تمرينها خمس مرات . وما اسهل الجواب : « الا ترى آلات « آي بي أم » الالكترونية على اختلاف أنواعها وأعمالها وما تأتيه من العجائب والغرائب بواسطة العقل الالكتروني، ولننظر مثلا الى الآلة الحاسبة منهن التي تقوم بأدق عمليات الحساب وتحل المشكلات العويصة للدول، والشركات كافة في ميزانياتها حتى أن العملية الحسابية العسيرة التي تقتضي أسابيع أو أشهرا بالامس القريب اصبحت تحل في دقائق ، والسبب في ذلك انها تحتوي على مجهود سنين طويلة من العقول الرياضية العبقرية الحاسبة لذلك يستحيل ان يتفوق عليها في سرعة حل العمليات الحسابية الكبرى حاسب مهما كان بارعا متفوقا علما بين الحاسبين ، وقل مثل ذلك في الدامية فانها حين تلاعب وتنتصر انما تفعل ذلك بما هو مودع في جوفها من اتقان سنين طويلة وبهذا الاتقان الطويل المتفوق انتصرت على مخترعها اولا. ولكنه حين استجمع معرفته وارهف حسه وانتباهه انتصر عليها .

ولو كانت تشتمل على عقل منبعث ذاتها يزيد على العقل الآلي الذي كيفه المخترع بما كيفه به لاستطاعت ان تجيب على مبادلة الكلمات التي تجد عادة بين اللاعبين دون اعداد سابق. ومثل ذلك الانبساط والانقباض والرضا والسخط وسوى ذلك من الحركات التي تنشأ بين اللاعبين بانفعال العقل الذاتي . احسبك تقول : اجابة ملاعبها بالمثل غير ممكن لانها لم تعلم الا الطريقة الفنية التي اعدها لها صانعها فحسب ، كالآلة الحاسبة لا تحسن الا الحساب وحده . لذلك لا تستطيع ان ترد على احتيال المحتال في اللعب بالمثل لان الرد على المفاجآت يفرض وعيا ذاتيا لا وعيا صناعيا مستفادا لا يعلم به حامله . هب ان الدامية اخذت تسخر بملاعبها وتندد به وتستطيل عليه فهل يقابها بالمثل .. طبعا لا لانه يعلم ان الذي سخر وندد واستطال هو المخترع لا هي . وما قلناه عن الدامية نقوله عن سائر افراد العالم الالكتروني النامي الحديث ..

هذا الوصيف الالكتروني الذي يقوم ببعض الاعمال المنزلية كتهوية غرف النوم وتنظيف الارض وجلي الصحون وفتح الباب متى قرع الجرس ، الا تراه يفقد الادراك الذاتي المنبعث عن الارادة الحرة . تذكر هل تستطيع ربة المنزل ان تقول له كما تقول لوصيفتها اياك اياك ان تفتحي الباب الا لسيدك او فلان او فلانة . هذا لا يكون .. ولا يسعها الا ان تعطل منه شريط فتح الباب . قبل مغادرة المنزل ولو نسيت ان تعطل استجابته الآلية لقرع الجرس وقرعه في غيابها لص فانه يفتح الباب بلا ريب. الا اذا أمكن وضع آلة لالتقاط صور القارعين وعينت الاجابة لبعضهم دون البعض بموجب آلات الكترونية خاصة . على أني أعتقد لو جاء لص يشبه بعض الصور المعينة له، فانه حالا ينفعل بصورته ويفتح له الباب ، حتى لو وضعوا له اذنا رادارية تميز

الاصوات المطلوبة عن سواها ، فانه اذا استطاع لص ان يقلد صوت احدهم او كان له شبه صوته ، فانه يستجيب ويفتح الباب . هذه براهين تشاهد عيانا وتفهمنا أن افراد العالم الالكتروني يفقدون الوعي الذاتي الارادي المختص به الانسان الذي من مزاياهزيادة المعلومات ونقصانها وتغييرها والاحساس بها. وظهور العالم الالكتروني هو من مظاهر اعجاز القرآن الذي اعلمنا من اول يوم من نزولة ان المعارف الانسانية ابدا في تجدد وان الانسان في كل يوم يعلم ما لم يكن يعلمه من قبل .

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ٩٦ ـ ٤ ،

وطلب المعارف الجديدة المدخرة في معالم الوجود مفروض على مسلم قال الله تعالى :

« قل انظروا ماذا في السموات والارض » ١٠ ـ ١١ وقال تعالى :

« وسخر لكم ما في السموات والارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ٤٥ ـ ١٤ .

الايجاد الالهي والايجاد الصناعي : ـ

الايجاد الالهي هو تكوين خالص يتم وفق السنن التي فرضها الخالق العظيم جل وعز بعلمه وارادته وقدرته كتكوين الطاقة المحضة فالذرة فالعنصر فالمادة فالعوالم الغازية والسائلة والجامدة كما هي عليه ـ مما عرفنا ومما لم نعرف وهو الاكثر . ولن يدخل في استطاعة العلماء الماديين الذين يجحدون الايجاد الالهي ان يوجدوا طاقة محضة جديدة غير الطاقة التي أوجدها الخالق العظيم جل وعز .

أجل لن يستطيعوا ذلك لانه يفرض عليهم خلقأكوان جديدة سوى هذه الاكوان التي يعيشون فيها . وما داموا عجزوا أن يوجدوا من ذات الطاقات التي اكتشفوها وعرفوا ظواهرها . . كالطاقة المغناطيسية ذرات من انواع جديدة غير الذرات الموجودة بين أيديهم التي كونها الله ، فكيف يستطيعون أن يوجدوا أكوانا جديدة غير هذه الاكوان المترامية في الآفاقالبعيدة القريبة. بل نفسالذرة التي حالوا تكوينها وعرفوا اجزاءها لا يستطيعون اعادة تكوينها . الا تراهم وقفوا حيال عالمنا الصغير الكبير مدهوشين لما ظهر فيه من دقائق العلم وغرائب الصنع واتساق التكوين مما لم يخطر لهم على بال . . وكان حتما عليهم ان يؤمنوا بالقرآن المجيد انه كلام رب العالمين ـ وقد لمسوا اعجازه الكبير ـ بمنظار العلم المكبر ماثلا في الزوجين المتلازمين الساكنين في عالم الذرة ، لو وجدوا من يترجم لهم آياته البينات : هذه التي تذكر لهم بصراحة اليقين ما لمسوه يقينا .

« سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون » ٣٦ ـ ٣٧ ،

« ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ٥١ ـ ٣٧

« ومن كل الثمرات جعلنا فيها زوجين اثنين » ١٣ ـ ٤

« انه خلق الزوجين الذكر والانثى » ١٣ ـ ٤٦ .

ولكن اقول ـ وحسرة الاسى تمزق حشاشة الرجا ـ انهم لم يجدوا من يقدم لهم دلائل هذه الآيات في مجامعهم العلمية بحسن الاعلام، وأمانة التبليغ وواقع العلم وبذل التشويق وسلطان الحق . يكفي انهم وجدوا اصل تكوين الحياة قائما على الزوجين الموجب المعطي واساليب الاخذ كما اعلمنا الله عز وجل (١) .

الحياة وعالم الذرة :

يعجب احدنا ـ لاول وهلة ـ حين يسمع ان عالم الذرة الذي لا يشاهد الا بالمكبرات يشبه عالم المجموعة الشمسية الواسع الهائل . وحين يتذكر ان ذلك صنع الله الذي اتقن كل شيء صنعا يبطل العجب .. ويزداد عجبا ايضا .. حين يعلم ان عالم الذرة هذا المكون منه عالمنا الذي نعيش فيه . قد مرت عليه ملايين الحقب وهو خال من الحياة بانواعها الثلاثة الانسانية العاقلة والحيوانية الحساسة. والنباتية غير الحساسة او ما اشتبه بينهما ، ولكن يبطل العجب ويسجد سجده الشكر على نعمة الايمان حين تظهر له دلائله في امرين اساسيين : في تكوين الكائنات وفي ظهور اعجاز القرآن العلمي ..

تكوين الكائنات :

يدرك العلماء وجود ذات الاشياء بأمرين اساسيين في واقع العلم المادي : اما بالذات نفسها كادراكهم وجود ذات الذرة حين يحللونها ، وكأدراكهم وجود ذات العنصر حين يحللونه ايضا . وكذات الاوكسجين او الصوديوم او الفوسفور .واما بآثاره كذات المغناطيس فانهم يدركون وجوده بآثاره وان كانوا يجهلون حقيقة ذاته، وقل مثل ذلك في ذات الحياة فانهم يلمسون آثارها واضحة في العوالم الحية ويجهلون حقيقة ذاتها بل قل مثل ذلك في كل كائنات الطاقة التي لا يدرك وجودها الا بآثارها فقط ، وان كانت حقائق ذواتها مجهولة ، وعوالم الطاقات كعوالم المادة منها المدركة كعالمي الملائكة والجن ، ومنها غير المدركة كعالم الجاذبية (٢) .

والخلاصة أن العلم بآثار الموجود هو من علم اليقين بوجود ذاته . ولا ريب أنه ليس من موجود له من جليل الآثار التي لا تحصى ما لذات الخالق العظيم جل وعز

---

(١) في كل يوم تطالعنا المجامع العلمية الذرية بجديد من اعجاز القرآن عن غير قصد . قد دعا المهندس البارع الاستاذ جميل المحب بعض أصدقائه الى منزله ليريهم عجائب اعجاز القرآن في الكشوفات العلمية الذرية الحديثة في فلم عربي علمي ذري حديث . كان القصد منه اظهار التطورات العلمية الصاعدة في عالم الذرة فاذا هو صفحة من صفحات اعجاز لقرآن اذ كان شرحا لبيان الموجب والسالب في اصل تكوين العوالم الاصل الذي ذكره القرآن في كثير من آياته .

(٢) وقد تظهر الملائكة أو الجن في عالمنا المادي في ذرات كثيفة .

لان كل أفراد الكائنات المادية وسواها هي من آثاره الدالة على كمال قدرته وعلمه وصفاته كلها المنزه عن نقصان ذوات خلقه المسبوقة بالعدم : « ولله المثل الاعلى » .

وصفوة القول أن العلوم كلها نوافذ تطل على آثار الخالق العظيم وعلى كبير قدرته في تكوين العوالم سواء أكانت من المادة أو من الطاقة .

هذه بعض آثار قدرة الخالق العظيم تبدو في تكوين انواع الكائنات المادية القريبة التي اخذ العلماء في دراستها ، وما هي الا قطرة بالنسبة لنتائج آثارها التي لا تتناهى في سواها ، وما نتائج آثارها التي لا تتناهى الا دلائل علمية يقينية مشاهدة على وجود الخالق العظيم الفعال الحقيقي لكل شيء .

وكم تكون طمأنينة الايمان العلمي اليقيني اذا اضفنا الى دلائل آثار قدرته تعالى في عوالم المادة دلائلها في عوالم الطاقة العاقلة وغير العاقلة . انها آيات وراء آيات كلها براهين علمية يقينية ناطقة ليس الى استقصائها من سبيل..

وهؤلاء العلماء المتعمقون الذين تغلغلوا في دراسة عالم الذرة قد لمسوا كائناته الصغيرة بيد العلم الالكترونية واستطاعوا أن يزيحوا الستار شيئا فشيئا عن كل ما يتصل بمعالمها ومعارفها مما هو في مجاهل الغيوب ، من كل جديد غيب . وهم في غضون دراستهم يلمسون جلال القدرة الالهية المسيرة لمختلف اعمال الذرات المكونة منها مختلف العناصر ، والمسيرة لمختلف العناصر المكونة منها مختلف المواد والمسيرة لمختلف المواد لمكونة منها عوالم المادة ومختلف ذواتها التي وصلوا الى التعرف اليها ، ناهيك بعوالم الطاقات وتباين ذواتها واعمالها المدهشة الهائلة . ولكن من عوالم المادة ومن عوالم الطاقة تعينات تكوينية علمية يقينية مشاهدة تفهمنا حقيقة الايمان العلمي اليقيني الواقعي الذي هو معجزة معجزات الوحي الالهي الدائم .

ـ : القرآن المجيد الذي أنزله الله تعالى على خاتم رسله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وهذه التعينات هي :

١ ـ تعين اولية وجود الكائن ، وآخره .
٢ ـ تعين مكان وجوده بين الكائنات .
٣ ـ تعين نوع ذاته واعمالها الخاصة والقصد منها بالنسبة له وبالنسبة لافراد الكائنات ، ومدى تأثيره فيها وتأثره بها .
٤ ـ تعين السنن الكونية الخاصة به والعامة التي سيخضع لها وسوى ذلك من خصائص تكوين الكائن التي يتخصص لكشف معارفها العلماء .. راجع ما كتبوه عن عالم النحل ـ بله عوالم النجوم ـ تجد العجائب من من العلوم التي لا نهاية لها ...

ولن يجحد ان هذه التعينات التكوينية الذاخرة بالعلوم صادرة عن علم وارادة وقدرة مهيمنة فعالة وانها بذلك تستمر في تكوينها وفي اعمالها العجيبة المدهشة التي اكتشفت والتي لما تكتشف الا كل مضطرب الفكر مريب قد حكم على نفسه باللعنة الابدية وعذاب الكفر بالواقع اليقيني الذي يلبسه من مفرق رأسه

الى اخمص قدميه ، الواقع الصارخ من جهاته الست في اعماق حواسه الخمس . يلمسه في المعارف التي تكتشف من جيل الى جيل اوسع اكتشاف وادقه .

الا ان هذه ذرة من دلائل تكوين الكائنات الناطقة بوجود رب العالمين جل وعز .. ووراءها ما يفوق عدد ذرات الكائنات الى غير نهاية .. كل هذا العلم الذي تذخر به العوالم هو برهان ان وراءه عالما جل وعز له كل العلم . وهل يصدق انسان ان يكون علم بغير عالم؟!!

ظهور اعجاز القرآن العلمي يبدو في مسائل :

المسألة الاولى :

ان من شرود الفكر وايثار التظاهر الآثم ان يتوهم دارس ان اكتشاف معارف التعينات الالهية التي كان تكوين العوالم كلها بموجبها تنقص مثقال ذرة من حقيقة الايمان بالخالق العظيم جل وعز . ياويل العلم واهله !! ان لم يكن التعمق في دراستها يضاعف الايمان به سبحانه وتعالى اضعافا فوق اضعاف الى غير نهاية .

هذه اجزاء الوجود من اصغر « نواة » في الذرة الى اكبر الاجرام السابحة في ابعاد السموات تظل معارف أسفار لم تخطر على خاطر العلم كلما انكشف سفر أعقبه سفر الى أبد الآبدين .

وكم من علم وفكر ووعي ونظام هن ماثلات في صنع « الراد » (1) مثلا . ولكن هل يكون اطلاع الدارسين على ذلك باعث جحود بصانعه ــ طبعا لا ــ فلم اذن يكون انكشاف مغاليق العلوم القائمة في كل جزء من اجزاء الوجود باعث كفر بالموجود جل وعز ..

وغاية الغايات من التفكر في خلق الكائنات هي الايمان بموجدها الخالق العظيم جل وعز .

وغاية الغايات هذه هي التي ينتهي اليها الدارسون العباقرة لمعارف لكائنات، وهي بالذات التي تكشف حقيقة الايمان العلمي اليقيني الصحيح ــ الخالي من الوثنية والاشراك ــ بذات الموجد جل وعز .

وغاية الغايات هذه هي عين ما نزلت من اجلها آيات القرآن المعجزة قال الله تعالى : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعلقون . ٢ ــ ١٦٥ .

« اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء .. » ٧ــ١٨٦

« وفي الارض آيات للموقنين (2) وفي انفسكم افلا تبصرون » ٥١ ــ ٢٢

« وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا » ١٣ ــ ٤٠٣

---

(1) خففنا الكلمة بحذف (يو) لتنسجم مع طبيعة الاسلوب العربي .

المسألـة الثانيـة :

تقدم أن الآثار الدالة على وجود رب العالمين لا تخضع كلها لعلم الانسان، وتقدم ان العلوم نوافذ تطل على تلكم الآثار الدالة على كبير قدرته تعالـى التي ابدعت خلق العوالـم من مـادة وطاقـة ايمـا ابداع ، ويقين العلماء : ان الحركة في كائنات عالم الذرة موجودة من قبل ايجـاد الحيـاة الناميـة المتجـددة المتناسلة التي طـرات عليهـا بعـد ذلك وكونت منهـا الخلايـا الحيـة الكبيرة والصغيرة بكل مـا تشتمل عليـه من تعينـات التكويـن الالهي التـي ذكرتها هنـا .

وان علم الاحياء الحديث « بويولوجيا » يقف حيال هذه التعينات التكونية التي تبدو في اعمالهـا الدقيقـة العجيبة ، وفي اصل خلقهـا وتطوره من بدايته الـى نهايته ، وفي اعطاء نوياتها خصائص وجودها ، واعادته بكل ما فيـه مـن عجائـب وأسرار لسلائلهـا يقف حيالهـا خاشعا تاليـا : « ربنـا الذي اعطى كـل شيء خلقه ثـم هـدى » ٢٠ ــ ٥٢ .

ويجدر بي ان اذكرك ببعض آيات القرآن التي نزلت في الحياة والاحياء ...

« ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلـك الله فانى تؤفكون » ٦ ــ ٩٥ .

« تبارك الذي بيدهالملك وهـو على كل شيء قديـر (٢) الذي خلق الموتوالحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا » ٦٧ ــ ٣ .

« وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغيـر صنوان يسقى بمـاء واحد ، ونفضل بعضهـا على بعض في الاكـل ان فـي ذلـك لآيات لقوم يعقلون » ١٣ ــ ٥ .

نعم علم الاحياء الحديث اكتشف بعض خصائص التعينات التي تشتمل عليهـا النوايات فـي عوالم الاحيـاء وخلاياهـا الحيـة الفعالة ، وهنـا يجعل بـي ان اذكر لك قصـة جرت بينـي وبيـن مدرس علم الاحياء في الكليـة الشرعيـة في بيروت ، قلت له مرة : « هل عرف العلمـاء المحدثون المواد التي تتركب منهـا الحبـــوب كالفاصوليـا والباذلا والعدس وسواهـا » .. اجاب : « ان العلمـاء المحدثين قـد استطاعـوا ان يفلقـوا الذرة ويعرفوا مـا بداخلهـا ، فكيف يجهلون مواد الحبوب وسواها .. وان العامة اليـوم يعرفـون ذلك !

قلت : لا اقصد انهم يجهلـون مواد الحبوب وعناصرهـا بل يعرفون حتى ذراتها ولكـن الذي اقصد ان اقوله : مـا داموا يعرفون كل ذلك ، ومـا دام في استطاعتهم تركيب امثالهـا تركيبـا صناعيـا يشتمل على ذات المواد والعناصر ، فهل تنبت هذه الحبـوب الصناعيـة قال : لا : لانهـا تفقـد الطاقـة الحيـة التي هي بمثابة مصنـع من مصانع عالم النبات .

قلت : اذن ، فالطاقة الحيـة شيء زائد على الذرات والعناصر والمواد . ولو لـم تكـن كذلك لوجدت الحياة اذا وجدت . اجاب : « هذا هـو الواقع وان كل ذرة مـن ذرات الخليـة الحيـة الناميـة لهـا وظيفـة خاصة في تكويـن امثالهـا من التراب

والهواء واشعة الشمس بسر الطاقة الحية المشتملة على النواميس الفعالة بقدرة الخالق العظيم جل وعز . وكنه قدرة الخالق العظيم لا يعلمها سواه ، وقد لمسنا وجودها بأثرها المشاهد وهو هذه الطاقة الحية الصانعة عجائب عالم النبات وقد وردت آيات كثيرة في ذلك :

« انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون » .

« وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزراع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل أن في لك لآيات لقوم يعقلون » ١٣ — ٤ .

والآن نتبين مما تقدم حقيقة التكوين الالهي لعوالم الاحياء ، وهو غير التكوين الصناعي الذي نشاهده في افراد العالم الالكتروني من كل الاوجه ..

انواع التلقي الالكتروني :

والنهاية ان انواع التلقي الالكتروني هو انطباع لا يزيد ولا ينقص عن تلقي الاسطوانة للاغنية ... وهو غير تلقي العقل المختص بعالم الانسان الذي طريقه الاحساس الغريزي والتفكر المنبعث عن الذاكرة . وغير تلقي الحيوان الذي طريقه الاحساس الغريزي المبني على انطباع التكرار ، وتلقي العقل الالي الالكتروني كالوعاء يحفظ ولا يضيع ، فان الذي يضيع في الواقع هو الملقن .

واذا استطاع العلماء ان يفرغوا كل معارفهم العليمة والصناعية الحديثة فيه فانهم يأتون بالعجب العجاب من أفراد العالم الالكتروني الصناعي الحديث ، ويكون هذا مقدمة لتأويل الآية الكريمة المدخر اعجازها للمستقبل وهي :

« واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » ٢٧ — ٨٣ .

أقول مقدمة لان التطور الصناعي الآلي الالكتروني الصاعد آخذ في التقدم السريع الجبار ، والعلماء عاكفون ليل نهار من اجل الصعود به الى اعلى قمة .

والذين يأخذون بظاهر هذا التقدم الصاعد السريع ويرونه كل شيء في الوجود هم كثيرون في هذا العصر ، وقد افضى ببعضهم الى الالحاد والاباحة ، فيكون خروج الدابة التي تكون من ذرات الارض الدابة التي تكلم الناس بأنهم كفروا وأنهم بذلك يستحقون العذاب قد أوشك خروجها ..

راجع تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة ٣٧٥ ترى بحثا مستفيضا عن هذه الدابة وقد قرأت في كتاب الطريق الى مكة تأليف محمد اسد صفحة ٣١٠ حديثا له مع العلامة المرحوم ابن بليهد عن الدجال قريبا من بحث الدابة . عد اليه فانه ممتع جدا .

وعلى كل حال فاشراط الساعة الكبرى توشك أن تظهر ، وما أجدر أن نتلو

هذه الآيـة المعجـزة في هـذا المقام : « فهل ينظرون الا الساعـة ان تأتيهم بغتـة فقـد جاء اشراطهـا ، فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم » ٤٧ ـ ١٩ ..

التكويـن الصناعـي :

وجدنا ان الطاقـة الحية ـ الروح ـ التي خلقهـا الله ونفخها في الذرات التي كـانت ميته قـد زودهـا بناموس اعمالهـا الخاص المسير بقدرته جل وعز ، سـواء اكـان ذلـك في ذات الزوجين على اختلاف تكوينهمـا وفق الايجابية والسلب او في تكيفهمـا على الصورة الخاصة التي رسمتهـا ارادة الله لتعين النوع الذي ينتجانه، ولتقديـر الغذاء الخاص بـه والاجل وفق الاسباب والمسببات . وطريقـة اتصال الموجب بالسالب لتظل سلسلة حياة النوع متصلـة الحلقات بكـل الوانها وخصائصها وفق الناموس المقرر للطاقـة الحيـة العاملـة في انقسام الخلايا وتأليف عناصرها المختلفـة لاتمـام عمليـة الخلق وسيره في اطواره حتى اذا بلـغ الكمال المقدر لـه اعطى الموجب نواة الموجب واعطى السالب نـوة السالب ، وكل ذلـك يتم بقدرة الله وحـده وما هذه الاعمال القائمة بهـا الطاقـة الحيـة الا آثارهـا الظاهرة الملموسة الدالـة عليهـا : « فانظـر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعـد موتهـا ان ذلـك لمحي الموتى وهو على كل شـيء قدير » ٣٠ ـ ٥٠ .

وهذا حق ومن لم يؤمن به فليس على شيء من الايمـان . قل لي بربك هـل يستطيع علمـاء الارض قاطبة ومـا وراءهـا من اهل العوالم الاخرى ان يصنعوا طاقة نحله أو ادنى ، ولو تساندوا ورصدوا كل امكانياتهم العلمية المتفوقـة ومواهبهـم الصناعيـة العبقريـة . طبعـا ، لا ، لا ، لا ،

اذن فكيف يستطيعـون ان يجعلـوا ساعـة تلـد ساعة مثلهـا .. نعم قـد يستطيعـون ان يجعلوا ساعـة تصنع ساعـة مثلهـا . وهذا ايضـا لا يتم الا اذا جعلوا الساعـة الصانعـة في حجـم الفيل لتأتـي الساعـة المصنوعـة كالساعة المعتادة . والا اذا جعلوا في باطن كل جزء من اجزاء الساعـة الصانعـة الات مخصصة لصنع مثله تمامـا ـ مادة وشكـل ـ واذا اتمت اجزاء الساعـة الصانعـة ـ بمـا وضع فيها من آلات صنع أمثالها . نقلـت الآلات جميع أجـزاء الساعـة المصنوعة الى مكـان الجمع المعـد لذلك في باطـن الساعـة الصانعـة . وناهيك بمكان الجمع، وبما يشتمل عليه من آلات دقيقة جدا وعجيبة جـدا . لان جمع الساعـة بعـد صـنعها اعسر من صنع اجزائها ، لمـا في ذلـك من كبير الدقـة والنظام ، وليس سهـلا ابدا كمـا نتصوره . قد يقول معترض : « حجم الفيل لا يكفي بـل لا بـد ان تكـون الساعـة الصانعـة في حجم اي مصنع للساعات وان شيـد فـي صورة الساعـة التـي ينتجهـا .. »

واني ارفض هذا الاعتراض واصر على استطاعـة العلمـاء ان يؤسسوا المصنـع في حجـم الفيل ـ او دونه .. ولكـن مـع ذلك لا يقول من يشاهـد الساعةالمصنوعة انهـا جاءت من طريق الايجـاد التناسلـي بـل مـن طريق الايجـاد الصناعي ..

هب ان العلماء استطاعوا ان يجعلوا مصنع الساعات في الحجم المناسب المتقارب بين تناسل الاحياء ومع كل ذلك لا يقال : ان الساعة المصنوعة جاءت من طريق الولادة التناسلية الحية ، لان الولادة التناسلية الحية تقتضي ايجاد الزوجين الموجب والسالب اللذين يحققان معا : حفظ النوع من الانقراض .. وفق المنهج المعين لتحقيق ذلك الى كل ما تقضيه الطاقة الحية النامية المولود من نوعية التغذية وتقدير الاعمار وتعين حجم النمو .. وهذا يقتضي قبل كل شيء ، ان يملكوا القدرة التي تستطيع ان تمد الطاقة العاملة بسر الايجاد الخاص لنوع الساعة المطلوبة .

طبعا هذا فوق قدرة الانسان ـ وان حوى علم الثقلين ـ وانما ادليت به لكي نطمئن بالدلائل العلمية اليقينية المشاهدة ان الآلة لا تلد آلة مثلها ولادة تناسلية حية . وان ادهشت اعمالها وحيرت . ان هي اعمال صناعية صرفة ، ولا ريب انك تقول معنا وأنت مؤمن مطمئن أن المنضدة لا تلد منضدة وان النار لا تحرق بنفسها ولكن بقدرة الله خلقها وجعلها محرقة .

والخلاصة أن التطورات العلمية التي تمت وتتم لافراد العالم الالكتروني الحديث لا تعد معضلات بالنسبة لخاتم الكتب السماوية ـ القرآن المجيد ـ الذي نادى الانسانية وينادي ابدا بآياته المعجزات مثل :

« وسخر لكم ما في السموات والارض جميعا منه ، أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ٤٥ ـ ١٤ .

ومثل :

« وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » ١٦ـ ١٥

ومثل :

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . او لم يكف بربك انه على كل شيء قدير » ٤١ ـ ٥٣ ..

وهكذا نجد وحي الله يفهم البشر جميعا أن مدى الامكانيات العلمية المفكرة العاملة لا تقف عند حد ، وان الله جعل العوالم بأسرها القريبة والبعيدة مسخرة لمصلحتهم وسعادتهم .. فما عليهم الا أن يؤمنوا بآيات الله المنزلة ويقتحموا الآفاق ويستخرجوا خيرات الارض باتخاد وتفاهم وتعارف وتواد لينجوا من الاخطار وبلايا الاحقاد والاثرات .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » ، ٤٩ ـ ١٤ ..

اصول العقيدة الاسلامية

استنبط العلماء الراسخون العباقرة من المسلمين من نصوص الوحي اليقيني المحكم اصول العقيدة الاسلامية خشية انحراف الدارسين عن الواقع اليقيني الذي انزله عزوجل على خاتم رسله سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وخشية وقوعهم في اشراك الواغلين الآثمين الذين يخونون واقع العلم اليقيني بما يدسون حوله من أساطير وخرافات رغبة في الافساد والتشويش ..

واني في هذه الكلمة الموجزة اذكر بعض هاتيك الاصول التي هي عين اليقين في الاجابة عن الاسئلة التي وردت في الرسالة :

الاول : ـ في ذات الله وصفاته .

الثاني : ـ في الرسل وصفاتهم .

الثالث : ـ في الكتب السماوية .

الاول : في ذات الله وصفاته :

الله هو الخالق للعوالم كلها سواء اكانت من عوالم المادة او من عوالم الطاقة وفي ذلك يقول الله عزوجل :

« ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فأعبدوه وهو على كل شيء وكيل » ٦ ـ ١٠٣

« ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون » ٤٠ ـ ٦٣ .

أ : الخالق سوى المخلوق :

الصانع غير مصنوعاته قطعا ، ولو كان الصانع عين مصنوعاته لانقلبت الاوضاع واصبح العلم جهلا والحق باطلا ، وفي ذلك يقول الله : « قل هو الله احد

اللــه الصمــد لــم يلد ولم يولــد ولم يكــن لــه كفوا احد » .

« أفمن يخلق كمــن لا يخلق افلا تذكرون » ١٦ ــ ١٨ ..

« فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجــا ومن الانعام ازواجــا يذرؤكم فيه ليس كمثله شــيء وهــو السميع البصير » ٤٢ ــ ١٣ ..

فذات الخالق العظيم ليست هي من عوالم الطاقات ، ولا هي من عوالم المــواد التي تتألف منهــا عوالم الوجود كافــة . فكل مــا يدرسونه من عوالم المــادة مــن انســان وحيــوان ونبات وجماد . وكذلــك كــل مــا يدرسونه من عوالم الطــاقة من مغناطيس وضوء وارواح وسوى ذلك فالله مخالف له ..

والعقل الانساني ليس في مقدوره ان يتصور كنه ذات الخالق العظيم ، كمــا هي فــي عيــن الواقــع اليقيني او يحيط بهــا علمــا : انــي يستطيــــع ذلــك ؟!

وتصورات الانسان مهمــا كــان عبقريا وعالما لا تــخرج عن نطاق العوالم بل هــو لمــا يحط علمــا بكل عوالــم الوجــود حتــى يستطيع ان يحيط علمــا بكنه ذات الموجد جــل وعــز ....

والواقع ان احاطــة العلمــاء بكنه ذات الخالق العظيم مستحيلة ، وهم يعلمــون ذلــك لانهم لم يحيطــوا علمــا بكنه طاقــة المغناطيس مثلا وسواه من عوالم الطاقــات حتى يفكروا ان يحيطــوا بكنه ذاته جــل وعز .. وفي ذلــك يقول الله فــي كتابــــه الكريم : « يعلم مــا بيـــن ايديهم وما خلفهم ولا يحيطــون به علما » ٢٠ ــ ١١١١.

فخطأ كبير الظن ان ذات الخالق جــل وعز طاقــة ازلية تحــل حسب تصور كــل جماعــة في حيــوان او انسان او نبــات او جــماد .

ب ــ صفات الله جل وعز :

لا ريب أن تصور الصفات فرع عن تصور الذات ، ولما كان كنه ذات الخالــق العظيم فوق تصورات الفكر ونطاق العقل والعلم فكذلك كنه صفاته سبحانه وتعالى، وانمــا ندرك مــا ندرك من صفات الله مــا تدل عليه عوالم الوجود التي لا تتناهــى والتي هي فوق حساب الفكر وما تدل عليه آيــات الله المحكمة (١) التي لا يأتيهــا الباطل من بيــن يديهــا ولا من خلفهــا .

ولنأخذ مثلا : « قدرةالله » المبدعــة لهذه العوالم والمهيمنة عليهــا والمتصرفــة فيهــا والمسيرة لهــا فاننــا نجــد من المحال ان تكــون مماثلــة لقدر المخلوقين فــي كل العوالم ولو اجتمعت كافــة قدر المخلوقين من اجل ايجــاد طاقــة حية ذات ناموس عامل مكــون فــيذرات ميتة لايجــاد نــوع من انواع الاحياء كخلق ذبابة مثلا لعجزت وعجزت الى ابد الآبدين وفي ذلك يقول الله عز وجل :

« يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا لــه ان الذيــن تدعون من دون الله لــن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئــا لا يستنقذوه منــه ضعف الطالــب والمطلـــوب » ٢٢ ــ ٧٤ .

---

(١) راجع بحث المحكم والمتشابه في هذا الكتاب .

أجل محال أن تشبه قدر المخلوقين قدرة الخالق العظيم جل وعز واذا احببت ان تدرك هــذا الواقع اليقيني فــي القرآن المجيــد كمــا ادركته في العلم الحديث فأعد تلاوة هذه الآيات المعجزة بخشوع وتدبر .

« اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثله . بلى وهـــو الخلاق العليم انمــا امره اذا اراد شيئــا ان يقول لــه كــن فيكون ، فسبحان الذي بيــده ملكــوت كــل شيء واليه ترجعون » ٣٦ ــ ٨٣ ..

« وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يــوم القيامــة والسموات مطويــات بيمينه سبحانه وتعالــى عما يشركــون » ٣٩ ــ ٦٨ ..

« قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيــدك الخير انــك على كل شيء قدير ، تولج الليل في النهار وتولج النهــار في الليــل وتخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وترزق من تشــاء بغيــر حساب » ٣ ــ ٢٧ .. (١)

فالعوالم كلهــا ما علمنــا منهــا ومــا لــم نعلم هي آثار قدرة الله جل وعــز ، ومــا هذه الآيات الكريمة الا كــلام الله الخالق العظيم التي كشفت للعقل الانساني جلال قدرة الله بعد ان سقط في تصورهــا في وحول الاساطير والخرافات ..

وما قلنــاه عن قدرة الله تعالــى نقوله عــن سائر صفات الكمال التي تجب لله جل وعز كالوجــود والوحدانية والحياة والسمع والبصر والكلام ، وتنزهه عن مشابهة مخلوقــاتــه وسوى ذلــك ...

والعلمــاء الذيــن انعموا انظارهم في مقاصد الآيــات الكريمة التي بسطـــت صفات الله جــل وعز واستوعبوهــا دراســة وفقهــا استنبطــوا هــذه القاعـــــدة الاصيلة .

« يجب ان يتصف الله بصفات الكمال التي تليق بجلاله وتنزهه ، ويستحيــل ان يتصف بصفــات النقص التي تنافي ذلــك : « كالنــوم والنسيان والندم والغفلــة والاكل والشرب والعجز والموت والصمم والعمى والمصارعــة والزواج والولادة وسوى ذلك من الصفات التي يستحيل أن يتصف بها خالق هذه العوالم الواحد القهــار ، وان وجدناهــا مدونــة فــي كتب الملــل والنحل وسواهــا .

ومــا وضع العلماء هذه القاعــدة في العقيــدة وسواهــا من القواعــد الا انقاذا للدارسين أن تزل بهم التباسات الآيات المتشابهة عن واقعها كما أوحاه الله علـــى خاتم رسله صلوات اللــه وسلامه عليه في الآيات المحكمــة التي هي ام الكتاب ..

الثاني : في الرسل وصفاتهم :

رسل الله وانبياؤه هم الطبقــة الانسانيــة العليــا في سمو الشرف وصراحــة

(١) الارض ومن عليهــا هي الميتة في الاصل اي لم تكن بهــا احياء والحي هي الطاقــات الروحية التي نفخها في عوالم الانسان ، والحيوان والنبات فاصبحت حية بها فاذا اخرجها عادت ميتة فهــو سبحانه وتعالى وحده الذي يخرج الحي من الميت والميت من الحي . كمــا انكشف ذلــك لعلمــاء الذرة فــي عصرنــا ايضــا .

الصدق وصفاء الاخلاص وطهر العفاف وروعة الفطانة وسلامة الباطن والظاهر من الآفات والعلل المنفرة بالاضافة الى الشجاعة والكرم والتفوق والثقة بالله وطلب مرضاته والرغبة فيما عنده والصبر على الاذى والثبات لدى الملمات .

وتاج هذه الصفات النبيلة العليا الواجبة لرسل الله وانبيائه صلوات الله وسلامه عليهم (العصمة عن صغائر الذنوب وكبائرها) اي انهم متصفون بكل صفات الكمال الانساني المفرقة في أفراد الكاملين وهم منزهون عن كل صفات النقص، والله عزوجل يستحيل ان يختار لرسالته الآثمين والفجار وذوي العاهات الناقصين الاغبياء ..

واذا كانت الدولة لا تسمح لمن لم تتوفر فيه المؤهلات العلمية ان يفتح مدرسة فكيف يمكن أن يرسل الخالق العظيم رسلا ناقصين مرتكبي الآثام ملوثين بالامراض أغبياء ؟! حاشى الله أن يكون ذلك والخالق العظيم يقول في خاتم كتبه السماوية..

« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » ٥٧ ــ ٢٥ ويقول :

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات. وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس » ٢ ــ ٢٥٤ ويقول :

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء . ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون. وكذلك نجي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » ٦ ــ ٨٧ .

والآيات الكريمة التي تقص علينا صفات الرسل الكاملة واعمالهم السامية وسيرهم المجيدة كثيرة جدا في القرآن المجيد وحسبنا ان نؤمن بهم جميعا وان لا نفرق بينهم في الطهارة والنزاهة والاخلاص والتقدير ..

وبهذه المناسبة نتلو هذه الآية الكريمة : « والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما » ٤ ــ ١٥٣ ...

الثالث : في الكتب السماوية :

القصة المدونة في سفر ايوب :

نستطيع الآن أن ندرك بعد تفهمنا لهذه القواعد الخاصة بالله وصفاته والرسل وصفاتهم ان القصة المدونة في سفر ايوب ما هي من التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لان العهد القديم الذي فيه سفر هذه القصة هو خليط من الاسفار من جملتها سفر التثنية الذي هو التوراة .

ومعنى توراة في اللغة العبرية شريعة ، وكذلك ناموس في اللغة اليونانية .

والظن ان لفظة توراة تعم سائر اسفار العهد القديم لا اصل له، هذا هو الواقع العلمي اليقيني المقرر في المجامع العلمية ، وقد ذكروا ان الالواح التي انزلت على

موسى لم تكن سوى سفر التثنية ـ التوراة ـ هذا ما حققة ونص عليه الدكتور بوست في كتاب القاموس المقدس . والمعروف لدى العلماء أنهم لم يكن بعد وفاة سيدنا موسى لدى بني اسرائيل سوى سفر التثنية وقد ظلوا يتوارثونه الى السبي البابلي (١) ولكن الذي حصل بعد ذلك ان عذرى ومن جاء بعده من الاحبار اضافوا الى الكتاب المقدس التوراة اسفارا اخرى تشمل سفر اللاويين وسفر الخروج وسفر العدد وسفر يشوع وسفر القضاة وسفر الملوك الاول والثاني وسواه حتى اضاف بعضهم الى الكتاب المقدس (العهد القديم) قصتي استير وهوديت .

لذلك ما جاء في سفر أيوب ما هو الا قصة بولغ فيها حتى جاءت على الصورة التي هي عليها ، على ان الشيطان يستحيل ان يتسلط على رسل الله ولا من دونهم من الصالحين الصادقين فا نالله عز وجل يقول :

« ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » ١٧ ـ ٦٦ .

لذلك نحن نؤمن بان سيدنا أيوب أكبر من أن يتسلط عليه الشيطان او سواه من الاشرار ، وأنه متصف بكل صفات الكمال التي هي خاصة صفات الرسل والانبياء وحاشى أن يحرم منها ويلقى على القمامات حتى يتناثر منه الدود . وكيف يستطيع الشيطان ان يتسلط على رسل الله وهم أمناء على تبليغ وحيه دون زيادة او نقصان، وعلى كل حال فالمقصود في الاسلام من الكتب السماوية المنزلة هو كلام الله وحده المفرز عن كلام الرسل وكلام اتباعهم وسيرهم وسير اتباعهم .

وقد أفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة اتباعه فانه كان ينهى عن تدوين شيء من أحاديثه مع كلام الله جل وعز ، فما بالك أصحابه وسيرهم ..

على ان الاعتماد في حفظ القرآن المجيد هو على الاستظهار والتلقين المتواتر، نعم عين رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا للوحي يدونونه اولا فأولا ، وكان تعيينهم هذا وتدوينهم له بمثابة الاذن بتدوين القرآن المجيد في المصاحف كما تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العالمين بواسطة الملاك جبريل عليه السلام ولقنهم اياه بالتواتر القطعي ، لذلك لا يصح في الاسلام ان يحاول محاول ان يخلط القرآن الكريم بكلام رسول الله وسيرته ، وكلام اصحابه وسيرهم ، وتاريخ الخلفاء الراشدين ويقول : هذا هو القرآن او كتاب الوحي المقدس في الاسلام كما نشاهد ذلك فعلا في العهد القديم ، وعلى كل حال فالمسلمون يفهمون ان المقصود من التوراة هو عين كلام الله المنزل على سيدنا موسى في الالواح وان المقصود من الانجيل هو عين كلام الله المنزل على سيدنا عيسى .

ومن اجل ذلك يطلقون على التوراة والانجيل والقرآن الكتب السماوية . وقد اختلط على صغار الدارسين هذا الواقع العلمي فسقطوا في اضطرابات فكرية وآراء شاذة غريبة عن مدلولات القرآن اليقينية تنم على مدى بعدهم الشاسع عنها، ونحن اليوم في عصر ذري حديث هدف اجياله الاول والاخير هو كشف واقع العلم اليقيني في كل ما يكتب عنه الكاتبون ويؤلف من اجله المؤلفون .

---

(١) راجع بوست الجزء الاول صفحة ٥٥٩ .

الاساتذة والطلاب

في كل بلد : اصناف الاساتذة ثلاثة واصناف الطلاب كذلك : أما أصناف الاساتذة فهم :

١ ـ الملحدون الذين يرون واقع العلم محصورا في المعارف المادية التي اكتشفوها ، ويجحدون ما وراءها تمردا وجهلا وغرورا وتظاهرا باسم العلم .. ونسوا ان كل كائن من الكائنات يشتمل على واقع علم خاص به والكائنات لا تحصى، وكذلك واقع علومها ، ناهيك بالموظفين منهم دعاة الالحاد والاباحة ارضاء لوجه الشيطان .

٢ ـ المؤمنون بالخالق العظيم الايمان العلمي اليقيني المؤيد بدلائل العوالم الكبرى المكتشفة التي لم تكن في الحسبان، وهؤلاء يرجى لهم الهداية بوحي الله اذا انكشف لهم من واقع العلم اليقيني وفي أمثالهم نزلت الآية الكريمة : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله مع المحسنين » ٢٩ ـ ٦٩ ..

٣ ـ المؤمنون بمواريث دينهم ، وهؤلاء منهم الاسطوريون الذين لا يميزون بين العلم والظن والصدق والكذب والحق والباطل .

ـ ومنهم العلماء الراسخون الذين يفرزون النصوص بعضها عن بعض (١) فلا

---

(١) ان علماء الاسلام منذ العصر الاول فرزوا النصوص اليقينية من الظنية والضعيفة من سواها، كما فرزوا نصوص كلام الله من كلام رسوله من كلام الصحابة وسيرهم وتواريخهم واجتهاداتهم، وكان عملهم هذا من أكبر العوامل التي حفظت واقع الوحي الالهي من الدخيل والاختلاط . والجهاد في هذا الافراز متواصل في الاوساط العلمية الاسلامية لا ينقطع أبدا . والمؤلفات تذاع على جماهير العلماء في كل البلاد ، خشية أن يفهم الاسلام على غير واقعه العلمي اليقيني المنزل على خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم .

يعرضون عن واقع العلم ويقبلون على الظنون والاوهام ، وفي امثالهم نزل قول اللـه عز وجل : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » ٣٩ ـ ١٩ ..

وأما الطلاب فهم ايضا ثلاثة أصناف :

١ ـ طلاب كل هدفهم فيما يتلقونه من ثقافة الاهتداء الى واقع العلم اليقيني غير مكترثين لما عداه. وهؤلاء الذين يملكون التمييز بين أصناف الاساتذة وبين أوزان معارفهم التي يثقفونهم بها ..

٢ ـ وطلاب يرون واقع العلم اليقيني هو ما يتلقونه عن اساتذتهم سواء اكان حقا ام باطلا علما ام ظنا ، وهؤلاء يعرفون قيمة العلم بالاستاذ ، لا قيمة الاستاذ بالعلم ، يفتنهم بهرج الزيف .

٣ ـ وطلاب يرون واقع العلم اليقيني ما لقنوه في الصغر، وما نشئوا عليه من عقائد متوارثة في عزلة عن مجاري الثقافة العالمية الحديثة .

وهؤلاء يفقدون ملكة التمييز التي يفرزون بها العلم عن الجهل والحق عن الباطل والخير عن الشر ..

واني احمد الله حيث خبرتك زمنا طويلا فخبرت فيك الوعي والاعتداد بالنفس والنصرة للعلم والحق والخير ..

عرفتك طلعة في غرة الطليعة بين اتراب نبلاء اذكياء وما طلبك للتعرف الى وجه العلم اليقيني في كل وجوه المعارف التي مرت بك وتمر بالامس واليوم الا برهان غدك الزاكي الزاهي المجيد .

الدراسة العلمية للقرآن

انـواع الـدارسين

الدراسة العلمية : هي الدراسة التي تكشف واقع المعرفة فـي كـل شيء.
والدارسون كثيرون جدا فـي كـل أمة ، ولكـن الدارسين العلميـين انـدر مـن « الاورانيوم » .

والذين درسوا القرآن وحاضروا فيه والفوا من الغربيين وسواهم لا يحصون عدا . ولكن قل منهم الذين درسوه الدراسة العلمية الامينة المتحررة .

ومن لم يدرس القرآن المجيد هذه الدراسة العلميـة فلن يتمكـن مـن كشف معجزاته التي هي باعث الايمان بمثله العليا في كل جيل .

وأحسب الذي جعل العلماء الغربيين الاحرار يرفضون كل دراسة غير علميـة خالصة للقرآن او لسواه في عصرنا الحديث أمران :

الاول : الانقلاب العلمي الكبير الذي طرأ على العقلية الانسانية كافة بعد انفلاق الذرة ، اذ أصبح طالبو المعرفة في كل مكان يرفضون أية دراسة عن أي شيء لا يقصد منها كشف واقع العلم ولو صدرت من أكبر جامعـات العالم . ويقابلـون السنـة الدارسين الذين يخونون واقع العلم بمقاريض حادة من النقد ليفصلوا الجهل والباطل، والانحطاط عن العلم والحق والسمو .

الثاني : هو تحدي القرآن المجيد الصارخ واقتحامـه المعارك المنتصرة بسلاح العلم ، ونداؤه بأنه حجة الخالق على خلقه في كل عصر ومصر .!!

ولو رأى العلماء الغربيون الامناء الاحرار أن القرآن سفر اساطيـر وخرافات وان تحديه دعوى ومجازفة لا نصيب لها من العلم والحق والواقع لنبذوه وراءهـم ظهريا من أول نظرة ، ولم يكلفوا ميزانياتهم كل هاتيك النفقات الطائلة، وكل هاتيك

الدراسات الشاقة المتلاحقة ، من اجل التعرف الى واقعه العلمي . ولا ريب أن الذي بعثهم الى كل هاتيك الدراسات العلمية التي تتسع يوما فيوما هو التحدي الصارخ في وجه قوى العلم ، وقوى الادب المتفوقة ، وما تعتد به من قوى الالهة التي تدين بسلطانها الخارق كالجن والملائكة والارواح المعبودة من دون الخالق العظيم .

وما أحرى الذين لا يزالون مرتابين من الغربيين ومقلديهم أن يعقدوا المجامع العلمية الحرة الامينة لاسقاط هذا التحدي الصارخ من الوجهات العلمية الخالصة فانها هي وحدها التي تسقطه لدى العلماء الاحرار الامناء . والواقع ان سقوط الكائنات أقرب الى الامكان من سقوطه في واقع العلم الخالص الحر الامين . لانه عين كلام الله النفسي ، وهل يدخل في قوى العوالم كافة ان تسقط حرفا واحدا من كلام الله النفسي ، فكيف به جميعا . وهل العوالم جمعاء الا أثر من آثار قدرة الله عز وجل . !!

يا علماء ، يا أحرار ، يا مفكرون ، يا أعداء الاساطير والخرافات والظنون والاوهام هذه بعض آيات التحدي فأدرسوها بعين العلم الخالص :

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسوره من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين (٢٤) فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين « ٢ ــ ٢٥ » .

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، ١٧ ــ ٨٩ » .

« وما يتبع اكثر هم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون (٣٧) وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٣٨) أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (٣٩) بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله (١) كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ، ١٠ ــ ٤٠ » ..

اجل يا سادة ، القرآن موجه الى العلماء الراسخين .. : « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ، ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ٦ ــ ١٠٥ » .

« ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد ٣٤ ــ ٦ » .

«وكذلك نصرف الآيات ، وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ٦ ــ ١٠٦ »..

« ... قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ٦ ــ ١٤٩ » .

والى المفكرين الاحرار :

« أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين ، او لم ينظروا في

---

(١) ان بوادر ظهور تأويل آيات المعجزات العلمية آن أوانها بعد انفلاق الذرة وفي الكلمات الاتية بيان ذلك ..

في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ٧ ــ ١٨٤ » ..

« قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ٣٤ ــ ٤٧ » ..

« قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ١٢ ــ ١٠٩ » ..

« وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ١٦ ــ ٤٥ ».

والى اعداء الاساطير والخرافات والظنون :

« ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ١٧ ــ ٧ » .

« وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ١٠ ــ ٣٧ » .

« وما علمناه الشعر وما ينبغي له أن هو الا ذكر وقرآن مبين ٣٦ ــ ٧٠ » ..

« كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب ٣٨ ــ ٢٩ ».

والى المصلحين الاحياء هادمي التقاليد الفاسدة :

« وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا أنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ١٤ ــ ٢١ » ..

« قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا او أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد (٨٨) قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه أن أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ١١ ــ ٨٩ » .

« ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين ٧ ــ ٥٧ » .

« لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ٣٦ ــ ٧١ » ..

والى الناس جميعا :

« قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ، الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحي ويميت فأمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ٧ ــ ١٥٨ » ..

اما سوى هؤلاء فهم الاموات أهل الظنون والظلام المهملين .

وكم نحمد الغربيين المحدثين الذين طرحوا احقادهم المتحاجزة ، وتقاليدهم البالية ، وموروثاتهم المنجمدة وراءهم ظهريا ، واقبلوا يدرسون القرآن المجيد دراسة علمية محررة من الدس والتحريف والوضع والظنون والاوهام . اقبالا يزيد يوما فيوما ... وهؤلاء اقاموا في كل جامعة من جامعاتهم الكبرى فئة من الاخصائيين في الدراسات الاسلامية وأغدقوا عليهم الرواتب الضخمة ، هيأوا لهم الفرص المؤاتية والظروف المناسبة لكي يحرزوا التفوق العلمي العبقري المجيد على اصول المناهج العلمية الحديثة . من هذه الدول المانيا فانها عقب الحرب العالمية الاولى

شيدت معهدا خاصا لدراسة معارف القرآن المجيد وجعلته فرعا من فروع جامعة « ميونخ » وقد انفقت في سبيل تشييده وتأسيسه وارسال الاخصائيين في الدراسات الاسلامية الى مختلف العواصم العربية وسواها لجلب المخطوطات والمطبوعات وأخذ الصور الشمسية للمؤلفات الخطية المحظورة والمصاحف النادرة وكل ما كتب عن القرآن المجيد سواء أكان من جهة نصوصه أو قراءاته أو خطوطه أو تفاسيره أو مفرداته اللغوية ، او ما استفيد منه من تشريع وعلوم وآداب وسوى ذلك .

وكم اشجاني وأوقد الحسرات في تأملاتي دمار هذا المعهد بيد قنابل الحرب العالمية الثانية ، وكم للحروب من أهوال وويلات تقشعر منها الابدان (١) وتنخلع قلوب الوحوش الكاسرة بله الانسان المثقف .

واخالك لا يخطر ببالك العجب ـ بعد بياني هذا ـ اذا شاهدت اسلام كثيرين من علماء الغرب ومفكريه ، لانك تلمس ان الذي يجعلهم يسلمون ويخلصون ليس هو سلطان الدول الاسلامية او معارفها المتفوقة ، او ما تقدم من مال في سبيل الدعاية والاغراء وتأليف القلوب بل هو العلم الذي وجدوه في القرآن المجيد وافانين معجزاته الدافقة المتجددة التي تنكشف لهم كلما قارنوها بمعارف الكتب الدينية في العالم، وهم قوم لا يأسرهم ولا يقودهم ولا يقنعهم ولا يرضيهم مثل واقع العلم في كل شيء، انهم يقدمون له اموالهم وارواحهم بحماسة وتضحية ويرون ذلك قليلا في جنب ما له عليهم من أياد ، أجل أنهم يقدمون له كل ذلك بحماسة وتضحية ما سمعنا بمثلها من قبل الا في القرون الاسلامية الاولى حين كان المسلمون يحيون حياة العلم.

وقد يجول في الفكر ان بعض المطالعين يقولون : « انك بالغت ، الا ترى فريقا من المستشرقين الغربيين يعكفون على دراسة القرآن ويتعمقون في فحص معارفه بوعي ودقة ولكنهم مع ذلك لم يسلموا انه وحي الله ! ومنهم من يقضي الاعوام الطوال في ترجمة معانيه ومع ذلك يستمر يؤثر ما ورث من دين ويراه الامثل في الدلالة على معجزات الله على واقع العلم .

بل لدينا من العرب أنفسهم مسلمين وسواهم من استظهروا القرآن المجيد ودرسوه اعمق دراسة والحدوا ... »

هذه هي المعضلة في رأي بعضهم ، وحقيقة هذه المعضلة سراب خادع ، وكل شأنهم انهم لم يميزوا انواع الدارسين تميز العلم والبحث ، ولم يتبينوا قيمة انتاج من انتاج بالنسبة لذاته في موازين العلماء الراسخين .

واني في كلمتي هذه افصل أنواع الدارسين تفصيلا ، واكشف وزن انتاج من انتاج مما يعرض في اسواق العلم ، ليستيقن المطالعون ان لا معضلة ولا شبه معضلة في قضية كلام الله عز وجل ...

---

(١) من أراد التوسعة في التعرف الى هذا المعهد فليراجع ما كتبه الدكتور الفاضل محمد حميد الله في مجلة رابطة العالم الاسلامي العدد الخامس ، السنة الثانية ص ٣٩ تحت عنوان « الالمان في خدمة القرآن » .

انـــواع الدارسين :

١ ـ دارس في نطاق التقاليد والظنون :

ان هذا الدارس ليس في مقدوره أن يتجاوز ما نشىء عليه مـن تقاليد وظنون الى ما وراءها من حقائق العلم ، الا اذا كانت هي التي تتجاوز به ... لانـه مشدود اليها من جيده بأمراس من مسد ،

لذلك لن يقيم لواقع العلم وزنا لا في القرآن المجيد ولا في سواه ، الا بمقدار ما يتصل بميراثه الثقافي التقليدي القائم على الظنون والاوهام ، فاذا ما بحث في امر ما تراه انحاز الى ما ورث وعادى ، واقع العلم ، واخذ يحتال في انتاجه ليجعل العلم جهلا والجهل علما ، ومن كان هذا وضعه من تقاليده فأي رجاء للعلم في بحوثه سواء أكانت عن القرآن ، أم عن سواه وهيهات هيهات سوى ما ورث مـن ثقافة ، ومـا نشىء عليه من تقاليد تبعث في نفسه الطمأنية والنشوة والايمان والتأييد .

٢ ـ دارس واهن التفكير ذو اوهام :

ان هذا الدارس لا يستطيع تحرير العلم من ردة الجهل وان كـان يحـب ان يعرف عنه ذلك ، لانه يفقد العقلية الصافية المتقدة التي هي آلة التمييز بين العلـم والجهل ، والواقع والخيال والصدق والكذب .

وداء هذا الدارس عقلي محض ، ولا رجاء في ابلاله حتى ينتظر له يوم يخدم فيه واقع العلم في ما يقدم للناس من انتاج .

وهو يعيب معارف الكاتبين، ولا يدري ان العيب فيه، وهو الذي عناه شاعرنا العربي الحكيم أحمد المتنبي بقوله :

وكم من عائب قولا صحيحا — وآفته مـن الفهـم السقيـم

٣ ـ دارس انتهازي متلون :

يطلق الكاتبون على هذا الدارس الانتهازي المتلون ، لقب الدارس المومس لانه يؤخر نفسه بالاثم لطمس واقع العلم ، وهو متأكد انه واقع العلـم ... والدارس المومس لا يدخل في اغراضه ابـدا كشف واقـع العلم فـي ما يقـدم للناس مـن انتاج ... ولا يدخل ذلك في حسابه ، وكل همه أن يقدم ما استؤجر لاجلـه باسم حقائق العلم ، ولو كان الجهل الغابي ، والباطل النحاسي والظلم النيروني (١) .

---

(١) هو جهل سكان الغاب ، هو الزعم بتحويل النحاس أو الرصاص الى ذهب ، وحرق نيرون لروما مشهـــور .

والدارس المومس تجده ـ وان كان يخون امانة العلم والحق والصدق ـ انيقا مهذبا حلو الحديث، وتجد بحوثه كلها افسادا للتعارف الانساني، والتفاهم السلمي، والتوادد الخلقي ، وهو الى جانب ذلك لا يستقر على رأي ، انه خداع لا ينفك شعالا للفتن ، وقادا للاحقاد ، فاغرا فاه لالتهام المال الحرام ، ومنه ومن أمثاله حذرنا الله في وحيه :

« ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام (١١) واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ١٢ ـ ٢٠٦ » .

وهذا الدارس اخطر انواع الدارسين لانه يبدو لك باللون الذي تصبو اليه وتهواه ويطوي عنك حقيقة نفسيته .

نعم قد يكون في الامكان التعرف اليها ... أطرح ما يتحدث به اليك الآن وأنظر أحاديثه المذاعة هنا وهناك ، ومداخله ومخارجه ، فانك تلمس واقعه المتلون لمس اليد، ومهما يطل الزمن فالحقيقة لا بد ان تكشف ، وواقع العلم لا بد أن يظهر.

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

ما دام في الناس من يدرس ويبحث ويحقق ولا يأخذ بظاهر الاشاعات والظنون والاوهام .

٤ ـ دارس ملحد :

الدارس الملحد لا يؤمن بشيء سوى نفسه وشهواتها ولذاتها ، فهو اله نفسه على عقيدة « سارتر » .

وكل امره دعوى العلم وان كان يمسخه مسخ القردة والخنازير .

وواضح ان البحث العلمي لشيء هو كشف لواقعه والباحث الملحد لا يؤمن بشيء حتى يطلب كشف واقعه ويجهد له ويسهد . ولكنه يلعلع بما يختلسه من هذا المؤلف او ذاك مما يتخيل ان يكسبه سمة العلماء والفلاسفة ، ويظهره بمظاهرهم العبقرية المتفوقة وشخصياتهم الرائعة المحترمة . وان كان واقعه انه لا نبوغ له في شيء الا في السخرية اللاذعة بحقائق العلم وأهله ، ولا تفوق له الا باعلان الالحاد والتطرف بمناسبة وبدون مناسبة ... حتى انه لا ينصرف من مجلس الا واللعنات تلاحقه والسخط يتشبث بأذياله، وهو يعرف ذلك ويقول: «لعن الجماهير وسخطهم أوسع أبواب الشهرة ومن لا يتعمد هدم واقع العلم في ما يقدمه الناس لا يتحدثون عنه بأكتراث والحاح ...

ولن تجد اخبث من الدارس الملحد نفسا ولا اضل، وانه لمجادل من الطراز الاول على باطل ، وعابد لهواه على خسران وكبرياء ، وقد عينه الله في وحيه ليجتنب ويحذر ، « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٩) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ٢٢ ـ ١٠ » ..

٥ ـ دارس اشعبي :

الدارس الاشعبي هو الذي يختلق الحوادث اختلاقا ثم يصدقها فهو كالمرحوم أشعب الذي كان يكذب على الاطفال قائلا : (هناك عرس تفرق فيه الحلوى فاذا جد الاطفال في العدو حيث اشار ، مثلت له اطماعه كذبه صدقا . فيأخذ في العدو ليحظى بنصيبه منها . . !!

والدارس الاشعبي لا يكتفي باختراع الحوادث من اجل اطماعه بل تجره اشعبيته الى اذاعتها في الاوساط ودسها في مؤلفات العلماء ، فهو خائن للعلم، ومن كان خائنا للعلم فلن يكون امينا على كشف واقعه .

٦ ـ دارس داعيه :

هو الدارس الداعية لفكرة بعينها يعمل لتأييدها بعجزها وبجرها وحقها وباطلها، وخيرها وشرها . واعتبارها هي المثل الانساني الاعلى .

والدارس الداعية ـ بحكم وظيفته ـ ليس في نيته ان ينتصر لواقع العلم ولو استبان له كل الحق في القرآن أو في ناحية اخرى سواه لان تنصيبه كداعية لفكرة بعينها لا يمكنه من ذلك. وان كان يخدع ويخادع ويكني ويوري فيأحاديثه وكتاباته، ليظهر للناس أنه يقدم العلم على الجهل متى انكشف له .

ومهما يكن من أمره فصبغة الدعاية لفكرته تظل هي الظاهرة الغالية .

٧ ـ دارس علمي :

الدارس العلمي كل جهاده ان يكشف واقع العلم في كل المسائل التي يقبل على دراستها .

والدارس العلمي يرفض ان يعلن بأسمه غير واقع العلم ـ سواء كان ما يعلنه عن العلوم او الفلسفات أو الاديان او التاريخ أو الآداب أو الفنون ، وسوى ذلك والدارس العلمي هو أنشودة الانسانية الصاعدة وأمنية أمانيها وضوء ظلماتها، وحياة أمواتها من الدارسين الآخرين وصواب أخطائهم واستقامة انحرافاتهم فهو نور الحق وشمس المعرفة وبقلمه وحده ترفع صروح الحضارة وتدعم معاهد العلم وتشيد مراكز المخترعات والمختبرات .

والدارس العلمي روح العلم فيه يحيا ويتجدد ويزيد ويعمم وبه تصح الانسانية وتتهذب وتصفو وتسمو وتسالم، وبه وحده يصرع الجهل والدس والغباوة والتقليد والخرافة والاسطورة والاحقاد ، والدارس العلمي هو الدارس القرآني الموصوف آيات كثيرة : واليك بعضها :

« ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا ، ١٧ ـ ٣٧ » .

« ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون ، ٢ ـ ٤٣ » .
« نبئوني بعلم ان كنم صادقين ، ٦ ـ ١٤٤ » .
«ومن الناس من يجادل فيالله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، ٣١-٢٢»..
« وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ، ٢٢ ـ ٥٥ » ..
« هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ، ١٠ ـ ٦ » ..

والنصوص العلمية اليقينية التي وردت في الدارس القرآني الذي يحق له ان يحمل لقب الدارس العلمي لا تحصى كثرة في القرآن المجيد .

هؤلاء هم انواع الدارسين من اول يوم بدات الانسانية تدرس فيه حقائق الاشياء وتتعرف الى عجائب الوجود واسراره ، وهؤلاء هم الذين درسوا القرآن ويدرسونه قديما وحديثا .

واني اقدم الى المطالعين الكرام مثل كل دارس بالذات ليقفوا على الواقع ولا يهولهم الانحراف والفساد والجهل وجحود الحق والتنكر لواقع العلم في أقلام بعض الكاتبين عن معجزات القرآن وسواها ...

١ ـ اما الدارس الاول :

فمثله كمثل المشلول المعطل عن الحركة الارادية ، فعقله مسجون في عواطفه، وعواطفه مشدودة الى تقاليده ، وتقاليده هي واقع العلم لديه ، وما عداها ظنون واوهام، فهو لا يأخذ او يدع الا بها، فأبحثها قبل ان تبحثه تعرف ما يأخذ وما يعطي، وما يكره وما يحب . ومن كان هذا حاله فهو مطموس المعرفة ، ومن كان مطموس المعرفة فلن يكون من جملة كاشفيها .

والمعرفة لا تبدو الا لمن كان يملكالارادة الحرة، والفكر المنطلق الجريء المغامر.

اذن فلا تنتظر من هذا الدارس اذا كتب عن معجزات القرآن ان يكشفها بل احمد الله الف مرة غير منقوصة اذا هو لم يطمسها .

٢ ـ اما الدارس الثاني :

فمثله كمثل الذي صعد على سطح بيته في شهر آب الملتهب وهو يتوهم انه ارتقى الى قمة «افرست» ، ثم يأخذ توهمه يتفاقم ويتجسم حتى يجعله يرتعد رعدة عنيفة ، ويزود عن وجهه الثلج الوهي المتساقط ، وهو يصرخ مستغيثا « الثلج! الثلج ! البرد ! البرد !.. »

فهل ينتظر المطالعون من مثل هذا الدارس ان يكون كاشفا لمعجزات القرآن العلمية او لسواها وهو عاجز عن كشف اوهامه التي تملأ ما بين جانحيه .

٣ ـ اما الدارس الثالث :

فهو كالحرباء لا يحمل لونا اصيلا يدل عليه ، فمن اجتمع اليه وجده في لون

نفسه ، ولن تستطيع أن تعرف طويته باصغائك الى احاديثه ، لانها لن تكون سوى ما تحسها طويتك وتهواها .

نعم تستطيع ذلك اذا عدت الى كلماته المذاعة في الصحف ومحاضراته التي جاءت بها البواعث المأجورة المتحاجزة والمناسبات المتضاربة الشرور المتصارعة ...

وعلامة هذا الدارس انه لا يعطي الا اذا اخذ اضعاف ما يعطي .

وميزان قيمة الثقافة لديه المادة ، وهو لا يبالي بما يدخل عقله من علم ولكن بما يدخل جيبه من مال ، فهو يرصد المال بقلمه رصد الفلكي الكوكب بمرقبه متجها اليه انى اتجه ..!!

فهل مثل هذا الدارس يخضع لحكومة الضمير ، اذا مجد الجهل باسم العلم ، وافترى على معارف القرآن ومعجزاته العلمية المفتريات ودسها من هنا وهناك ، انك تجيب : لا ! لا ؟ الى ما شاء الله .

والاخلق ان تبتعد عن هذا الدارس خشية ان تعلق في حبائله فيخدعك ويجرك الى الكفر والجهل والباطل والافك باسم واقع العلم .

٤ ـ اما الدارس الرابع :

فما تهمه معجزات القرآن العلمية في قليل او كثير ، وان كانت أسطع من الشمس ، أضوأ من الفجر ، وأقوى من الفكر ، وأثبت من الدهر ، وما دام لا يؤمن بموحيه ذاته جل وعز ، فكيف تنتظر ان يؤمن بها !.. ومثل دراسة هذا الملحد للقرآن المجيد كمثل دراسة السفسطائي لحقائق العوالم التي يعيش فيها ، وينتفع بها ولكنها كلها لديه خيالات واوهام . وفي الوقت نفسه يصرخ : العلم العلم . أنا لا أؤمن الا بالعلم .

فاذا قلت له : « هؤلاء العلماء الراسخون عرفوا مواد العوالم القريبة منهم وعناصرها وذراتها ولكنهم ما عرفوا السر الذي جعل بعضها حيه وبعضها ميته والف بينها هذا التأليف الهائل الذي نجم عنه تكوين هذه العوالم .

الا ترى ان الحياة آية الله الدالة على كمال قدرته :

« وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون (٣٣) وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون (٣٤) ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون (٣٥) سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ٣٦ ـ ٣٦ » ..

يا هذا ان الحياة التي ظهرت في هياكل الاحياء من تراب الارض الميتة قد حيرت العلماء قديما وحديثا ، وما تزال .. وهذا المعري يقول :

والذي حارت البرية فيه ... حيوان مستحدث من جماد

أجل هذا الذي حارت البرية فيه قديما وحديثا صمم علماء الذرة المحدثون أن يكتشفو حقيقته فجاؤوا بعين العناصر عنصرا ، وركبوها عين التركيب حتى اشبه النوى النوى ولكن دون حياة . فأدركوا ان الحياة ليس مصدرها

ما هي ماثلة فيه من عناصر الارض وذراتها ، وانما هي سر من أسرار الخالق العظيم يفيضها على بعض ذرات عالمنا المادي دون البعض فيخرج لنا منها نباتا وحيوانا وانسانا .

ولو كان مصدر الحياة ذات الذرات والعناصر والمواد المكون منها عالمنا الحي لوجدت في النوى الصناعية ما دام التركيب هو التركيب ، وما دامت العناصر هي العناصر وما دامت المواد هي المواد ...

وهكذا ادرك العلماء الراسخون الذين تعمقوا دراسة الحياة ، في ذراتها انها سر علم الله الازلي وتخصيص ارادته ومظهر قدرته فأمنوا واعلنوا عجزهم عن صنعها بيد العلم (١) .

اذا قلت له ذلك اثارته رعونة الجهل وغرور الالحاد والوى برأسه مصرا على الحاده وجهله وازداد .

---

(١) اذكر مرة اني اجتمعت الى شاب في مجلس علم ، قالوا عنه انه دكتور في العلوم الذرية والطبيعيات ، زعم أنه شاهد العلماء قد خلقوا الحياة واستطاعوا أن يوجدوا نباتا من بعض العناصر وحيوانا من بعض التخميرات بل زعم ان عالما ذريا ايطاليا اوجد طفلا صغيرا من آلات صنعها لهذا الغرض وان علماء الذين هناك ضجوا وسخطوا فأوقف اختراعه مجاملة لهم .

وأبصرت عقلية هذا الدكتور أشبه شيء بعقلية امي قال لي يوما : « جاءت من اوروبا آلات جديدة تصنع الدجاج ، وان كنت لا تصدق فهلم معي الى مزرعة فلان » صاحبته وحين شاهدت الالة ضحكت طويلا وقلت له : «كنا ونحن أطفال نصنع من النخالة مثل هذه الآلة نظرا لتوفر الحرارة المطلوبة فيها..

وهكذا جهل هذا الدكتور أن الذرات التي تصنع منها النباتات هي الخلايا النباتية الحية التي نفخ الله فيها روح الحياة في النوى وقل مثل ذلك في الحيوان والانسان ، ثم قلت له يا استاذ لا يقال لمثل هذه الاعمال اوجدوا الحياة !! وانما يقال اهتدوا الى طريقة تنمية الحياة الطبيعية بوسائل صناعية تؤدي أعمالها مثل آلة فقص البيض ومثل هذه الآلات موجود منها حتى في جامعة بيروت الاميركية فاذا طرح طفل قبل اوانه في الشهر السادس مثلا يوضع في الات التنمية الصناعية التي تقوم مقام الرحم في اعمال التغذية والحفظ وسوى ذلك حتى يتم النمو الناتج من صميم النواة الحية فمن الجهل ان يقال لمثل هذا العمل ايجاد للحياة أو كشف لسر الحياة...

اجل لا يجوز ان نقول اهتدوا الى سر الحياة الا اذا استطاعوا ان يوجدوا من الطاقات المحضة ذرات جديدة حية تاتي بأنواع جديدة من الاحياء او بذات الاحياء على اقل تقدير وهم حتى الساعة لم يستطيعوا ان يفلقوا كل أنواع ذرات العناصر ويحولوها الى طاقات محضة كشأنها الاول قبل تكوينها .. حتى تقول انهم صنعوا ذرات حية جديدة جاءت بأحياء جديدة ، هذه دعاية الحادية مفتراه لا اصل لها في المجامع العلمية بتاتا، يقصد منها هدم الايمان العلمي الحق في قلوب المؤمنين ظلما وعدوانا ....

على انه لا يجوز أن تقول أوجدوا الحياة الا اذا أوجدوا الطاقات المحضة التي تتكون منها الذرات ثم أوجدوا منها الذرات الحية التي هي أصل العوالم الحية والذرات الميتة التي هي اصل عوالم الجمادات . فهل فعلوا ذلك يا استاذ ..!! فقال: « هذا مستحيل الف مرة » : « اذن لا تقل امام العامة انهم اوجدوا الحياة . هذا كفر وضلال وجهل بحقيقة العلم ، ورعونة وتسرع ، ودعاية الحادية مقصودة تؤاخذ عليها قضاء في كل أمة ، لانها لا تستند الى العلم .

فهل ترجو ممن يكون هذا كفره بالخالق العظيم جل جلاله ان يؤمن بالعلم الذي يزخر به القرآن المجيد وغيره ، او يقيم له وزنا اذا ظهر له. انه ينقض له الحاده من أساسه ويجعله هباء منثورا ، وهل تريد منه أن يحبس مواهبه لدراسة القرآن المجيد ويجهد ويسهد ولو كانت اسرار اعجاز القرآن في واقع العلم اعظم من اسرار الحياة ، وحقائقه اكبر من حقائقها .

ويكفي القرآن المجيد فخارا انه نور الله الكاشف للحياة طريق السعادة في ظلمات الشقاء المادي الطامس ، وان الانصراف عنه قبل دراسته دراسة علمية أمينة محررة واعية جريمة لا تغتفر .

ولكن هذا الدارس الملحد العاتي اذا الححت عليه بالبراهين العلمية القطعية المتلاحقة اشاح بوجهه عابسا وهو يقول : « أنا لا أريد ان اشغل نفسي بشيء كهذا ... اللذة غايتي من الحياة وليس سوى اللذة .. !!

فان قلت له هذا شقاء وظلام ، وان كل لذة يقابلها الم يوزنها حتما اجاب : « انا لا ابالي بظلام الغد وشقائه ما دام يومي مشرقا سعيدا ..

٥ ـ اما الدارس الخامس :

فمثله كمثل الطفيلي الذي يخترع الف حيلة وحيلة ليصل الى موائد ليس هو من اهلها .

وهذا الدارس ليس له في المعرفة من انتاج حتى يسأل : « اين انتاجه ، وما هو ، وفي اي شيء!!وان كان يحسن احتيال التظاهر بالمعرفة وسرقتها واختلاقها، فشأنه كله تطفل واحتيال وسرقة ، ومن كان هذا شأنه فكيف يكون قادرا ان يفهم معجزة واحدة من معجزات القرآن المجيد ، بله كشفها وعرضها على المجامع العلمية في العالم .

٦ ـ اما الدارس السادس :

فهو كحجر الطاحون يدور حول نفسه ، ولا يعطي سوى ما يعطاه . فان كان لحجر الطاحون ارادة في ايثار البر على الزوان ، فان لهذا الدارس ارادة في ايثار العلم على الجهل والحقيقة على الظن الا اذا كان ذلك داخلا في ما نصب للدعاية له .

فهل تريد من دارس هذا نظام دراسته المرتبط به ان يؤيد معك واقع العلم في معجزات القرآن المجيد ، ولو أعلنها العلم المادي من أعلا منائره . وأوسع جامعاته ومجامعه .

٧ ـ اما الدارس السابع : فمثله كمثل مصفاة النفط تستخرج منه الوقود الصافي الذي يقدم للانسانية الحركة والحرارة والنور والتقدم ويطرح ما خبث زفتا على الارض ليكون مهدا للاقدام . وهذا الدارس على اكتافه تشيد قاعدة التقدم العلمي الصاعد في العالم . وهو ملاك الحضارة ، وقوام الانسانية ، ومثلها الاعلى ، وابن الحياة البكر .

وانتاجه اضواء كشافة للواقع العلمي في كل شيء ، وهو الرادم لمغاور الظنون والاوهام والاباطيل والكذب والدس .

وهو رمز الانسانية السامية وسلامها وتفاهمها وتعارفها .

وهذا الدارس العلمي وحده هو الذي يعتمد عليه في كشف معارف القرآن المجيد ومعجزاته واسراره وغرائبه لان هذا شأنه في كل ما يدرس ويقدم للناس ، وهو الذي يطلق عليه بحق الدارس القرآني .

الا ان هؤلاء الدارسين ما خلا الدارس العلمي الاخير :

ـ : هم دعاة الالحاد والرجعية والوثنية والاشراك .

ـ : هم بواعث الافساد والشقاق والانتهازية والتلون .

ـ : هم شعل الاحقاد والثورات والحروب بين الافراد والجماعات .

ـ : هم التجار المغامرون بأعراض الناس وثرواتهم ومصالحهم واوطانهم ومستقبلهم وعقائدهم .

اذن فأني ينتظر من امثال هؤلاء ان يقبلوا على دراسة القرآن المجيد الذي انزله الله عزوجل لاسعاد الانسانية جمعاء وسلامها وخيرها وهداها ومودتها وسواها دراسة علمية واقعية محرره امينة لانهم لا يستطيعون ان يلاقوا الناس بقلوب صافية صفاء السماء طاهرة من وحول الارض وكبريائها واطماعها وبلاياها .

فاذا كتب هؤلاء وأمثلهم عن معجزات القرآن المجيد فكتاباتهم لا تدل على شيء مما هي عليه من العجائب والمعجزات وانما تدل على ما نشئوا عليه من تقاليد، وما اعدوا لحربه ومناكرته والدس عليه ، وليس جهلهم بما في القرآن المجيد من معجزات العلم بحجة على القرآن ولكن ما في القرآن هو الحجة عليهم وعلى جهلهم بواقع العلم .

ونهاية القول ليس كل كتاب الف حول القرآن يقرأ ، ولا كل مجلة ينظر فيها ، ولا كل محاضر يستمع له ، ولا كل عالم ينصب مدرسا لمعجزاته ، ولكن الذي يجب ان نأخذ عنه ونقبل على علمه ونستمع اليه محاضرا ومحدثا وكاتبا هو الدارس العلمي النزيه الامين الصادق هو الذي بحق يطلق عليه الدارس القرآني . وقد كتب كثير من الكاتبين الغربيين عن القرآن المجيد ولكن ما كل كاتب مثل : اللورد هدلي وغيرينه وبراون وتولستوي ومحمد اسدومحمد نصرالدين وكارليل وبرناندشو وكمال الدين وجيبون وكيناني وهجنز وديفونبرت وسمث وكرهل وجريمنس وامثالهم ..

ولولا ان الله وجه هؤلاء العلماء المستشرقين الى دراسة القرآن المجيد دراسة علمية خالصة لما رأيت هذا التطور الجذري في الغرب من اجل البحث عن واقع العلم بمعجزات القرآن المجيد وأهدافه وغاياته وكل ما يتصل به من تشريع لاسعاد الحياة الانسانية في العالم كله .

اما ما كتبه الشرقيون فمكاتب العالم تطفح بها ، والقسم الذي طبع منه لا يستهان به ، والمستقبل كشاف عن الكثير الكثير مما نجهله اليوم عن القرآن ومعجزاته الكبرى .

من معالم يوم الهجرة

دائما تطلع الشمس ، ودائما يحس الناس انهم في حاجة الى طلوعها : من اجل انهـا قوام للحيـاة كـل الحيـاة .

وهل تكون حياة صالحة في الارض اذا لم تكن شمس طالعة : تمدها بدفـق الحرارة والنـور والنماء ! !..

ودائما يأتي يـوم الهجرة ، ودائمـا يحس الناس انهم في حاجة اليه ، لانهم يظفرون فيـه بالمثل العليـا ، وهم في تضارب نزعاتهم وتبايـن اعمالهم وتجـــدد معارفهـــم ..

الا تجدهم في كل اجيالهم يهاجرون ويضحون ويغامرون كما هاجر رســـول الله وضحـى وغامـر .. يهاجرون :

١ ـ من الضيـق الى السعـه ...

٢ ـ ومن الضعف الى القـوة ..

٣ ـ ومن الجهل الى العلم ..

٤ ـ ومن الفوضى الى النظام ..

٥ ـ ومن الاثرة الى الايثار ..

٦ ـ ومن الاحقاد الى المودات ..

٧ ـ ومن اعوجاج الاجرام الى استقامة الاخلاق ...

٨ ـ ومن ضلال الوثنية والشرك الى هدى عبادة الخالق وحده ، وتنزيهـها عن كل شائبة زيـغ وانحراف ...

لله أنت أيتها الانسانية ، انك في مطلع كل عام تطلين على مثلك العليـا مـن اكبر نوافذ التاريخ وأوسعهـا واكرمهـا « نافذة يوم الهجرة » ..

الا انه يوم عظيم ، وكيف لا يكـون عظيمـا ! وفيه طهرت الارض من عبـادة العوالـم من طاقـة او مـادة .. وفيه تجلى فقه سورة الاخلاص في توحيد اعمـال العبادة ، وفي يقيـن العلم ، وفـي عقائـد الناس ..

اجل آمن الناس أن الخالق غير المخلوق ، وأن الصانع سوى المصنوع ، وأن الخلق والامر لله وحده ، بدءا ونهاية ، وتوجيها وعملا ، وقد وقفوا جميعا فيمحراب الصلاة صفا واحدا لاعوج فيه ولا تنابذ، ولا استطالة ، وتوجهوا اليه جل وعز ،وقد أحسنوا التوجه ، وضرعوا اليه في سرائرهم ، وهم يتلون دعاء التوجه المأثور ..

« وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفـا مسلمـا وما أنـا من المشركين ، ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين : لا شريك له ،وبذلك امرت وأنا من المسلميـن » ..

وانت ـ أيها المصلح ـ الذي تنشد الحياة المثاليـة الصالحة للانسانية كافة ، اعلم ان في يـوم الهجرة معالم الحياة المثاليـة الصالحـة التي تنشد . انه يـوم البطولة يـوم الاصلاح يـوم الاخلاص ، يوم التضحيـة :

« اليوم الذي له مـا بعد ..

اليوم الذي التقى فيه رسول الله بصفوة المؤمنين الاول من المهاجرين والانصار فـي ظلال طيبة المباركـة التي طابت بهجرته اليهـا وحلوله فيها .. وكرمت وعظمت .. وخلدت به صلى الله عليه وسلم ..

« اليوم الذي توطدت فيه كلمة الحق ، وبلـغ فيه الرشد الانساني والوعـي الاخلاقي وايثار الحب في اللـه جل وعز مثله الاعلى ..

اليوم الذي تجلت في بطولات الايمـان في امجادهـا الرائعـة ومعجزاتهـا الفذة القشيبة التي ظهرت اسطع من شمس الظهيرة واشرق من البدر المنير فـي تمامه .. وايـن اولئك الحمقى الذيـن يتساءلون عن معجزات خاتـم رسل اللـه التـي ايـده اللـه بهـا :

يا هؤلاء ان معجزات رسول الله اوسع من ان يحيط بها سفر .. !! انهـا كثيـرة وكثيـرة . ادرسـوا ـ ان كنتم امنـاء على العلم ـ بعض معجزات يـوم الهجرة دراسـة استقصاء وبصيرة . فانكم بلا ريب ستعلمـون علم اليقين انهـا كثيـرة وكثيـرة .. !!

اليس من المعجزات ؟!! أن يتألب شبان المشركين الفتاك راصدين منزلـه المتواضع قصـد القضاء عليه فيمر من بيـن أعينهم دون ان يبصروه او يشعروا بـه .. قلتم : ذلـك من اتفاق اعمال المجتمع الانساني ... : واذا لم يكـن اتفاق اعمال المجتمـع الذي يؤدي نتيجـة معينـة لغاية معينة كريمـة نافعة للناس معجزة..!! فأي شـيء هي المعجـزة ..

وفي يوم الهجرة تكاثفت جماهير قريش حول الغار بفعـل دلائـل الآثار .. وحجب الله رسوله الكريم عنهم بأوهن الحجب الشفافة .. حجبه بنسج العنكبوت وبعض بيض الحمام ، واذا لم يكـن مثل هـذا الحجاب الواهي المكين معجزة ، فأي شيء هـي المعجـزة ؟؟!! حدثوني ياناس .. !!

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت	علىخير البرية لم تنسج ولم تحم
وقايـة الله أغنت عن مضاعفة	من الدروع وعن عال مـن الاطم

وفي شغل هذه الالسنة الصاخبة حول الغار من كفار قريش اضطرب الصديق

وهو الباسل الندب ، وبكى قائلا : « لو نظر احدهم تحت قدميه لابصرنا .. » فيجيبه صاحب الرسالة رابط الجأش كبير الثقة : « لا تحزن ان الله معنا .. » انها كلمة الايمان الوثيق ، كلمة البطولة الفذة ، كلمة الغد المنتصرة ، انها اذا خرجت من قلب المؤمن الصادق وهو على فوهة بركان استحال بردا وسلاما ..

تبا لك يا مؤامرة المتآمرين البغاة والف تب .. : « وهل يخشى من كان الخالق العظيم راعيه وعاصمه مخلوقا ولو ملك الاهوال .. هؤلاء هم أدبروا والخيبة تغشاهم ، ولعنة السماء تواكبهم ، والحقيقة تلذعهم وتصرخ من أعلى قمة في الجبل ...

فأدبروا ووجوه الارض تلعنهم كباطل من جلال الحق منهزم

وذكر الله هذه المعجزة في كتابه المجيد ، وافهمهم انه هو ناصرة عليهم ، وعاصمه على الرغم منهم ، وجاء الفعل بالماضي تأكيدا للانتصار والعصمة مع انه مختبىء في الغار . واي معجزة يريدون ان تكون اكبر من هذه : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » ٩ — ٤٠ .

وفي يوم الهجرة كان ادراك سراقه بن مالك المدلجي الفاتك المغتال في الطريق لرسول الله وصاحبيه : سراقه الذي اغرته جائزة قريش « مائة من النوق الحمر » وزينت له الشر وجعلته يلحقه بكل ما يملك من عرام وجشع ، فتسلل من مكة مستخفيا خشية أن يظفر بها سواه ممن عسى أن تحدثه نفسه بمثل ما حدثته نفسه هو ، والذي جاء مغريا حقا : هو انه عرف مكانهم من معان لقريش عفوا ، وصرف الامر عنهم مواربا . ولحق بهم سرا حتى وافاهم وابصرهم وابصروه وحدثهم وحدثوه . واعتزم ان يقتحمهم ، ولكن حين شاهد قوائم فرسه اخذت تسوخ في الارض أدرك ان الامر غير عادي فأقلع خوفا ، ولكن عاد وعاد الامر اشد من ذي قبل واخيرا اقلع واسلم ...

ولولا ذلك لغاص في اعماق الارض ، وطلب اليه رسول الله ان يكتم الامر عن اعين المشركين وأرصادهم ففعل ..

ومن معجزات يوم الهجرة : نزول رسول الله وصاحبيه على خيمة ام معبد ، وهو في طريقه الى المدينة ، وأدهش أم معبد واحزنها في الوقت نفسه ، حيث لم يبق لديها سوى شاة عجفاء عجزت عن متابعة القطيع مع ابي معبد الرعي ، ورضي رسول الله ان تكون هي حصة ضيافته : وهنا كانت المعجزة فما كاد يمس ضرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فاض الحلاب فيضا جعل ام معبد في حيرة من الامر ..

ولما عاد ابو معبد مساء ووصفت له رسول الله وصفها المشهور وحدثته بما كان من امره ، قال : « هذا صاحب قريش ، هذا محمد » .

وفي يوم الهجرة تعينت عاصمة الاسلام الاولى ، وتعين الابطال الاول الذين أعدهم الله لحمل الامانة العظمى امانة وحية المعجز : « الامانة التي عرضها رسول الله على القبائل في مواسم الحج فأبين ان يحملنها ، ونفرن منها واشفقن

من عواقبها ، فحملوها ، وكانوا في الواح القدر جنودها الهداة الرحماء وكانوا في فم التاريخ اناشيدها الخالدة المقدسة الى يوم الدين .

وفي يوم الهجرة استقبل ابناء طيبة الاكارم خاتم رسل الله بقلوب وامقة ، اضاءها نور الايمان ، وهفت بها لهفة البشر والترحاب ، وهتفت السنتهم الداوية تنشد نشيد الطاعة والانقياد ، وخفق فرحة الايمان والشكر على نعمة اللقاء .

وفي يوم الهجرة : اسس الداعي الاول وصحبه الابرار اول مسجد في الاسلام، اسسه على شرفة السماء ورفرف الخلد ، وعلى هدى وحي الله ومثله الكريمة وصدق الايمان والمرابطة في سبيل الله ..

وفي يوم الهجرة ، نادى الانسانية كافة منادي الاسلام بأول جمعة جامعة ، واعلن انها اليوم طرحت اساطيرها البالية وشخوصها المعبودة من دون الله جل وعز ، واهاب بها واهاب وما زال ...

واذا كان صاحب الهجرة انتقل من بلاد الى بلاد في ظاهر الامر ولكنه في الواقع انتقل بالروح الانسانية من حال الى حال .. انتقل بها من عبادة المخلوقين والضراعة لهم والسؤال منهم الى عبادة الخالق العظيم وحده الضراعة له لا لسواه والسؤال منه لا من سواه .

واذا كنا نزن تداول الزمان ، بموازين يوم الهجرة وتقدر ايامه ولياليه بتاريخه فانما نفعل ذلك لان معنى الهجرة الاساسي لا ينفك عاملا اعماله الخيرة النافعة: في زمان الانسان ومكانه ابدا ...

الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » ..

والانسانية في زماننا هذا مفتقرة الى هجرة النوايا المباركة هذه لنصلح احوالها وتنجو من مهالك العنصرية الصهيونية التي تكاد تزجها في حرب الذرة والهودرجين ...

اذن فالهجرة الى الله ورسوله لم تبطل وانها باقية الى يوم القيامة .. الم يهاجر الناس في كل جيل من طغيان المادة وظلماتها واحقادها وخبائثها واطماعها : الى طمأنينة الايمان واضوائه وموداته وطهره وعفافه .

الم يهاجروا من الضلال الى الهدى ومن الاعوجاج الى الاستقامة ، ومن الشكر الى التآلف ومن سوء النوايا الى حسنها ومن العنصرية الى الانسانية ..

وقد تكون الهجرة بالعكس هجرة انحطاط وفساد وتناكر وتخلف وهذا ما تعمل له العنصرية الصهيونية فيا أيها الانسان ..

هاجر الى الايمـان قبل ان يمحقك الكفر والى الخير قبل ان يبيـدك الشر والى السلم قبـل ان يدمرك الحرب والى الانسانيـة قبل ان تجعلك العنصريــة فــي خبر كــان . .

ومن يعص اطراف الزجاج فانـه يطيع العوالي ركبت كل لهزم

ومهما يكـن فالهجرة تحقيق حرية العقيدة في الارض والضرب على أيـدي الظالمين العنصرييـن الذيـن يمقتون حريـة العقيدة والراي بين الناس . .

وهذا ظلم وهذا مقت ، وهذه عنصرية لان العنصريـة هي التي تمقت واقـع كشف العلم اليقينـي في الاشيـاء والسبب هو الخوف من كشف مـا تضمـره للبشريـة من كيـد واذى وشر . . » .

ومهما يكـن فما دامت آيـة الهجرة باقيـة في الارض فمصير الانسانية الى خير . وما تزول الـى يوم زوالهـا . وهـذا لن يكون أبدا فاللـه بـاق سرمـدي والحـق كذلـك . .

اللغو والحياة

كل كلام او فعل لا وزن له ، ولا فائدة منه ، ولا خير فيه ، يعتبر لغوا ، بل جعلوا من اللغو نفس الكلام النافع والفعل ، اذا كان يشغل عما هو انفع منه ، وفي هذا المعنى ورد الاثر الشريف « اذا قلت لصاحبك ، والامام يخطب ، أنصت فقد لغوت » ، والامم المنحطة يكثر فيها اللغو .. وكلما تحضرت غلب جدها لغوها .

أجل يكثر اللغو في الامم المنحطة ، ويقل في الامم الصاعدة حتى ينعدم . والتاريخ اصدق شاهد ، فهذه امتنا العربية حين كانت ترزح في اغلال الجاهلية قبل الاسلام ، كانت تهدر وقتها في اللغو ففرق وحدتها وقوتها مما جعلها دون سائر الامم . وظاهر أن الوقت ظرف لا بد أن يملأ بشيء ما ، فاذا لم يملأ بالجد في طلب المعالي والكد في بناء الامجاد والنزوع الى سمو الاخلاق ملىء بعبث اللغو ، ومأثم اللهو وشر البطالة ...

وحين رحم الله أمتنا بالاسلام ، ووحد كلمتها ، ولمّ شعثها ، وفرض عليها بناء الامجاد والعزة والقوة في الارض انعدم اللغو . أنى يجد فراغا ينفقه في اللغو من فرض عليه ان يكون متواصل الاعمال غير متخلف عن الصعود في طلب الخلود . واذا كان الله عزوجل يأمر رسوله الكريم محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ان ينصب ويجهد في متابعة الاعمال دون انقطاع بقوله : « فاذا فرغت فانصب » ، وهو المعان المؤيد من الله بالنصرة والتوفيق والعزة ، فما بال سواه ممن ليس له مثل هذا التأييد .

وكم للعاملين بمثل الاسلام العليا من ابرام في هذا الامر وهم اذا لم يحتاطوا فينقذوا الدقيقة والثانية من حياتهم من براثن اللغو اضاعوا انفسهم ومجتمعهم ايما اضاعة ، لان حياة الانسان هي وقته الذي يقضيه في هذا العالم فمن هان عليه ان ينفق وقته في اللغو هانت عليه حياته ، ومن هانت عليه حياته كان من سقط المتاع . والامة التي تعجز عن قطع دابر اللاغين من أوساطها

فلــن تفلح فــي نيــل شرف الحرية ، بله الافــادة منهــا في وحدة مجتمعها وتقدمه وقوتــه لتساهم فــي بنــاء الحضارة والسلام والثقافــة والذود عــن حريــــة الانسانيــة كافــة على مستوى رفيــع .

وهذا حق لان انفاق الوقت في غير النافع من الاعمال والاقوال الذي هو عين اللغو لن يستقيم معه فلاح ابدا ، وأنى يستقيــم معه واللــه عز وجل يعلن فـــي كتابه الكريم : ان الفلاح متوقف على الاعراض عن اللغو ـ « قــد افلــح المؤمنــون الذين هم في صلاتهم خاشعــون والذيــن هم عن اللغو معرضون .. »

والمصلحــون المؤمنون في كل امة يحرمون اللغــو ويوجبون علي اممهم الاعراض عنه كلمــا عرض لهم فــي قول اول عمل ، لانهم يعلمون ان حقيقة الاصلاح الماثلــة في فرض متابعة الاعمــال النافعــة تتنافى بطبيعــة الحال مع وضاعــة اللغو ،ومهما يكــن فالمؤمنون في اي طبقــة كانوا يترفعون عن مشاركــة اللاغين في اعمالهم او الاصغــاء الــى اقوالهم ، فهم كمــا وصفهم الله عزوجل في قوله « واذا سمعوا اللغــو اعرضوا عنــه وقالــوا لنــا اعمالنــا ولكم اعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغــي الجاهلين » ـ « واذا مروا باللغــة مروا كرمــا » .

واللغو اذا تفاقم دواء ، تغلغل في كل اعمال الحياة ، ولا يتأتى لايــة دولة ان تقضي عليه الا اذا قضت على بواعثه الاساسية ، وهــي : ..

اولا ـ الجهل

والجهل من اكبر بوعث اللغو ، لان الجاهل لا يخطــر على باله ان ثروته المادية التــي يملكهــا من دون الناس جميعــا هي وقته ، لذلك لا يحزنه على مذبــح اللغو ، ولو ادى ذلــك علــى نحــر نفسه وامته ...

ثانيا ـ البطالــة

مؤكد ان اللاغين بطالون ، وسبب ذلك : ان الذيــن لهم اعمال مفروضة عليهــم لا يجــدون فراغــا يصرفــونه فــي اللغــو ...

ثالثا ـ الوضاعة

الطامحــون هم الذيــن يتحملون مشاق الاعمال دون انقطاع لبناء مستقبل افضل لانفسهم وامتهم ، لان الطموح عظمــة ، والعظمــة شغل ، والمشغول لا لغــو له . واللاغــون وضعاء ومــا ابعــد الوضعاء عــن تحمل مشاق الاعمــال لان اللغو يستهلــك جــل اوقاتهــم .

رابعا ـ فساد الاخلاق

اللغو وفساد الاخلاق توأمــان ، ولا لغو افحش من فساد الاخلاق ، ولا تعــد

اضراره ، وما اصدق حكمة هذا البيت :

اذا فسد الخلق في أمة فكل شيء لهم قد فسد

من اجل ذلك نجد ان ذوي الاخلاق الكريمة يترفعون عن الالمام برذائل اللغو في أي ثوب بدا .

هذه جملة بواعث اللغو الاساسية ، واذا لم تقض الدولة على جملة بواعث اللغو الاساسية ربما امتد الى كل مرافق الحياة امتدادا تحول مصالحها الى مفاسد . وآية ذلك ان اللغو لما دخل العلم حشر الظنون في مجال واقع اليقين ، وحين شاهد العلماء الفلسفات طافحة باللغو ، ورأوا العقول الناشئة تتيه في مجاهلها ذات اليمين وذات الشمال اشفقوا على العلم فانتزعوه من غمار الفلسفات وافردوه بالمؤلفات ليتمكن الدارسون ان يميزوا بين واقع العلم وبين تخيلات الفلاسفة .

وحين دخل اللغو في الاديان غير نقاءها وارهقها بالوثنيات والاباطيل والنحل، واجرى كثيرا من نصوصها في غير مجراها بعد ان اهمل منها ما اهمل واضاف عليها ما اضاف ..

وكم كان محتملا ان يدخل اللغو في الاسلام لو لم يكن خاتم الاديان السماوية ، ولو لم يكن كتابه هو نفس معجزته الخالدة الدالة على انه خاتم الاديان السماوية ، ولو لم يكن الخالق العظيم هو الذي تعهد بحفظه والضرب على ايدي اللاغين المفسدين ، على الرغم من محاولتهم ذلك من اول يوم « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه لعلكم تغلبون ، فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ، ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون » .

وهذا حق ، فان اللغو آفة الآفات ، ولو خلت الاديان قديما من اللغو لما وجدت الوثنيات والنحل وعبادة المخلوقات ، ولو خلت العلوم من اللغو لما كثرت الفلسفات والترهات ، ولو خلت الاعمال من اللغو لما وجد المجرمون والمخفقون والمفلسون . ولو خلت الاقوال والمناقشات من اللغو لما رأينا خصومة بين الناس ولا سقط طالب في اختبار .

ولو خلت الامم من اللغو لما رأينا امة فوق امة علما وقوة وسلطانا وعَددا وعددا .

وعلى كل حال لا يقتل الفرد أو الجماعة مثل اللغو . ويكفي اللغو اجراما انه يضيع الوقت في غير ما ينفع الفرد والجماعة وعلى كل حال فان اللغو جريمة بل جريمة منكرة . اما لغو اللغو الذي يقضي على صحو الانسان وقدرته على تصريف الامور والانتباه للخائنين المفسدين الذين يزينون الجرائم والموبقات ويعملون ضد مصالح الدولة والجماعة فانه السكر والعربدة . فهل يقضى على الشبيبة مواهب وعلما وتقدما وعظمة وخلودا الا بالسكر ..

حذار حذار من السكر ..

الايمان فطرة والالحاد تقليد

لا وان العوالم جمعاء من اصغرها ــ كعالم الذرة الى اكبرها ــ كعوالم الاجرام السماوية ــ آيات ناطقة وبراهين قاطعة ، تدل على جلال موجدها جل وعز ، وقل ان في الآيات المنطوية في عوالم الانسان الجسدية والنفسية وفي روحه مثل ذلك : وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

والقرآن المجيد يوجه معارفنا الى كشف آيات الله سواء كانت في العوالم الخارجية او كانت في عوالم نفس الانسان . « وفي الارض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون » . والآية هي العلامة الدالة على المراد الماثل في قيام الكائن بوظيفته ، ولا يجحد المراد الماثل بعد كشفه بالدراسة والنظر وينسبه الى الصدف سوى ملحد ظالم يتخذ ذلك ذريعة الى جحود الله خالق الوجود المهيمن المريد مع علمه أنه يستحيل أن يكون مراد ماثل للعيان ، ولا مريد له ، هذا هراء يرفضه الواقع والعلم والمشاهدة والتجربة !!!

وآيات الله الخاصة بالنفس فوق الحصر وأظهرها على الاجمال ــ الفكر والعاطفة والغريزة .

فالفكر وظيفته في البدء أن يتعمق في دراسة عوالم الوجود ، ومتى تعمق الدارس فيدراسة عوالم الوجود انكشفت له مقاصدها، ومتى انكشفت له مقاصدها لمس نور الايمان الصحيح لمس اليد ، لان وجود المقاصد في الكائنات يفرض وجود القاصد قطعا .

وظيفة الفكر بعد انكشاف نور الايمان هو تصفية واقعه مما علق به من اساطير الوثنية ، وجحود الملحدين ، واراجيف المنافقين الواغلين ... !!!. فهذا سقراط الفيلسوف اليوناني ما آمن بالله الخالق العظيم وحده ، وطرح وثنيات الآلهة التي كان يعبدها قومه الا حين اتسعت معارفه ، ذلك الاتساع الكبير .

والعاطفة حفيظة الايمان، ولا لون لها، وانما تلبس لون البيئة والتربية والثقافة

والتقاليد والعادات لذلك لا يعتمد على العاطفة في تحقيق صحة الاشياء او بطلانها انما يعتمد على العقل والعلم اليقيني، فقط الى جانب الوحي اليقيني والغرائز، وهي الوقود الذي يلهب الحماسة والتضحية في سبيل ما تدين النفس من ايمان ، وما تشتمل عليه العاطفة من وظيفة هي مراد الله ، وآيته الدالة عليه ، فان اشتملت على التوجيه الخير فهي عاطفة خير والا الامر بالعكس ..

وهذا شأن أعمال الغرائز ، كلها مرادة ، وكلها آيات دالات على جدل المريد . فكل غريزة عملها فطري وأحاسيسه مركزة في خلايا الكائن الحي من بدء خلقها ـ كغريزة الميل الجنسي او غريزة حب التملك، او غريزة الدفاع عن النفس التي سماها قدماء العرب « حفيظة » ...

وقد أطلق علماء النفس لفظة غريزة على الفطرة ، لانهم وجدوا الهاماتها مغروزة في أعماق خلايا الكائن الحي . واني في هذه المقالة اريد عرض « فطرة » الايمان التي جحدها الملحدون ونسبوها الى التقاليد والعادات، متخليلين أن جحودهم يحط من اعجاز الاية الكريمة .. « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون » . ٣٠ ـ ٣٠ ، والآية الكريمة تشمل على اعجاز كبير ، لانها وضعت قاعدة الفطرة ، ومن هذه القاعدة انطلق الفكر يتعرف الى فطر الكائنات الحية كافة ، ويعلم ان الفطر اي الغرائز لا تغير ولا تبدل وانما تهذب بالتوجيه والتشريع والتربية والتعليم والتقاليد او تكبت ...

والقاعدة هي : أن الفطرة مراد تكويني ، احاسيسه مغروزة بصورة منظمة عامة في أعماق خلايا الكائن الحي منذ البداية ، ولا حيلة ليد التقاليد والعادات فيها . اي لا تقتلع احاسيسها من اعماق الخلايا ، وان جهد المقتلعون ما جهدوا لانها من سنن الله الاصاية في الاحياء ، ولن يدخل في جملة ما يملك الانسان تغيير سنن الله الاصيلة في الاحياء !! ولن يجد دارس الفطر ، فطرة اقوى ولا اظهر من فطرة الايمان التي شرحتها الآية المعجزة . ولا يعدلها في القوة والظهور لدى البواعث الا فطرة الميل الجنسي . وهي ـ كفطرة حب التملك ـ خاصة بالانسان . والانسان سواء كان فيلسوفا عبقريا او بدائيا همجيا ، يحمل دوافع فطرة الايمان ، بصورة تلقائية عاصفة في أعماق النفس ، لدى نزول المخاوف والاهوال .

والمقصود ان العادات والتقاليد وعواطفها ، تتغير وتزول بتغير الحضارات وزوالها ، وان الفطر لا تتغير ولا تزول أبدا الهاماتها واستجابتها للبواعث تظل حية في اعماق الخلايا ! وان اهاضها الكبت ، وقص جناحيها . بل الذي قرره الدارسون لاصول علم النفس ، ان الغريزة المكبوبة في الآباء والاجداد ، يكون انفجارها عنيفا جدا ، في الابناء والاحفاد وفي الاجيال . من بعد . ولولا الهامات الغرائز الاولية واستجابتها للبواعث دائما ، لما استطاع الاحياء ان يقوموا بوظائفهم وفق النواميس المفروضة لبقاء أنواعهم ومعاشهم ، وتجمعهم وتفرقهم ..

ومجمل ما يقال في هؤلاء الملحدين ، أن الحادهم تقليد أعمى ـ باعثة افتتانهم بمغريات الشهرة، وولعهم بزخرف القاب الملاحدة الجوفاء، لاظهار أقوالهم، والتبجح

بها في كل مكان للاعلان ، ناهيك باستجابتهم لنزوات أنفسهم الامارة بالسوء ....

ولولا أن الحادهم تقليد أعمى لما نسبوا « فطرة الايمان » – قبل درسها والتعرف اليها من الوجهة العلمية الى وراثات البيئة ، وتخيلات الاجيال . اي الى العادات والتقاليد . ومن هذا البيان ندرك أن العادات والتقاليد يمكن القضاء عليها بالمجاهدة وتغيير البواعث ، والبعد عن المغريات بخلاف الفطر فانه لا يقضى عليها ابدا .

هب أن نفرا من الزاهدين تبتلوا في كهوف منعزلة عن كل بواعث غريزة الميل الجنسي ، وقد غمرت أنفسهم نشوة السكينة ، وأضاءاتها واشراقاتها ، وهزتها هتافاتها حتى نسوا أنفسهم والدنيا ومن عليها . ومع كل ذلك اذا عرضت لهم بوارق الفتنة وثائرات الغريزة فانها تهتاج على الرغم من سلطان العفة المستحكم في انفسهم. وهذا شأن فطرة الايمان الخامدة في انفس الملاحدة فانها تشتعل اشتعالا أذا صادفت أسباب الاشتعال . لان احاسيسها الملهمة مغروزة في صميم خلاياها . ولن يقضي عليها طغيان الالحاد، وقد يكبتها اذا لم تكن للايمان حصانة من التربية العالية والدراسة الدينية العلمية الواعية . ومهما يكن الامر فان الخالق العظيم اقام الاحياء كافة ، على سنن ثابتة ، لها وظائفها الاساسية التي لا تتغير . وما فطرة الايمان به عز وجل . الا احدى هاتيك السنن . ولو كانت فطرة الايمان تقليدا جاءت به الصدف ، كما يزعم الملحدون ، لكان هذا مأتى الفطر كافة . وحينئذ نضطر ان نجحد المقاصد الاساسية المركزة في صميم سنن الكائنات اعتباطا . وهذا باطل من كل وجه . خذ مثلا العينين اما تؤديان قصدا اساسيا في استمرار الحياة ، وكذا الاذنان .... وقل مثل ذلك في وجود الاوكسجين في الهواء وتأثيره في حياة الانسان والنبات واشعال الوقود .

وهذا وضع كل سنن العوالم ، ولن تجد عالما متعمقا يعزو مقاصد سننها الاساسية ، وآثارها الدائبة في محيط الوجود الى ابداع الصدف والواقع ان ابداع الصدف – مهما بالغ فيه السطحيون – فلن تكون من نتائجه كل هذه العوالم واغراضها ذات الاتساق الغريب الذي أذهل عقول عباقرة العلماء على مدى الاجيال ، وتطور الحضارات وهم يعلمون في الدرجة الاولى من معراج المعرفة الذي لا نهاية له . ومن أفحش الظلم ما يتنطع به زيديق مجرم : «ليس في الوجود ما هو مقصود بالذات لغرض ما ؟!! انما هي صدف استمرت ونسبت اليها الاغراض والمرادات » ما اجهله!! ان الصدف لا تتكرر وان تكررت لا تستمر !! قد يدخل في الامكان ان يغمى على انسان وفي الوقت نفسه يتفق ان يمر به طبيب على غير قصد ويداويه . ولكن هذه الصدفة لا تتأتى في كل مرة يغمى عليه فيها . ولو تأتت لاصبحت سنة من سنن الوجود المقصودة ، ولما اختص بها انسان دون انسان ...

والآن تدرك ان الاستمرار المتكرر لغاية يعنيها ، لن يكون الا وليد سنة الهية. وتدرك ان الصدف تخلو من الغاية وان تكرارها لن يستمر ابدا .. ولعل خفايا السنن الالهية في صميم العوالم ، اذا بدت للعلماء لاول مرة ظنوها صدفا ، ولكنهم اذا تابعوا درسها ، وانعموا انظارهم في اغراضها المقصودة واستمرارها الدائم ، عدلوا عن ظنهم وتنطعهم الارغن الواهن .

ولو أن السطحيين تعمقوا في دراسة هذه الظاهرات التي اسموها صدفا لانكشف

لهم عن حقائق اسرارها اغراض اساسية مقصودة في محيط الوجود . ونهاية مـــا يقال : ان الصدفة لا تكون عامة ولا يصحبها القصد في صميم تكوينها ، ولا تتكـرر باستمرار ، كلما وجدت اسبابها ، بخلاف السنة الالهية الثابتة في كل ذلك ...

واحسبك تقابلني بالصمت اذا قلت لك اني ظمئت مرة في صحراء وقد سرت على غير هدى طالبا للماء ، فالفيت صدفة بئرا ، ولكنك لا تقابلني بالصمت اذا بالغت فزعمت لك : «ان الصدفة كانت عجيبة حفرت البئر بدون حافر» صدفة اي انحفرت من نفسها .

.. اذا وعيت ذلك ، قلت مطمئنا واثقا : « ان الايمان المتغلغل في اعماق انفسنا ، هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تقتلعها الحضارات ولا تطيح بهـــا التغيرات ، وان تطاول بها الزمان وتطاول ...

حرية الانسان الاختيارية

لا ريب ان كل صانع يعلم مجموع صنعته كما يعلم اجزاءها ، ويعلم ايضا الغاية من صنعها وما يصدر عنها ، ولو لم يكن عالما بكل ذلك لما كان صانعا لها ، اذ محال ان يصنع الصانع شيئا يجهله ، (فمركوني) مثلا حين صنع الراديو كان يعلمه تماما من كل وجه مجموعا اجزاء وما يكون من كل جزء وما الغاية منه وما هو المقصود منه في مجموعه وسوى ذلك مما يتصل بالراديو ، هذا امر طبيعي ومشاهد في كل صانع وصنعته .

وبما ان الصنعة تدل قطعية مشاهدة على وجود صانعها لاشتمالها على القصد ، اذ يستحيل ان يكون قصد بدون قاصد ، فهي تدل أيضا على مكانة ومدى قدرته ، فمثلا الابريق من الفخار صنعة ، هو يدل على وجود صانعه كما يدل على قيمة صانعه ومدى قدرته ، ومن نظر الى الابريق من الفخار والى الراديو وعرف ما تشتملان عليه من دقائق الصنع فرق بين الصنعتين وادرك ان ماركوني فوق صانع الابريق من الفخار في علومه ومعارفه ودقائق صنعه وغرائبها ، وهذا شأن الكائنات فهي تدل على وجود الصانع بما تشتمل عليه من المقاصد اذ يستحيل ان تكون مقاصد بدون قاصد ، كما ان عظمة الوجود التي لا تتناهى وسننه ومواطن الكائنات في هذا الفضاء وما تشتمل عليه من دقائق الصنع من الذرة التي انفلقت اليوم وعرف جانب مما تشتمل عليه من العلوم والمعارف الى اكبر اجرام الفضاء المترامية في الابعاد السحيقة سواء ما علم منها او لم يعلم محال ان تكون بدون صانع ، أو ان تكون مقاصدها بدون قاصد ، وكلما اتسع الانسان في علومه ومعارفه ادرك أن مقاصد العوالم خاضعة لسنن آلهية مفروضة عليه ، لا يعتريها تغيير او تبديل . وهذا شأن عالم الانسان فانه خاضع للسنن التي فرضها الخالق العظيم عليه . ولا ريب ان العوالم كلها مجبرة على الخضوع للسنن المفروضة عليه من قبل خالقه عز وجل وهذا شأن الانسان ايضا .

وتمتاز السنن التي يخضع لها الانسان بأن لها ناحيتين : ناحية اجبار محض

لا دخل اختياره فيها ، كأن يكون طويلا واسع العينين مفتقرا الى الطعام والشراب والنوم وسوى ذلك مما يتصل بالاعمال الالزامية التي لا يملك ابطالها . وناحية اختيارية هو حر اناراد فعلها او تركها وذلك كالايمان والكفر والطاعة والعصيان والجد والكسل والصدق والكذب وانقياده للانفعال غرائزه وعواطفه وفكره او مقاومته لها.

والانسان في أصل خلقه يعرف ما هو مختار فيه وما هو مجبر عليه ، لذلك لا ترى انسانا واحدا يحاول ان يبطل اضطراره الى حيز من الفراغ او اضطراره الى الطعام والشراب لانه يعلم أن ذلك فوق القدرة ، بيد أنك ترى في كل جيل آلاف الناس الذين يقاومون استجابة الغرائز والعواطف والفكر بالانصراف والكبت .

وهكذا نتبين : أن الانسان خاضع لسنة الحرية الاختيارية خضوعا اجباريا، وليس في استطاعته ابطال هذا الاختيار الذي هو محل الثواب والعقاب ، الا ترى ان السلطة تلاحق اللصوص وتنفذ فيهم العقوبة لانها تعلم انهم في استطاعتهم ان يكونوا امناء . ولكن لا تلاحق الاقزام لانها تعلم انهم ليس باستطاعتهم ان يجعلوا انفسهم عمالقة . واذا علمنا بأن خالق الوجود امر بكل ما فيه سعادتنا في العالمين، ونهانا عن كلما فيه شقاؤنا في العالمين ، ادركنا بداهة ان طاعته تنيل المثوبة،وعصيانه يفضي بنا الى العقوبة . وهنا يغم الوجه الصحيح لهذه المسألة بالذات لدى بعض الكاتبين فيقولون ـ (ان الله يعلم بكل تأكيد ما سيصدر عن العصاة المجرمين من قتل وسرقة وفحش وتهتك واذى وكيد ، وان الله يقدر بكل تأكيد ان يمنعهم عن كل ذلك، لانه لو لم يكن عالما وقادرا لا تصف بالجهل والعجز وهما من صفات النقص المستحيلة على الخالق العظيم جل وعز . وقصدهم من وراء ذلك ان يقولوا : « ما دام الله عالما باجرامهم ، وقادرا على منعهم ، ولم يفعل فلا ينبغي ان يعذبهم » . هذه هي المسألة المقصودة شرحها ، والجواب على هذه المسألة بالذات تجده مفصلا بالشعب الآتية:

الشعبة الاولى : لا ريب ان العالم بمصدر المصنوع في كل اوجهه وبالمقصود منه مجموعا وافرادا ، وبجميع ما يتصل به ، وما يكون منه على مدى الازمان هو الذي يعتبر تساؤله علميا وان لم يكن كذلك فان تساؤله يكون وهميا .

فمن كان مثل « ماركوني » في علمه بمصدر الراديو وبالمقصود منه في جماته واجزائه المؤلف منها وفي كل جزء بالذات ، فان نقده عليه حينئذ يكون علميا مقبولا بقطع النظر عن صوابه او خطئه اما من نقد الراديو او جزءا منه وهو لا يعلم شيئا عنه سوى ما ظهر له منه فان نقده يكون وهميا ومردودا من الناحية العلمية ، وهذا عين ما يقال عن الوجود ، وعوالمه وأجزائه وعمن ينقده من الجهلة الحمقى ..!؟

اذن فلو ان علماء الانسانية وفلاسفتها منذ أقدم الازمان الى اليوم ، اجمعوا على نقد جزء من اجزاء الوجود ، فان نقدهم لا يزيد عن كونه وهما ، لانهم جميعا بكل تأكيد يجهلون المقصود من خلق الوجود كافة ، كما يجهلون المقصود من خلق كل جزء من أجزائه بالذات . وهم وان عرفوا جانبا من مظاهر اجزائه ، فانهم يجهلون الجانب الآخر ، جهلا محققا . ومن كان هذا جهله بالصنعة جملة واجزاء ، فان نقده لن يكون علميا . وقل مثل ذلك فيما لو بعث جماعة من العلماء الذين لم يكتب لهم ان يشاهدوا

صنع الطائرة ، ولم يعلموا عنها شيئا ودخلوا في معمل من معاملها المختلفة لآلاتها المختلفة لعمل صنع الاجنحة مثلا ، فانهم بلا ريب يرون صنع هذه الاجنحة المتراكمة بصورة متتابعة ضربا من العبث ، ما داموا يجهلون انها مقصودة لتكون جزءا من الطائرة وبالتالي ما داموا يجهلون الغاية من الطائرة نفسها وهي مجتمعة الاجزاء . ولكن هل نعتبر من الوجهة العلمية نظرهم القاصر الذي جعلهم يحكمون على الاجنحة انها عبث سوى كونه وهما من الاوهام .

مما تقدم يفهم المطالع ان هذا التساؤل منشؤه الوهم ، ولا قيمة له من الوجهة العلمية .

الشعبة الثانية : يشاهد العلماء لدى بحوثهم في عوالم الوجود انها في منتهى النظام والدقة وفي غاية الانسجام والكمال وهذا حق ، فلو فرضنا ــ ما هو مستحيل ــ ان الله وهب مخلوقا كل علمه بالوجود ، واطلعه على حكمة خلقه في مجموعه وشتى كائناته وعلى القصد من خلق كل كائن بالنسبة اليه بالذات وبالنسبة الى وضعه بين سائر الكائنات الاخرى ، واطلعه بالتالي على النظام والدقة والانسجام والكمال الذي عليه كل جزء بالذات وكل الاجزاء في سننها واطوارها في مواطنها في الفضاء وازمنة ايجادها ومراحلها في الوجود وهداه الى غير ذلك مما يتصل بها ، ثم استطاع ذلك الموهوب ان يتبين في جزء ما من أجزاء الوجود نقصا مفتقرا الى الاصلاح، لأدى ذلك الى النقص في علم الله . ولو وجد النقص في علم الله ــ وهذا بعيد جدا ــ لانتقضت الالوهية من اساسها لان من اخص صفات الالوهية هي الاتصاف بكل كمال والتنزه عن كل نقص ، ولا نقص افحش من الجهل .

اذن فوجود النقص في اجزاء الوجود او في جملة الوجود مستحيل لان النقص فساد ، والوجود كله كامل في خلقه لا فساد فيه . وما يراه بعض الكاتبين من نقص في بعض أجزاء الوجود فما هو الا من النقص في علمه به ، ونقص العلم بالشيء يجعل الباطل حقا والخير شرا والنقص كمالا ، كما يجعل النقد لدى العلماء باطلا من الوجهة العلمية .

الشعبة الثالثة : لقد غر المعترض قوله ــ « ما دام الله يعلم باجرام المجرم ازلا ، وما دام يقدر على منعه وقت الاجرام ، فلماذا يدعه يجرم ؟ ولأي شيء يؤاخذه بعد الاجرام » ؟ وغرور هذا القول انساه ان الله محال ان يبطل سنة الحرية الاختيارية التي فطر عليها الانسان من اجل ايثاره الاجرام ، ولو انحط الى أسفل دركاته كما انه لا يبطل ايثاره الطاعة ولو ارتفع الى أسمى درجاتها .

ولا ريب أن من يقول هذا يجهل سنة الحرية الاختيارية التي منحها الله للانسان كما يجهل ان صفة العلم هي كاشفة فقط .

هب أنه علم علما يقينيا بمقتضى خبرته الطويلة أن احد ولديه يستطيع أن يستظهر القرآن المجيد في غضون عام واحد ، وان الآخر لا يستطيع،وسجل علمه، وكان الامر كذلك ، فهل يقال أن علمه السابق المكتوب هو الذي جعل ولديه كذلك طبعا

لا . وهذا عين ما يقال في علم الله المكتوب أزلا فيما يصدر عن العباد من اعمال خيرة، او شريرة . نعم علم الله مستحيل ان يتخلف اذ لو تخلف لانقلب علم الله جهلا وهذا مستحيل على الله عز وجل عقلا .

اجل لا يقال : ما دام الخالق العظيم يكشف بعلمه الازلي الشامل ما سوف يختاره الانسان من شروط فلا ينبغي ان يعذبه عليها ، لان اختياره كان بمحض ارادته وحسب تفكيره . والشرير يكذب حين يزعم : انه مجبر على الشر ، فليحاول العدول لدى تصميمه عليه ، فان وجد مخلوقات تشده رغم انفه وتسوقه الى الشر حينئذ يصح قوله : انه مجبر عليه ، الا يفرق هذا الشرير بين حركة يده الاختيارية المكررة الرياضة وبين حركتها المتكررة الاجبارية من جراء داء العصبي مثلا .

وقد ذكر لي صديق أنه اعطى لورثته حقوقهم التي فرضها الله لهم في ميراثه وهو يعلم يقينا ان بينهم من سوف يتصرف في ما اعطاه تصرفا سيئا ، وقال ان الامر كان كذلك ، قلت مادمت تعلم منه هذه النتيجة السيئة فلماذا اعطيته . فاجاب لو لم اعطه كأخوته لاحتج واساء في احتجاجه . قلت عظه ،ضحك وقال : ان الله اعطانا الحرية الاختبارية التي نستطيع بها ان نسيء او نحسن ، ووعظنا بكتبه ورسله ، كما وعظنا بدلائل قدرته في ملكوت السماوات والارض وبما يصيب المسرفين الآثمين من عواقب مخيفة موجعة في العالمين ، وبما منحنا من عقول نميز بها بين الخير والشر وعيون تبصر نتائجهما وآذان تسمع بكل ذلك، فهل اجدى كل ذلك وحال بين الفاجرين الآثمين وفجورهم واثمهم .

على أن الله لو أراد أن يرغم الاشرار على الطاعة لاعترضوا متسائلين : « اين الحرية الاختيارية التي نملكها ونحن نجبر على غير ما نريد »، اذن فالحرية الاختيارية سنة آلهية لا يبطلها مبطل والانسان مختار سواء احسن او اساء هذا هو الواقع ولا تبديل الواقع .

وهناك (مسألة خلق أفعال العباد) هي لله فقط ، والحق أنها لله فقط ، وهي لا تمنع الحرية الاختيارية بتاتا ما دمنا متأكدين ان الله لا يخلق من أفعال العباد الا بمقتضى حريتهم الاختيارية الذي فرضها لهم وجعلها سنة فطرية في انفسهم . وهكذا لا يقال ان الانسان يخلق أفعال نفسه كما قال المعتزلة قديما بانه لو استطاع أن يخلق افعال نفسه لصح نسبة الالوهية اليه. كما يقول الوجوديون والوهية الانسان واضحة البطلان كألوهية كل المخلوقات .

التعليل المادي والتعليل الروحي لاحداث الكائنات

اذا كان انبثاق الكائنات نفسها ، لا يمكن ان يعلل تعليلا ماديا ، فان كثيرا من أحداث الكائنات ستظل بعيدة عن العلل المادية . والعناصر ــ مهما كانت بسيطة ــ فلن تخلو من القوى ، هي التي تشكل بأشكالها المختلفة وتعين اعمالها وتطوراتها وامكانتها في الفضاء ، وفق سنن الله عز وجل . اما القوى فقد تكون مجردة عن العناصر . وكل أعمال القوى المنظمة بمنتهى الدقة هي لاستمرار الوجود العام ، وهي ما يسميها العلماء : سنة كونية وهنا نقطة الخلاف الدقيقة بين الالهيين والماديين . فالالهيون يقولون : ان أعمال السنن الكونية مقصودة ، والقصد لا يكون الا عن ادراك، والسنن ليست مدركة . اذن فلا بد من وجود قوة مدركة مهيمنة على كل السنن هي القاصدة وهو الله عز وجل . الماديون يقولون : أن أعمال السنن غير مقصودة لشيء ما ، بل ليس في الوجود شيء مقصود لشيء ، وما يخاله الناس مقصودا هو اتفاقات ويأبون أن يسألوا عن الوجود من أوجده لانهم يعتقدون أنه اله نفسه ، ولكن فاتهم، انه اله أصم لا يعقل أفعاله ولا يعلم بها وان كانت تدهش الفطن وتحير العقول. وكون القوى مختلفة، ولكل قوة سنتها الخاصة أمر لا يحتاج الي كبير برهان. خذ أي عالم من العوالم المادية ، التي تعرفنا اليها في ارضنا ، خذ مثلا عالم النبا ت، واختر بيئته يكون ماؤها وسمادها وشمسها وجوها واحد ، اي جميع العناصر التغذية والق فيها بذورا مختلفة فانها تخرج بعددها نباتات مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والروائح. وهنا نقول لو كانت قوى النبات متماثلة اي سننها واحدة ، لأدت تلكم البذور وظيفة واحدة . قال الله تعالى ــ « وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان . يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل. ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

ونهاية القول ، ليس في الامكان ابدا ان نعلل وجود القوى المختلفة ، وسننها المختلفة ، بغير وجود الله . وغريب جدا ان يعلن بعض الماديين الباحثين ، عدم وجود

الله في كتاب ضخم ، ويعتبر النظر خارج الكرة الارضية ضربا من الشعر كأن الارض عنده هي الحقيقة، كل ما عداها خيالات وأوهام ، ويتخذ من نفس قوى الكائنات التي تؤدي أعمالها لبقاء الوجود العام بكل تنسيق ودقة دليلا على دعواه كأن قوى الكائنات هي التي وضعت لنفسها تلك السنن المرادة لبقاء الوجود العام. وليس لها صانع مريد هو الذي وضعها لذلك .

وهذه رجعية منكرة الى العقيدة اليونانية القديمة القائلة بالعقول الكامنة في قوى الطبيعة ، فقط جعلها اليونان عشرة وهذا جعلها بعدد السنن . واقرب مثل لهذا المادي الباحث ، ما حكي أن عالما من عوالم الحشرات ، كان يقطن ثقبة صغيرة في جذع شجرة وكانت الحشرات تتحدث عن روادها القدامى ، بأن هذه الثقبة حقيرة بالنسبة للشقوق الكبرى الموجودة في الارض. بل يوجد من الشقوق ما هو أكبر منها بالملايين وفيها من الحشرات ما لو تناولت الواحدة منها جميع ما في الثقبة لما سد فجوة صغيرة من بطنها . وكان بينهن حشرة متمردة تجحد ذلك وتعلن جحودها قائلة نحن كل شيء في العالم . وثقبتنا هي الحقيقة وحدها والحديث عن غيرها هو من خيال شعرائنا . قالوا ومرت حشرة كبيرة بالثقة ، فسمعت ضجة الحشرات فوقفت ومدت اليهن لسانها . اما الحشرات فهربن الى اعماق الثقبة ، وامامهن الحشرة الباحثة وهي تقول ــ صدقتن صدقتن .

واذا كنا نشاهد احيانا بعض الاحداث الخارقة للسنن المعروفة لنا فهي تدل انها خاضعة لسنن اخرى نحن نجهلها الى اليوم ، والحكم عليها بغير سننها هو اغراق في التحكم . ولا غرابة اذا عجز العلم المادي عن معرفة القوى المجردة ومعرفة سننها بل الغرابة أن لا يعجز لانه اعتاد أن يلمس الحقيقة بآلات، والحقيقة هنا محال أن تلمس بالآلات. والامل . كبير أن يكشف تقدم العلوم النفسية سنن القوى المجردة وقد توفر على دراستها علماء اخصائيون عباقرة .

وافتراء فاحش على العلم ان يحمله بعض صغار المنتسبين اليه نكران وجود القوى المجردة العاقلة وغيرها ، ودعواه : ان العلم ما وجد آثار هذه القوى ، والحال ان العلم ما يزال مسجونا بين جدران المادة ، وقليل جدا ما اكتشفه من سننها بالنسبة لما يجهله منها . مهما علمت عنه فالذي جهلت اكثر، ومن السهل ان نعلل الاحداث البعيدة عن سنن المادة تعليلا ماديا صرفا، ولكن يكون تعليلنا هو عين الحقيقة. هذه هي المسألة كما يقولون ، ولعل الذين يجحدون ان تكون لعوالم القوى العاقلة وغير العاقلة سننا ايضا ينسبون الخوارق التي تصدر عن عوالم القوى الروحية بواسطة رسل الله او اتباعهم الى الخرفات و مبالغات الاجيال أو الى السحر والشعوذة ، اي يعللونها بعلل مادية صرفة . واذا أرادوا أن يحسنوا الظن بمصدر الخوارق نسبوها الى قوة الارادة أو الى شذوذ قوى لجسم التي صدرت عنه .

ومن رفضهم للسنن الروحية تراهم يعمدون لجميع المعجزات المروية عن رسل الله فيعطونها عللا مادية . فاجتياز سيدنا موسى وقومه البحر في رغمهم صادف آخر جزر البحرين وغرق فرعون وجنوده وافق اول مدهما ، وقديما كان البحران البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر يلتقيان في المد ويفترقان في الجزر قريبا من موطن

القناة الآن .

ويجهلون نهوض المرضى بين يدي سيدنا المسيح وقيام الموتى احيانا من اثــر اشعاع قوى الجسم اشعاعا غامرا يوقظ قوى الاجسام الخامدة في المرضى ويعطي للموتى الذين لا تزال أجسامهم مستعدة لقبولها اذا اتجه اليها بعناية خاصة الحياة مرة ثانية ، هذا اذا لم يعللوا الموت نفسه بالاغماء الشديد . كما جعلوا اشباع الطعام القليل لاصحاب سيدنا محمد الكثرين من تأثير شخصيته العظيمة فيهم . وعزوا الى تخدير الحواس بالايمان الغامر رؤية المسلمين رجال قريش قليلين وهم اضعافهم في غزوة بدر . وهكذا يعللون الوحي والملائكةوالجن والارواح وجميع الاشياء التي نسميها قوة مجردة وخوارق ببعض السنن المادية المعروفة ولكن يجب ان لا ننسى أن احــدا يسمع هذه العلل وهو مرتاب في صحتها لانها تزيل دهشة الجهل بالاسباب الصحيحة في نفسه ولا تكشف الحقيقة ابدا . وانما تزيدنا جهلا على جهلنا وتدل على غرورنــا الفاضح بمعارفنا المحدودة ، وهذه غير العلل العلمية الصحيحة التيتلمسك الحقيقة.

ولا يختلف اثنان على ان تكذيب تلكم الخوارق جملة واحدة فيه استهانة بالعلم واعراض الحقيقة واغفال لاكبر مشاغل الانسانية قديما وحديثا . ومن المحال ان يلتف الناس حولانسان ويطيعونه الطاعةالصادقة سرا وعلانية ويسخرونلمرضاته المجموعة النفسية التي لا تسخر بالهين . ويعتنقون تعاليمه ولا ينحرفون عنها قيــد شعره . ويستهينون بالحياة في سبيلها. كل ذلكلانه انسان تحكمه كل السنن التي تحكمهم وليس له تأييد من وراء المادة . هذا كثير . نعم هذا كثير . وماذا يقولون اليوم وقد اشرف العلماء على العتبة الاولى من عالم القوى المجردة بعد ان حطموا الذرة والغوهــا تتحول الى قوة محضة . وماذا وقد اخذ العلم يستفيد من القوى المحضة . ولا ريب ان خجلهم سوف يرد ذوي الضمائر الحية فيهم الى الايمان الصحيح .

آيات الله البينات في أنواع مخلوقاته جمعا وطرحا

توطئـة :

أرجو المفكرين المثقفين أن ينعموا انظارهم في دلائل آيات الله البينات ، التـي كشفت لي سنة معجزات الجمع والطرح التكوينيين ، في كلمتي هذه .. بسر قـدرة اللـه عز وجـل .

« والارض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء مـوزون » الحجر ١٥ ـ ١٩ .

« هو الذي جعل الشمس ضياء، والقمر نورا، وقدره منازل » يونس ١٠ ـ ٥

« ولم يكن له شريك في الملك ، وكل شيء قدره تقديرا » الفرقان ٢٥ ـ ٢

« الله يعلم مـا تحمل كـل انـثى »

« وما تفيض الارحام ، وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار » الرعد ١٣ ـ ٨

« الم يروا انا نأتي الارض ننقصهـا من أطرافهـا ، والله يحكم لا معقب لحكمـه وهو سريع الحساب » الرعد ١٣ ـ ٤١ .

« يزيد في الخلق ما يشاء ، ان الله على كل شيء قدير » فاطر ٣٥ ـ ١

« قد علمنا ما تنقص الارض منهم ، وعندنا كتا بحفيظ » ق ٥٠ ـ ٤

« الشمس والقمر بحسبان » الرحمـن ٥٥ ـ ٥

« انّا كل شيء خلقناه بقدر » القمر ٥٤ ـ ٤٩

« وكل صغير وكبير مستطر » القمر ٥٤ ـ ٥٣

« وكل شيء أحصيناه في امام مبين » يس ٣٦ ـ ١٤ .

الكلمـة :

ان ذرات الوجود محدودة الاعداد في حد ذاتها ، وان لم يحط بهـا علـم الانسـان ..

وهي مختلفة في طبائعها بحكم اختلاف عناصرها المكتشفة وغير المكتشفة لاختفاء اكبر كائناتها الهائلة في اسداف ابعاد الفضاء ...

والكائنات المكونة من ذرات عناصر الوجود مختلفة بحكم اختلاف اعمال طاقاتها المكونة لها ...

وكل كائن منها معينة عناصره المكون منها ، ومحدودة ذراته ، وذرات كل عضو من اعضائه بحكم عمليات الجمع والطرح التكوينيين اللذين تجريهما طاقته الخاصة حسب المخطط التكويني الآلهي الازلي المفروض عليها تطبيق كيفياته .. من البداية الى النهاية .

ومن اجل ذلك نجد ما يجمع ويطرح من ذرات العناصر المخصصة لاجل تكوين هيكل الفيل واعضائه دون ما يجمع ويطرح من ذرات العناصر المخصصة لتكوين هيكل النملة واعضائها مع الفارق التكويني الكيفي بينهما ...

وهذا الذي يحصل بالذات في كل عمليات الجمع والطرح التكوينيين اللذين يجريهما الله الخالق العظيم في تكوين اجسام الكائنات الحية وغير الحية ..

الا ترى العلماء المحدثين كيف يشاهدون بمجاهرهم في مختبراتهم عمليات طاقة الحياة في جمعها وطرحها التكوينيين اللذين بهما يتحقق تكوين الكائن المعين لها ، وتكوين اعضائه الخاصة ليؤدي كل عضو وظائفه بدقة واحكام في وقته المرتبط به أيا يكن الكائن حيوانا او نباتا ...

كل ذلك يتم بمقتضى علم الله ، وارادته ، وقدرته التي تسير الطاقات لتقوم باعمالها التكوينية ادق قيام ..

واصدق شاشة تشاهد فيها امثال اعمال الطاقات التكوينية المدهشة هي الشاشة التي تشاهد فيها عربات الرصد الفضائية المطلقة الى سطح القمر وحول المريخ والزهرة لجمع المعلومات الكونية وارسالها حسب ما هو مسجل في مخططات اعمالها من الاخذ والاعطاء دون زيادة او نقصان .

وفي هذه المشاهدة تلمس عمايات الجمع والطرح التكوينيين في عوالم الاحياء وفي سواها من العوالم ، لمس واقع العلم اليقيني المجسد .

١ ــ واذا لم يدل هذا العلم الذي تعمل بمقتضاه الطاقة التكوينية ــ في ذرات العناصر المادية ، عمليات الجمع والطرح التكوينيين على ...

٢ ــ واذا لم تدل هذه الارادة المخصصة لكل طاقة تكوينية عناصرها ، وعمليات جمعها وطرحها التكوينيين .. على ....

٣ ــ واذا لم تدل هذه القدرة التي تحرك الطاقا تالتكوينية حركاتها المقصودة في عمليات الجمع والطرح التكوينيين التي لا تدخل تحت حصر من اجل تكوين الكائنات على ...

اي على وجود العليم المريد القادر جل وعز ... فعلى وجود من تدل ...؟؟

ولنطرح تحت اقدامنا هوس المهووسين من الوجوديين الملاحدة الذين الهوا الصدفة ، ولنأخذ بدلائل الايمان العلمي اليقيني بالخالق العظيم العليم المريد القادر ، سبحانه وتعالى .

... فهذه الدلائل تشاهدها مجاهر المختبرات العلمية ومراقب المراصد الفلكية .. ماثلة في تكوين أصغر ذرة مثولها في تكوين اكبر الاجرام السماوية .

ناهيك بما قصرت عن مشاهدتها من دلائل العوالم المتغلغلة في أسداف الابعاد فهي اكثر واكثر ، واعظم واعظم ..

وهكذا نجد كل كائن مادي .. سواء ما صغر أو كبر ، وما قرب او بعد وما اكتشفناه أولم نكتشفه .. يقوم تكوينه ـ في كل ادواره وتسلسله من البداية الى النهاية ، وهو في زاويته المعينة له من العوالم ـ على عمليات الجمع والطرح التكوينيين ، ولا ينفك عنها بحال ..

وكم وكم تفوق أدنى عملية ما يجمح ويطرح من ذرات العناصر لادنى كائن ،بل لادنى عضو فيه في أطوار تكوينه .. أعقد وادق واوسع عمليات الجمع والطرح الحسابية في ميزانية اكبر الدول ذات الغنى الفاحش .

فكر في تكوين ذات البعوضة ، وفي تكوين كل عضو من اعضائها ، وفي عدد ما يجمع ويطرح من ذرات العناصر المعينة لتكوينها فانك تجد كل ذلك بمقادير محصية احصاء دقيقا يعجز العلماء عن استيعابه عجزا صريحا للغاية ، ومحيرا للنهاية ....

هذا ان صرفت نظرك عن الفروض العلمية التي يتحدث بها العلماء وهم مأخوذون بأمنيات احلام العلم ، ويتلقفها اشطار المثقفين ، ويذيعونها على انها من يقين العلم وواقعه .. وما هي من واقعه ولا من يقينه في قطمير ..

وهكذا يثبت العلم اليقيني المشاهد : أن كل كائن لا يتم وجوده الا بمقادير محدودة من ذرات عناصر معينة لتكوينه ..

ويثبت : ان هذين التحديد والتعيين هما نتيجة الجمع والطرح التكوينيين سيان : ما صغر من الكائنات وما كبر منها ، وما ابصرنا وما لم نبصر ، وسيان ما كان من كائنات الاحياء او من غيرها .

ويثبت : ان عمليات الجمع والطرح التكوينيين لا تجري الا بشمول علم الله الازلي وارادته النافذة وقدرته التي لا يعجزها شيء ..

ويزعم السطحيون من اشطار المثقفين الملحدين ، ان عمليات الجمع والطرح التكوينيين تتم بعلم الصدفة وارادتها وقدرتها ...

يقولون ذلك اعتباطا ، او لعل للصدفة علما وارادة وقدرة ، ولكن لا يعلمها أحد سواهم ...

ومنهم الزاعمون : ان العلم الانساني احصى ذرات الكائنات وهو زعم مختلق ، لان العلماء الراسخين لم يدخلوا حتى في تصورات فروضهم ذلك الزعم ، بل هم اعلنوا عجزهم عن احصاء ذرات العناصر التي تهيمن عليها مختبراتهم العلمية دراسة وتحليلا وتركيبا ، فما بالك بسواها مما لم تهيمن عليه مما هو مترام في غيوب أبعاد الفضاء فاحصاء اجرامه الهائلة مستحيل المستحيلات ..! فضلا عن احصاء ذراته .

هب انك اكبر استاذ عبقري للعلوم الحديثة في اكبر جامعة في العالم . اوهب انك اقدر مكتشف للمجهول من الكائنات في أحدث مختبر علمي ، فهل يدخل في امكان علمك تحديد اعداد ذرات اصغر كائن ، وأنت تراقب نشوء تكوينه ، وادوار تطوره وتكامله من البداية الى النهاية في مختبرك ؟؟.

لا ريب انك تقول بواقع العلم اليقيني : لا لا لا . . .

انك تتحقق وانت تشاهد بمجهرك ان اعداد ذرات تكوينه محدودة المقدار بعلم فوق علمك ، وان نوعية عناصر التكوين مخصصة بارادة فوق ارادتك ، وان عملية التكوين تتم بقدرة فوق قدرتك .

اجل ، تتحقق وانت تشاهد ما تشاهد من عملية تكوين الكائن : ان العلم الذي تم بموجبه تكوينه هو علم الله الازلي الشامل ، وان الارادة هي ارادته ، وان القدرة هي قدرته جل وعز . .

والآن تستطيع أن تعلن بلسان العلم اليقيني المشاهد : ان الجميع والطرح التكوينيين ــ اللذين تم ويتم بموجبهما تكوين كل كائن على الاطلاق ــ هما صادران عن علم الله وارادته وقدرته ، اذ محال ان ينسب خلق الكائنات ما علمنا منها وما لم نعلم ــ وما لم نعلم هو الاكثر ــ الى الصدفة !!

وكل كائن منها لا يتم تكامل خلقه الا بعمق العمق من عمليات الحساب الذري ، وانك تلمس معضلاتها المعقدة في امرين ظاهرين :

١ ــ في تعيين عناصره المخصصة لتكوينه .

٢ ــ وفي تحديد ما يجمع ويطرح من كل عنصر بالذات لاتمام اعمال التكوين . .

اجل محال ان ينسب خلقها الى الصدفة .

وقد اثار الشاعر السعودي الكبير الشيخ احمد العزاوي الى عجائب عمليات الجمع والطرح والتكوينيين اللذين تجريهما قدرة الله في خلق انواع الكائنات الجمادية والنباتية والحيوانية في قوله :

مظاهر قدرة الرحمن تبدو	وتخفى وهي تجمع أو تفرق
وكم بين النبات قتاد شوك	وأثمار وأزهار وزنبق

وكم وكم بين كائنات الحيوان ، وكم وكم بين كائنات الجماد من انواع وانواع . .

على بينات العلم اليقيني يولد المولود وهو يحمل معه نتائج عمليات الجمع والطرح التكوينيين . . .

وما تزال تلازمه عمليات الجمع والطرح في كل ادوار حياته من ساعة الى ساعة حتى يطرح جسده كله من حساب الحياة ، ويظل مطروحا « ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » (١)

---

(١) التغابن ٩ .

المجموعة النفسية والايمان الصحيح وأساطير تعدد الآلهة

الايمـان بكل انواعـه ..

(١) : ينطبع فـي الغريزة
(٢) : ويتقد فـي العاطفـة
(٣) : ويتمحص فـي العقل ...

او قـل :

(١) : الغريزة مطبعـة الايمـان ..
(٢) : والعاطفة وقوده ...
(٣) : والعقل مصفاتـه ...

وحديثي هنا عن الايمـان بالله الخالق العظيم ، ووحيه المقدس ، واثره فـي الغريزة والعاطفة والعقـل ...

١ ـ ايمان الغريزة

من الغريزة ينطلق الايمـان المطبوع المتوارث الى الاقتناع والاذعان ، أيا كـان الآله المعبود ، أكـان خالق الوجود الحق ، أو كان حيوانا أو نباتا أو جمادا .

وأيا كـان الوحي المنسوب اليه : الكتب السماوية او ترهـات الكهـان ، واساطيـر الجـان ...

وشريط اعمال الغرائز وان كان مسطورا بقلم العلم الآلهي الشامل في طاقـة الكائـن الحي ... الا انه مبهم لكل الحيوانات وغير مدرك لها ..

وانما جاء ادراك اعمال الغرائز في الانسان من العقل ...

٣ ويمتاز الانسان بغريزة الايمـان ..

والايمـان الغريزي محكم في اعماق النفس ، ويرفض صاحبه ايـة محاولـة تنقص من قدره ، ولو كانت بأدلة يقين العلم .. ولا يقبل مساومة فيه ، ولو كـان مؤلفا من أساطير وترهات وأحلام ..

وصاحب الايمـان الغريزي لا يرى في تعدد آلهته المعبودة ، ولا في مـا تراكم حولهـا من خوارق شيئا غيـر حق وصدق وواقع .. ولو ناكـر ذلك حقائق العلم اليقيني ، وتـراه ينافح عـن مناقضاتها ، ولا يرضى عن مناقشته لها بوجه مـن الوجـوه ....

والباعث على ذلـك : ان المؤمـن الغريزي يفقد موازيـن التفكير المستقـل وأحاسيس تمييزه بين السيء والحسن والاحسن، لان احاسيسه أبدا هي أحاسيس الغريزة ، ومـا هـو مطبوع فيها ، ومـا دام السلطان للغريزة فالعقل كاشف فقط ، والمؤمن الغريزي يحس ايمـانه احسن المحاسن ، وان كـان اسوأ المساوىء .

الا ترى قوم لوط كيف عموا عن الاصلاح العظيم الذي جاءهم به لوط ـ عليـه السلام ـ من عند الله عزوجل ، وكيف سخروا منه ومقتوه ومن معه ... وتأمـل منطق الغريزة فـي جواب قومه له :

« ... وما كان جواب قومه الا ان قالـوا اخرجوهم من قريتكم ، انهم انـاس يتطهرون .. » ٧ الاعراف ٨٢

ذلك لان شعلة الغريزة ذات دخان كثيف اسود يحجب البصيرة والبصر عن نور العلم وهدايـة الحق وخير الاصلاح ..

وان واقع سلطان الغرائز المهيمن على وعي الحواس الخمس العملي وضحه وحي الله من قبل أن يهتدي الى توضيحه علماء النفس بأجيال ..!!

تأمل قولـه تعالـى :

« ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ، وهم لا يسمعون » (٢١)

« ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » : ٨ ـ ٢٢

وما كانوا شر الدواب الا لانهم اذعنوا لغرائزهم ، وعطلوا عقولهم . وكانوا قادرين ان يستعملوا عقولهم : فيميزوا بها ، بين العلم والجهل ، والحق الباطل ، والايمان والكفـر . ولكنهم لم يفعلوا واصروا على ذلك .

« ان شر الدواب عند اللهالذيـن كفروا فهم لا يؤمنون » ٨ ـ ٥٥ .

وفي آيـة الاعراف ٧ ـ ١٧٩ بيان مسهب يذكر تعطيل الحواس بوثاق الغريزة « ولقـد ذرأنـا لجهنم كثيرا من الجن والانس : لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام ، بل هم أضل : اولئـك هم الغافـلون » ....

اي غافلون عن استعمال مواهبهم الفكريـة التي بها يستطيعـون ان يسيطروا على حواسهم التـي هي وسائل اكتساب يقيـن الايمـان والعلم ..

وأية قيمة لحياة موثقة الفكر بالغريزة .. والوثاق الغريزي تعطيل للفكر عن نصرة الحق والعلم والخير ، فيكون الفكر في حكم العدم . والمشاهد : ان وثاق الفكر هو موت وزيادة ، ومن كان كذلك فهو يعبد اي كائن من كائنات الوجود ولو كان الشيطان ، ولا يصغي لانذار ولا يكترث له لانه ميت فكرا ، وهل تنذر الاموات !! والله جل وعز يقول : « لتنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين » ٣٥ ـ ٧

وكيف لا يكونون امواتا اولئك المكفوتون في رموس تقاليد الآلهة المتخذة من أفراد الكائنات ، ويصرون اصرارهم على عبادتها ، ويتخذون عبادة الله العظيم خالقهم هزءا وسخرية ...

ويتحدون الدعاة الى عبادة الله بطلب انزال العذاب عليهم ليكون عدم انزاله عليهم في زعمهم آية صدق كفرهم به جل وعز ..

وجهلوا انهم يعيشون في عالم حرية الارادة والفكر ، ولولا ذلك لما استطاعوا ان يكفروا ، وان يفكروا في غير الايمان العلمي اليقيني ، وان يؤثروا عليه سواه بتحد واصرار .

« قالوا اجئتنا لنعبدالله وحده ، ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » الاعراف ٧ ـ ٧٠

ويكفي ان ننهي الحديث عن الايمان الغريزي المحض بهذه الآية الكريمة التي وردت في وصفهم :

« صم بكم عمي فهم لا يرجعون » ٢ ـ ١٨

أجل هم لا يرجعون عما انطوت عليه غرائزهم . وعلمهم لا يزيدهم ، الا نفاقا واصرارا وكفرا ، ولا رجاء في عدولهم عنه ، هذه طبيعة الايمان الغريزي ، والايمان الغريزي اذا صادف العقيدة العلمية اليقينية كان بعيدا عن الشك .. حتى لدى انطلاق الفكر ، وهو ماثل في ايمان العجائز الذي تبناه الامام الرازي لنفسه ..

٢ ـ ايمان العاطفة

العاطفة : طاقة وجدانية حساسة ذات انفعالات خاصة كالكرة تنفعل بجانب من المرئيات دون جانب ...

وتتكون العاطفة بالتكرار ، وقد تتكون بالمرة الواحدة ، والعاطفة ذات انفتاح ... وتلذعك العاطفة المثبوتة لذع تيار الكهرباء اذا حاولت اخماد الذي شبهها في شباب المجموعة النفسية ، وتقوى وتنمو بالتعهد والتربية وبالمصلحة والدعاية ولو بواقع العلم اليقيني المحض ...

والعاطفة كبيرة التأثير في توجيه اعمال الانسان ، وفي تعيين موداته وعداواته ، وتضحياته .

والعاطفة تنفعل بالغريزة ، وتنجر في تيارها ، قد يطغى تأثير الغريزة عليها حتى تجافي واقع العلم اليقيني اذا جافته الغريزة ومشت في غير واديه ..

وتخالف العاطفة الغريزة انها ذات الوان ، وان الوانها لا يسر في احصائها ، وأنها صالحة للازالة والتبديل .. انظر ، فهذه عاطفة الحب ـ وما أكثر أنواعها،

ومنهـا الحـب القومـي :

الا تجد من ولد في المجتمع الصيني ، ونشىء على احاسيسه وتقديس شعارات تاريخه ولغته وأمجاده أنه يحس بعاطفة الحب القومي الصيني ، ويتحمس لهـا، ويذود عنهـا ما استطاع .. واذا صدق الحب يضحي بنفسه من اجله ..

ومن ولد في المجتمع الاندونوسي، ونشىء على تقديس مشاعره وأمجاده ولغته وتاريخه ، فان عاطفـة حبه القومي تكـون اندونوسية .. وقد تموت عاطفـة الحب القومي حتى يعـود المواطـن عدوا يتآمر على امته او لا يبالـي بهـا عاشت او ماتت تمزقت او توحدت شقيت او سعدت ، يعـود ذلـك الى تركيـز التربيـة ، وتوحيد الايحـاء والدعايـة .

وهذا حال عاطفة الدين ، دون غريزته ، وعدد الوان عاطفة الدين بعدد النحل والاديـان التي يديـن بهـا البشر ..

والعاطفة في حد ذاتها انعزالية ، واعتباطية التفكير في مـا تأخذ او تدع .. وقد ترفض الحط ممـا هي مطمئنـة به ولو كان مؤيدا بألف برهان علمي يقينـي صحيـح ...

ولا تنتظـر من المفكر العاطفي الذود عن حقائق العلم اليقيني ، او التنكر لاساطير تعدد الآلهـة ، او الانتصار للخير والانسانية والسلام اذا لم يكن ذلك من منابت تربية العاطفة في نفسه ، وتعهد الداعين المربين لها منذ البدايـة .. والتثقيف الانسانـي العالمي . وتحرير العلم اليقيني والوحي اليقيني لا يحرك ساكنا هنـا اي مع العاطفـة المشبوبـة الملوثـة ، اما العاطفـة النزيهـة الكريمـة فهي روح التقـدم العلمـي العالمـي .

عاطفـة الايمـان والثقافة

الثقافـة العاليـة قمة النمو الفكري الفذ ، ومثاليـة السلوك الانساني الكريم، وتأثيرهـا في تكويـن العاطفـة وتهذيبها بالغ وان كانت لا نستطيع اقتلاع احاسيس اتجاهاتهـا الاساسية الملتوية الا بالف جهـد وجهد ، وفي ندرة نادرة ، وخاصـة اتجاهات عاطفـة الايمـان اذا كانت منحرفـة مركزة على تقديس حيوان او حجـر وعبادته وتأليهه لان ظهور الثقافة العاليـة فـي العاطفة كظهور الماء الصافي فـي اناء البلور ، يبدو صافيا جذابا أي في اللون المحبب لكل ذي عقيـدة اخـرى ، وان وان كانت العاطفـة بالنسبة لواقعهـا في نفس صاحبها هي هي..

والعاطفة لا تكـون جحيمـا شواظها الاصفر يلفح من دنا منهـا الا في نفـوس المتكسبين واشطار المثقفين غلاظ الاكباد اذا التقـوا بمن يحمل نقيضهـا ، ولو كـان ما يحمله مؤيـدا بكـل دلائل يقيـن العلم ..

وانا نلمس دنيـا العاطفـة الشاعلة في اعمال الغريزة اقوى ممـا نلمسها فـي اعمـال الفكر . فسلطان الغريزة اعنف واشـد من سلطان الفكر الا لدى اهتيـاج النبـل العلمـي النـادر .

وكم من حروب للعاطفـة ضـد واقع العلم اليقيني والوحي اليقيني نشاهـده

« قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعب والذين آمنوا معك
وتقاليد ما تدين به ، واماني عيشها ... وليس مستمدا من مطالع اكتشاف
وتلقي الوحي والانتصار لهما وما يكسب ذلك من المجد الشريف العظيم المخلد .

واذا كنت تشبه الغريزة بالجمر الشاعل في موقده ، وقد تخمد احيانا بالكبت
وفقد وسائل الاثارة ، فاني اشبه العاطفة بالريح العاصفة المثيرة التي تستطير
بالجمر ، لهيبا اصفر ذا شرر متلاحق هنا وهناك ، فتحدث جنون الحب الاعمى
الفاجر والفتن العمياء ، والحروب العدوانية الجشعة السالبة ، والدس على
حقائق التاريخ والوحي اليقيني والعلم اليقيني وتشويه كل ذلك بالريب والاوهام .

وبعيد في اليقين العلمي قصر التبعة في كل ذلك على الغريزة وحدها ،
وتنحيتها عن العاطفة .. ومن هنا تلحق تبعة الفتن الدينية الدامية ،
وخلافاتها المذهبية الرعناء ، والدس في نصوص الوحي اليقيني بالزيادة
والنقصان والتأويلات الباطلة ، والاخذ بالمتشابهات، وطرح المحكمات في عالم الاديان
السماوية ، واختراع الالوهيات ووضع الاديان حولها ... نلحقها بعاطفة الايمان ،
من قبل ان تلحقها بغريزته ، لان العاطفة بكل تأكيد قداح زناد الغريزة ، ووقودها
الجهنمي المدمر ..

وقل مثل ذلك في غريزة حب التملك ، اذا لم تثرها عاطفة حب الثراء ، فانها
تظل في مسلكها العادي تهب رخاء ، فان اثارتها حولتها الى اعصار عاصف
لا يهدأ ولا يستقر : سهر دائب ، وجهد متتابع من أجل الجمع والادخار ... فان
كبتت بهدى الشريعة اقتصر على الحلال البين ، وان لم تكبت : أكل جشع الغريزة
الملتهب بشعلة العاطفة الاخضر واليابس ، والقائم والقاعد ، والظاهر والخفي ، وهو
فاغر فاه يصرخ هل من مزيد ؟ !!

تفكر : هذا المال الذي تضن به غريزة حب التملك ، وتحجزه عن الانفاق كيف
تبذله عاطفة الايمان الكافر لدى اهتياجها ضد دعوة وحي الله الى الايمان الصحيح
ولا تبالي ...

« ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله . فسينفقونها ثم
تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون ... » ٨ — ٣٦ الانفال .

وهل انتصر النماردة لآلتهم التي نحتوها من الاحجار — ضد سيدنا ابراهيم على
الرغم من البرهان اليقيني المشاهد حين جعلها جذاذا ، واجمعوا على احراقه ، دون
اكتراث — الا بحكم اذعانهم لغرائزهم ، وثوران عواطفهم :

« قال اتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم (٦٧)
أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون (٦٨)
قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين »

الانبياء ٢١ — ٦٨

وهذا مشهد من مشاهد العاطفة الثائرة في أعمالها العنيفة حين توجهها غريزة
التدين تبصره في احتشاد زعماء مدين واجماعهم على اخراج سيدنا شعيب ومن آمن
به كراهية لما جاءهم به من اصلاح مؤكد ...

« قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا ... » ٧ ـ ٨٨ .

فهذا الاهتياج في غريزة تدينهم مأتاه من اشتعال عواطفهم الساخطة ... انظر كيف داسوا الحقيقة الملموسة بأقدامهم ، واعتبروا الاصلاح العالي الذي جاء به نبي الله شعيب افسادا وخسرانا ، وأوقدوا الحملة عليه في كل مكان ...

« وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا ، انكم اذا لخاسرون » ٧ ـ ٩٠ .

٣ ـ الايمان والعقل

طاقة العقل في قمة طاقات المجموعة النفسية ، وهي باصرتها الواعية الكاشفة لوقائع الاشياء والمميزة لها والقادرة على ضبط العلم واستيعاب حقائقه على وجهها الصحيح بخلاف طاقتي الغريزة والعاطفة المجردتين .

ولا يرتاب مفكر ان الايمان الذي يعتمد في اثباته على براهين العلم اليقيني ، هو ايمان العقل ...

ولكن ليس كل من حمل عقلا كان ايمانه مبنيا على دلائل العلم اليقينية، والسبب في ذلك ان العقل عقلان :

١ ـ عقل موثق بوثاقي الغريزة والعاطفة، وهذا العقل أشبه بالعربة التي يقودها جوادان ، فهي تتحرك بحركتهما ، وتسكن بسكونهما ، أو قل العربة ذات الجواد الواحد ان كان الوثاق هو وثاق الغريزة وحدها ، او العاطفة وحدها .

والعقل الموثق لا يدخل في امكانة تمحيص واقع العلم اليقيني في ما هو موثق به من غريزة أو عاطفة ...

فان كان موثقا ايمانه بتأليه : نار او شمس أو فيل ، او بقرة ، او روح او ملاك، أو شيطان فان أثار وثاقة تظل ظاهرة في أفكاره ، وان تخيلها منطلقة حرة خالية من كل وثاق ...

ومن أجل ذلك تجد جمهرة الكاتبين الموثقين يؤلفون المؤلفات الضخمة ، ويلقون المحاضرات الطويلة العريضة تأييدا لما يؤلهون من كائنات المادة أو من كائنات الطاقة.. وعقولهم الموثقة بأغلال غرائزهم وعواطفهم لا تملك فك تفكيرها منها ، وآثارها أبدا تجدها ظاهرة فيه ..

اذن فما لنا قد من عجب اذا شاهد وفرة المحاضرات تصدر من بعض مدن الشرق الاقصى منافخة عن قداسة الابقار ، وحاثة على صيانتها ومحذرة من انتهاك حرماتها ولو بلمزة عابرة ، او اشارة ساخرة ...

ولما كان تفكير العقل الموثق وانتاجه خاضع لبواعث الغريزة والعاطفة ، فانه لن ينقض تعدد الآلهة ولو نقضه العلم اليقيني ، ما دام ذلك منسجما مع بواعث ايمانه واتجاهاته .

وهذا عين موقفه حيال اية حقيقة علمية يقينية اذا كانت مناقضة لما انطوت عليه الغريزة ، واتقدت له العاطفة ، من ايمان بعقيدة ما ..!!

وانه لا يفتأ يزينها بأصول العلم اليقيني أحسن تزيين، ويخفي تهافتها ومناقضتها لحقائقه بكل ما يملك من ذكاء وعمق في المعرفة شبه ما تصنعه الماشطة الماهرة في تزيين الوجه البشع المنفر ، فهي وان كانت تعجز عن ازالة بشاعته الاصيلة الا انها تخفيها بأصباغها وأدهانها وبما تضيق وتنقص ، اي لا تعجز عن الخداع ولو بعض الوقت ...

هذا دأب صاحب العقل الموثق المثقف ...

فهو وان يسخط العلماء الاحرار الراسخين ، ويثيرهم الى نقده الا انه يرضي جماهير اتباعه ، ويحمسهم الى اكباره ، ويجعلهم يرفعونه ويهتفون له ، ويخصون عيشه من دونهم بالاطايب .

وما دام هذا شأنه وشأن اتباعه معه ، فلا أمل فيه وفيهم أن يفقهوا واقع العلم اليقيني وواقع الوحي اليقيني وينتصروا لهما اذا فقهوهما ، ويعدلوا عن كفرهم واصرارهم عليه وسخريتهم بالمؤمنين الصادقين .

« ويل لكل أفاك أثيم (٧) يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم (٨) واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين » ٤٥٩ ـ ٩ الجاثية .

وقال سبحانه وتعالى :

« فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون » ٢٢ ـ ٢٣ .

أي كان مقتضى علمه أن ينطلق من وثاقي الغريزة والعاطفة ، فلا يجعل لله اندادا من مصنوعاته يعبدها من دونه عز وجل ...

٢ ـ عقل مطلق

المراد من اطلاق العقل : فكاكه من كل وثاق نفسي او خارجي يمنعه عن الاخذ بالواقع اليقيني في العلم والوحي ، وعن اعلانه للناس والدعوة اليه بأمانة وصدق...

والعقل المطلق في اقتداره الانتقال من عقيدة الى اخرى ـ ومن فلسفة الى سواها ...

اذا ظهر له أن الثانية هي عين يقين العلم لا الاولى ...

وفي اقتداره أيضا افراز الظنون والفروض والاساطير اذا جاءت متلبسة بيقين العلم او بيقين الوحي .

والعقل المطلق : اما أن يكون مؤمنا ، واما أن يكون ملحدا .

فان كان مؤمنا وكان مثقفا تفكر في خلق السموات والارض وجد في كشف الواقع اليقيني في كل شيء .

فاذا انكشف له شيء من ذلك دان به وأعلنه للناس بالدعوة اليه ليصححوا عقائدهم وما يدينون به ...

وهو دائما في هدى الايمان وخشوعه ، وفي التفكير والذكر ، وفي ذلك يقول الله عز وجل :

« ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب (١٩٠) .

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » ٣ — ١٩١ .

وصاحب العقل المطلق المؤمن المثقف لا يؤمن الا بالله الخالق ، ويرفض أن يؤمن بآلهة الاساطير المتخذة من أفراد الكائنات المادية والطاقية على وفرة أشكالها والوانها لانه يستعمل عقله في التفكر ، وعلمه في كشف واقع العلم اليقيني فيما يدين به من وحي ، وفيما يطرح عليه من المسائل المتعلقة به ...

وان كان صاحب العقل المطلق ملحدا .. عبد هواه ، وجعل علمه تابعا له ..!!

وحينئذ يكون من الفوادح الهدامة ليقين العلم والايمان ،

ويستأجر لدى كل مناسبة للدعوة لاي من الآلهة التي مضت وأعلن عنها ، أو الآلهة التي سوف يعلن عنها ، ولا يبالي .

ومن كان من هذا الطراز يستخدم للتشكيك في حقائق العلم اليقيني ، ولدس الظنون والاوهام وجعلها هي عين واقع العلم اليقيني ما دام الكسب موفورا له ..!

وهل كان جزارو البشرية الفتاك والخونة المتآمرون والمريبون المترصدون الا من هؤلاء الملاحدة العالمين ؟ ..

واذا كان كل تقدم حضاري مجيد خير يتم للانسانية على يد ذوي العقول المطلقة المؤمنة فان كل تخلف وهدم وتمرد وتهتك وافساد بين الجماعات والافراد وافتراء في ادعاء الالوهية والنبوة والوحي والخوارق يتم على يد ذوي العقول المطلقة الملحدة العالمية ...

«أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة . فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ؟ » (٢٣)

وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » ٤٥ — ٢٤ .

« ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ، واياي فاتقون » (٤٢)

ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ٢ — ٤٣ .

انظر الى هؤلاء : انهم فريق من أهل الكتاب اليهود الذين الحدوا ، وآمنوا بالجبت والطاغوت : كيف كتموا حقيقة العلم اليقيني الذي استوعبوه بكل عقولهم ، وزعموا للمشتركين من قريش ومن كان على شاكلتهم انهم اهدى سبيلا — مع ما كانوا عليه من عبادة الاصنام واستباحة المحارم ، وتمزيق الكلمة — رغم أن ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من مثل عليا اصلاحية اورثتهم ملك الدنيا طولها والعرض .

«الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا » ٤ — ٥١ .

وغاية ما يقال في هذا البحث ....

١ — « من طلب الله عز وجل بغريزته اتخذ آلهة مما هو متخذ في بيئته تقليدا ..

وبين « ان التأليه الغريزي فلم وراثي مركز في صميم الاعصاب تبدو صوره في اوقاتها المعينة دون تخلف أو تذبذب أو محاق ..

٢ ـ ومن طلب الله عز وجل بعاطفته استجاب لاول داع قادر على التسلط والتحكم والتأسيس والتركيز وقراءة الافكار وما هنالك من وسائل التأثير العاطفي..

فتراه يأخذ عنه ما يدعو لعبادته ولو كان دون عبادة خالق العوالم كافة ذاتا وصفات وافعالا، بل لو كان يدعو الى الحاد لاستجاب له ما لم يكن لهحصانة من علم يقيني أو وحي يقيني يحول دون السقوط في فخاخه ..

والعواطف شعلة العقائد أيا تكن ، فاتقادها اتقاء لها : تأمن وتحذر ، وتصادق وتعادي : وتسالم وتحارب راضية طيعة بسلطان تأثيرها ...

٣ ـ ومن طلب الله بالعقل الموثق المثقف ... فان ثقافته تظل موثقة بوثاقي غريزة التدين وعاطفته .. ولن تتزحزح عما تدين به الغريزة، وتشتعل له العاطفة قيد شعرة الا باللجوء الى الاساليب العلمية اليقينية والفلسفية الناقدة ، لكي يلبسها ما يدين به أثوابها ، وان كان ما يدين به غير الخالق العظيم ليلبس بها على اطفال الثقافة ، واشباه العامة ، ما يلبس .. !!

ولا يسعه لدى المواقف العلمية اليقينية الحاسمة سوى الهرب وفي الهرب النجاة من قضية الجهل وتقديسه والذود عنه ...

٤ ـ ومن طلب الله بالعقل المطلق المثقف ، فان كانمؤمنا توخى في ثقافته واقع المعرفة اليقينية في كل شيء بحكم اطلاقه ،

واستطاع ان يقيم بالبراهين العامية القاطعة بطلان ان تكون الكائنات مخلوقة بقدرة أحد هذه الآلهة المتخذة من أفرادها: وبعلمه وارادته، كما يستطيع انيميز بين الايمان العلمي اليقيني ، وبين الايمان التقليدي التلقيني ، وينقد ركام الاساطير والتقاليد ، وترهات خوارق آلهتها العديدة .

ولا ريب أنه من مهازل العصر القمري الحديث نسبة خلق الكائنات اليها ، في بعض البيئات ، وفي اخرى نسبتها الى الصدف ...

وما دام يملك اطلاق العقل وسعة الثقافة ، فلن تخفى عليه دسائس الدساسين الذين ادخلوها في تأويل النصوص اليقينية المحكمة بالمتشابهات ، ووضع الكثرة المتناقضة المتهافتة من الاحاديث التي استغلوا بها الغرائز الامية والعواطف الساذجة، فأفسدوا ما شاء لهم فسادهم ، واكثروا من الفرق والنحل وأوسعوا الخلف بينها...

ولا ريب أن طالب الله عز وجل بالعقل المثقف المؤمن لن يتنكب عن طريق يقين الوحي المستقيم ، ولا ينحرف عنه .

وليس له من ادلاء سوى ذات الوحي اليقيني والعلم اليقيني والعقل المطلق المفكر العالم الناقد البصير ...

هذه كل أعتدته في جهاده في الاهتداء الى الله عز وجل .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » .

٦ ـ وان كان صاحب العقل المطلق المثقف ملحدا ، ... فان طلبه لله يكون

منكوسا، يبحث غرائب تكوين الكائنات ويتعمق في معارفها التي تكونت بمقتضاها بكل ما تذخر به عجائب التكوين ، ولكن لا ليؤمن بنسبتها الى الخالق العظيم ، بل ليجحد النسبة اليه ، وينسبها الى الصدف والاتفاقات ... وكل برهانه هكذا اريد أنا أنا... أي يجحدها ولا يكترث بالادلة العلمية اليقينية المشاهدة التي تثبت جلال وجـــود الخالق العظيم ، فهي في نظره أوهام وتخيلات .

وهذا نهاية ما يصل اليه العقل المطلق المثقف الملحد مـن الهـوس والاضطراب والاصرار ...

وكل ما يتوخاه من وراء ذلك : هو أن يكون طريقا للشهرة والتعريف بنفسه أنه عبقري مجدد ، وعالم محقق ، وفيلسوف مفكر .

ومن أجل ذلك يفرض على الناس أن ما يقوله: هو الواقع العلمي القطعي... ولو قال : الشمس اصغر من الارض والارض اصغر من القمر ... وان الكائنات لم توجد بعلم، وان العلم ما وجد الا حين تكامل تكوين مخ الانسان، وأصبح قادرا على الملاحظة والوعي والاستيعاب والتذكر .

وهو يسخر بعباقرة العلماء والمؤمنين ، ويفند علومهم ، ويراهم أنصاف أميين بالنسبة اليه .. ولا عجب في ذلك فكل حضارة لا تخلو من أمثاله .

وقديما قال المتنبي في أمثاله :

وكم من عائب قولا صحيحـــا　　　وآفتـــه من الفهم السقيم

وقد قال الامام محمد البوصيري في الذين تجاهلوا معجزات آيـــات القـرآن المجيد وانكروها ، وهم أهل علم وحذق وفهم ، تجاهلوها لما فيهم من طبيعة الحسد:

لا تعجبـــن لحســود راح ينكرهــــا
تجاهــلا وهــو عيــن الحــاذق الفهــم
قد تنكــر العين ضوء الشمس من رمــد
وينكــر الفــم طعــم المــاء مــن سقــم

والحسد غول حقائق العلم المفترس في كل حضارة.. فيجب الوقاية من فتكاته، فهو كالسرطان ان شب في عقل انسان وعاطفته فلا نجاة من ويلاته الا بالموت .

العيد

لفظة عيد من الفاظ التفاؤل في اللغة العربية ، وسبب تسميته بلفظة عيد هو التفاؤل بعودته ، ومن هذا القبيل لفظة قافلة لقطار الجمال ، سميت كذلك تفاؤلا بقفولها وعودتها ، وقل في مثل ذلك في لفظة سليم التي يطلقونها على من لدغ من حية أو عقرب تفاؤلا بسلامته ، الى غير ذلك من الفاظ التفاؤل .

وكان الناس قبل الاسلام يعيدون تمجيدا لمعاركهم التي انتصروا فيها، وتقديسا لبطولاتهم ، وذكرا لايامهم الدامية .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد هذا اللون من الاعياد منتشرا في بلاد العرب ، وحين وافى المدينة المنورة وجدهم يحتفلون بعيدين لهما من قبيل ما ذكرنا ، فقال لهم وهو معتزم ان يقضي على الاعياد التي تثير الاحقاد في النفوس ، وتبعث في الانفس خواطر الشر وهواتف الانتقام وعزائم البطش والفتك، وفي كل ذلك بلاء يمزق اواصر المودة بين الناس ، واسباب الالفة والتفاهم والتسامح ، قال لهم: ان الله عز وجل قد ابدلنا خيرا منهما : يوم الاضحى ويوم الفطر ، وهذا حق ، فان الاسلام مثل انسانية عليا ، جاء مقوما ومهذبا ومصلحا وناهضا بالافراد والجماعات الى البر والهدى ، فيوم الاضحى هو يوم خليق ان يكون عيدا مباركا لامة كريمة مباركة لان اسبابه اجتماعية انسانية رفيعة واليك هي :

١ ــ اتم الله نزول القرآن في هذا اليوم بقوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

٢ ــ هو فرحة بما تم من الاجتماعات الكريمة الخيرية العالية منذ الليلة الاولى من ليالي ذي الحجة حتى اليوم العاشر ، ولعظمة هذه الايام وما فيها من منافع للجماعات والافراد، وتقوية لاواصر المودة بين الناس، ولتهذيب النفوس وتقريبها الى الله عز وجل ، أقسم الله بها في قوله تعالى : « والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر » .

٣ ــ في هذا اليوم أنعم الله على الذين جاؤوا من شتى البلاد، وتدارسوا وتفاهموا

وقاموا بكل واجبات الحج ، واحيوا خير الذكريات الصالحة التي كانت لرسل الله ابراهيم واسماعيل ومحمد ، صلوات الله عليهم أجمعين .

ومهما يكن ، فحصر المنافع التي اشار الله عليها في الحج بقوله تعالى: «ليشهدوا منافع لهم » ليس في الامكان في مثل هذه الكلمة الموجزة . ومن شاهد مناسك الحج واعماله ، وما فيه من اسرار وحكم لا تكاد تحصر يدرك السبب الحقيقي الذي من أجله كان اليوم الذي تنتهي فيه هذه الاعمال يوم عيد كبير لا في مكة فحسب ولا في جزيرة العرب بل في المجتمع الاسلامي والانساني معا . ولا نجد كلمة تصور ما يكسبه المرء في شهود الحج الاكبر ، والقيام بمناسكه التي توحد بين النفوس، وتهذب المشاعر ، وتقوم الاخلاق ، وتطهر الوجدان من قوله عايه الصلاة والسلام : « من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » . ونحن ندرك: ان الطفل ولد بعيدا عن الآثام ، طاهرا نقيا كالمزنة الصافية والوردة الزاهرة ، كالملاك الكريم ، ومن اجل ذلك قال سيدنا المسيح : لا تدخلوا السماء حتى تحملوا قلوب الاطفال . والواقع انالحج هو نهضة كبرى للناسجميعا، وهذا واضح من قوله تعالى: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » اي نهوضا يسمو على كل نهوض في أي مكان كان .

واما الاسباب التي جعلت يوم الفطر يوم عيد فهي اسباب تهذيبية اصلاحية، فالذين يصومون الصوم الاسلامي الصحيح شهرا كاملا لا ريب ان اراداتهم تشتد وتقوى ، ونفوسهم تتهذب وتسمو ، ونياتهم تطهر ، فهم يكونون أهل عفو وتسامح وسخاء واخلاص في النيات وتوجه في العبادة الى الله عز وجل رغبة في رضوانه، لذلك كان خليقا بهم ان يتخذوا نهاية الصوم يوم عيد مبارك مقدس ، يحتفلون به ويتوادون ويتصافحون ويتفاهمون ويبتعدون فيه عن كل الاسباب التي تسقط بهم وتقعدهم عن التقدم والامجاد والسمو في الخيرات .

وهكذا نجد : ان الاسلام ابطل أعياد الجاهلية التي كانت سبب فتن واحقاد وثارات بين الناس ، وجعل اعياده على اسمى المبادىء المقدسة التي اوحاها الله لخير الانسانية جمعاء واكمل الغايات النبيلة ، والذي يدلنا على ذلك : ان أعياد الاسلام يفتتح يومها الاول لدى مطلع الشمس بالصلاة لخالق الوجود جل وعز ، وبعد الصلاة يقف الامام ويلقي خطبة العيد التي تكشف المقاصد الاساسية الاسلامية من جعل هذا اليوم عيدا مباركا للناس جميعا ، حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في العيد بسنن كريمة منها الاغتسال والتطيب ولبس أحسن الثياب واجدها ، فان كان يوم عيد الفطر اخرج زكاة الفطر التي يقصد منها ان لا يبقى بين الناس في ايام العيد من محتاج ، كما انه كان صلى الله عليه وسلم في يوم عيد الاضحى يضحي بكبشين جيدين حسنين ، وروي أن عطاء بن يسار سأل أبا أيوب الانصارى عن الضحايا التي يضحي بها المعيدون في هذا اليوم بقوله: «كيف كانت الضحايا فيكم على عهد رسول الله ؟ قال : كان الرجل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يضحي بالشاة عنه وعن اهل بيته ، فيأكلون ويطعمون » والمعروف انهم كانوا يأكلون الثلث ويهدون الثلث ويتصدقون بالثلث ليعم الرخاء كل بيت مهما كان وضعه المالي . وهكذا ندرك ان القصد الاساسي هو المشاركة في المودة ونعمة العيش وطيبه . وتبادل التحية والمودة والتزاور على الصدق والاخلاص .

من آثار رمضان المبارك

كان الناس يصلون التراويح عشرين ركعة ما عدا الوتر ، ثم تسامع الناس ان التراويح والوتر فقط احدى عشرة ركعة والزيادة لا اصل لها . وحصل بين المصلين في المساجد خلاف في هذا الامر ، فأناس يصرون على العشرين ، وآخرون يرفضون ذلك ويقولون : ما دامت الزيادة لا أصل لها فلماذا نجهد أنفسنا ونصليها ، وكان الذين يرفضون الزيادة يستندون على البحث الذي اذاعه العالم المحدث الفاضل الشيخ ناصر الدين لالباني في تضعيف حديث ابن خصيفة . وان الذين يصلون العشرين يستندون على اجماع المسلمين على صلاة العشرين في مساجدهم منذ فجر الاسلام الى اليوم ، حتى أنهم ذكروا ان عمر بن عبد العزيز كان يصليها ستا وثلاثين ركعة .

نعم جاء في الحديث الذي رواه الشيخان أن رسول الله خرج في جوف الليل من ليالي رمضان وهي ثلاث متفرقة ليلة الثالث والخامس والسابع والعشرين وصلى في المسجد ، وصلى الناس بصلاته فيها وكان يصلي بهم ثماني ركعات ويكملون باقيها في بيوتهم فكان يسمع لهم ازيز كأزيز النحل . فنجد ان النبي سن التراويح ، واما عدد العشرين جاء من اجماع الصحابة على ذلك في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه. ففهم انهم لم يكونوا يقتصرون على ما صلوه في المسجد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كانوا يزيدون ، وعرفتهذه الزيادة بأجماعهم عليها في زمن عمر دونخلاف ومواصلة ذلك في مسجد رسول الله الى عصرنا هذا .

ومع ذلك كان لتضعيف حديث ابن خصيفة في مسألة ثبوت الزيادة الىالعشرين مع استمرار المسلمين عليها عمليا ، اثر كبير في ترك جمهرة من ائمة المساجد الزيادة في عصرنا هذا .

لذلك أجد الرسالة التي اذاعها فضيلة العالم الفاضل الشيخ اسماعيل

الانصاري في تصحيح حديث ابن خصيفة الذي يثبت جواز الزيادة الى العشرين لها قيمتها العلمية من حيث ان كثيرا من المصلين الجاهلين اخذوا ينسبون الى سيدنا عمر ابتداع مسألة الزيادة الى العشرين . والواقع أن كل ما صنعه سيدنا عمر انه جمعهم على هذا العدد الذي يدل أنه معروف لهم حيث لم ينكروا عليه ذلك .

لذلك أرجو من سماحة المفتي الاكبر الشيخ محمد بن ابرهيم ان يأمر بتوزيع هذه الرسالة الى ائمة المساجد في العالم الاسلامي لما فيها من النفع الكبير وازالة أسباب الخصومات التي تقع بين بعض المصلين والائمة الذين اعتقدوا بتحريم الزيادة .

كما أشكر الصديق المواطن العالم الفاضل الشيخ اسماعيل الانصاري على اهتمامه بارسال هذه الرسالة الي لانها كشفت غمة وازاحت خلافا وقررت حقيقة ، وفق الله الجميع لخدمة الاسلام والمسلمين .

باقل في الاختبار

لاحظ مراقب (الاختبار الانتصافي) لسنة ١٣٨٠ هـ ان باقلا متخازل في مقعده، مشتت الفكر ، غائر العينين . فأقترب منه مشفقا وقال : « عجبا لك يا بني ، اشرودا في غير دنيا الاختبار، وانت في دنيا الاختبار ان هذا انتحار » .

باقل : « اجهدني يا سيدي السهر والفكر » .

المراقب: «ويحك السهر والفكر هما عدة هذه الساعة العصيبة ويقظتها الواعية وفرحتها المرجوة » .

باقل : يجيبه بصوت يائس جريح : والحياء يكفكف دموعه ، والقلم قلق بين اصابعه لا يكاد يستقر .

« سهرت وفكرت ـ يا سيدي ـ اسفا على هذه الساعة الحاسمة التي كنت أعلم أنها ستكون سعادة للمجدين وشقاء للعابثين ولكن ما انتفعت بعلمي ... « قالها وفي اعتقاده أنها اعتذار كاف لمثله .

وانقضت ساعة الاختبار وباقل فكره مشرد حائر ، ورأسه مطرق على غير طائل ، وما ايقظه الا صوت المراقب يطلب اليه تسليم صحيفة الاختبار فارتجف لصوته وقدمها اليه وجلا يائسا من النجاح وعيناه هناك ، فانها لم تحو سوى حروف مقطعة وكلمات غير مفهومة ، وكان المراقب مربيا كبيرا نبيل القلب : فشجعه بكلمة طيبة ليقطع عنه اليأس والخمول :

« كن طموحا مجدا ، فالجواد الاصيل قد يخونه الحظ فيكبو مرة أو مرتين،

ولكن في النهاية قصبة السبق لن يحرزها سواه . والاختبار الاخير موعدك المنتظر، فأعد له العدة ، واحذر أن يفلت منك الزمن الثانية سنة في عمر العلم ، والندم لا ينفع ، والمجتمع لا يرحم .

ومثل هذه الكلمة المشجعة ، قد توقظ ضميرا غير ضمير باقل الخامد ، وتشد عزما غير عزمه الواهن ، وتهذب نفسا غير نفسه اللاهية ، وتقوم عقلا غير عقلــــه المضعضع القاصر الذي لا يدرك أبعد من ارنبة انفه . واقبل يوم الاختبار الاخير وانتظر المراقب ان يملأ رقمه بأهبة واعداد ولكنه وجده فارغا حتى من شخصه ، فسأل عنه فقيــل :

« نحي عن الاختبار ، لانه لم يكترث له ، وما حفزه الوعد والوعيد الى الاعداد والدرس ولو مرة ـ في كل التجارب التي تكررت، وهو في الجملة مهمل بتفوق، يعد ولا يفي ، ويندم ولا يجد ، ويكذب ولا يصدق ، ويتعمد ان ينفق اوقاته مع رفـــاق يعدون أنفسهم لأحط أعمال الحياة، ولا يعتمد ان ينفق أوقاته مع رفاق يعدون أنفسهم لارفع أعمال الحياة » . . .

وفي يوم من ايام السموم ، كان المراقب يمر في طريق ، وكان الغبار قد غطى وجهه ، فوقف ينتظر انفراجه وحين انكشف الغبار شاهد باقلا وجها لوجه، على حال ما كان يود ان يشاهده عليها . . .

اما باقل فألقى مكنسته على الارض وطفق يعدو الى الداخل . فناداه المراقب بأشفاق وقد اضمر ان يحيي نفسا .!!

ولكن سرعان ما اختفى باقل حتى من الكراج .

الملوك الشعبيون

الملوك الشعبيون قلائل في التاريخ . والملوك الشعبيون هم في شعوبهم بمثابة القلب الحي الذي يدفع دفق الدماء الحارة الى سائر الاعضاء ، يدفعها حياة وقـوة وسلاما . . . او قل هم بمثابة الطاقة الكهربائية تمنح الامة الحرارة والنور وتسيـر الاعمال على وجهها الصحيح النافع، وتنهض بالحياة العملية التقدمية المثمرة في كل مكـان .

والملوك الشعبيون هم الذين يعرفون كيف ينتقون أفراد بطانتهم من اصدق ابناء الشعب وانزههم واعفهم واوعاهم واشدهم حرصا على حياة الدولة والامة واسرعهم الى النجدة والتضحية والفداء بالنفس والمال في ساعة العسرة، واصبرهم على الجلد والمغالبة لاحراز النصر والمجد ، واقدرهم على تمييز لعاملين في الدولة :

ـ العاملين الصادقين الامناء الذين يقنعون بتناول القليل مـن مال الدولـة ولا يقنعون بتقديم الكثير من الخدمات التقدمية النافعة . . .

ـ العاملين غير الكاذبين الخائنين الذين ينظرون الى الدولة كمتجر للربح، والذين يقوضون الاركان ويهدمون البناء من اجل التمول، ويسيئون ويفسدون وهم يتظاهرون بالاحسان والاصلاح .

ولست الآن بصدد الافاضة عن ملوكنا الشعبيين القدماء وهم كثر والحمد لله، وانما الذي اوثر الافاضة فيه هو ان مجتمعنا العربي الحديث عرف ملكين شعبيـين كبيرين خاطرا بحياتيهما في سبيل تحرير وطنيهما حتى الموت، واقاما من الامجاد ما لا يقيم أمثالها الا الابطال الخالدون ، هما المرحومان الملك عبد العزيز آل سعود صقر الجزيرة العربية ومحررها وبطلها المؤمن المغامر بحق ، والملك محمد الخامس ملـك

المغرب الاقصى الذي قوض أركان الاستعمار الافرنسي في بلاده واذاقها نعمة الحرية والعزة والكرامة . وقد نجب كلا الملكيين العربيين الشعبيين أبناء برره ايقاظا ساهرين على حفظ الروح الشعبية المخلصة الامينة ، وسلطان الدولة الواعية الساهرة ...

ففي جزيرتنا العربية ظل الاخوة المثقفون البررة وفي طليعتهم جلالة الملك فيصل ينهضون بشعبها الى المستوى الذي يليق بروعة تاريخه الكبير ، وينمون روحه الشعبية المؤمنة المضحية التي عانى من أجل احيائها بعد همودها الطويل الملك عبد العزيز ما عانى وضحى ما ضحى .

أجل ، هؤلاء هم ساهرون يحفظون ما بني من دولة وسلطان وعزة وكرامة واستقلال في جزيرة العرب ، ومن ورائهم الشعب يضحي ويفتدي ويجاهد ويناضل . وما أسرع ما ردموا المهاوي السحيقة التي أمعن في حفرها بعض الافراد الحاقدين في جنح الظلام وأوشكوا أن يمزقوا الشمل ، ويفرقوا الجمع ، ويسيئوا العلاقة لا بين افراد الشعب فحسب .!! بل حتى بين الاخوة الكرام أنفسهم ..!!!

لولا مواهب الوعي المستشف عواقب الامور ،

ولولا الاناة والصبر والصدق والاخلاص ،

ولولا الحكمة البالغة ، والروح الاجتماعية الكريمة ، وشمائل العروبة الاصلية التي كانت تدرأ الاخطار دائما ، وتشد اواصر القربى وتحكم بواعث التفاهم بين الاخوة وأبناء العمومة وكبار رجال الحل والعقد من العلماء والوجهاء المخلصين المضحين وفي طليعتهم داهية السياسة العربية الصريح والحكيم الاجتماعي القدير والراعي الواعي المخلص (فيصل العظيم) .

وهكذا عاد الشمل كأحسن ما كان ، وتوحدت الكلمة ، وابعد النفعيون المتاجرون الذين لا يبالون بالدولة ولا بالامة ماتت أم عاشت ما دامت أيديهم تصل من هنا ومن هنا الى جمع المال الحرام ، وايداعه في المصارف خارج المملكة تأمينا لانفسهم في زعمهم ساعة يغادرونها .

مساكين أما علموا أن شعبا يقيم ملكه على هدى وحي الله ، وعلى سنة رسوله الكريم ، وعلى ما كان عليه السلف الصالح من العلم والوعي والشوكة والعتاد والاستقامة والقناعة والاقتصاد وحب بعضهم بعضا بصدق واخلاص !!! لن ينهار ابدا ... وهل ينهار ما كان لله عز وجل ؟! وما كان لله فهو الباقي !! وما كان لغير الله فهو الزائل !!! .. والله عز وجل يقول : « فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

والآن قد انهى رجال الحل والعقد المؤمنون المخلصون الذين يفتدون الامة والدولة بأرواحهم وأموالهم ــ سواء أكانوا من أفراد الاسرة السعودية الماجدة ، او من سائر أفراد الشعب . ــ أنهوا كل تلك الاحداث الملتوية بمبايعة فيصل العظيم ملكا شرعيا على البلاد .

والفضل في تحقيق هذه المبايعة الشرعية المباركة يرجع الى الروح الشعبية الفذه الرائعة التي يتمتع بها عن جدارة واستحقاق جلالة الملك فيصل بما قدم ويقدم لشعبه من خدمات جليلة المنافع عظيمة القيم .

الا أنها شعبية ما عرف تاريخ الجزيرة العربية الحديث أمثالها .. انها شعبية ما تألفت من المادة الخاسرة ، ولا من الشهوات العمياء ولا من أجل المنافع الشخصية والوجاهة ، وانما تألفت لاعزاز كلمة الله ، والتقيد بأصول وحيه المنزل ، ومحاربة بدع المنحرفين والمستهترين .. وتألفت لتعود بالامة الى شمائل سلفها الصالح :

في ايمانهم واخلاصهم .

في عفافهم ونزاهتهم .

في بطولاتهم وتضحياتهم .

في عبقرياتهم ومعارفهم .

في قوتهم وسلطانهم .

في بعدهم عن خرافات الوثنية والاشراك .

وان هذه الروح الشعبية السلفية الاجتماعية الجديدة ، لم تجيء بها الصدف او الأطماع . بل جاءت بها حتمية المثل الاسلامية العليا الصاعدة ، ومثاليات الخلق العربي المتفوق الحافل بالبطولات النادرة والتضحيات العجيبة وروائع الاحداث الانسانية **العالية .**

وكان مطلع فجرها الثاني في نفس مطلع فجرها الاول . ــ جزيرة العرب ــ لان المواثيق التي ابرمت بين الداعية الاسلامي الكبير العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامير البطل محمد بن سعود في القرن الثاني عشر الهجري كانت في جزيرة العرب .

ومن ذلك اليوم والروح الشعبية العربية السلفية تزداد قوة الى قوة ، واتساعا الى اتساع ، وعلما الى علم ، واخلاصا الى اخلاص ، ونضالا الى نضال ، وتضحية الى

تضحية. على رغم ما كان يعتورها من تراخ أحيانا حتى جاء الملك عبد العزيز آل سعود فدعم أسسها ، واثبت قواعدها ، وشد أواصرها بين أبناء الجزيـرة بالعنف واللين والتفاهم والتعاون والتناصح .

وصفـوة القـول : ان هـذه الـروح الشعبيـة السلفيـة ذات الامجاد والذكريات التاريخية الخالدة هي التي دفعت جماهير شعبنا وفي مقدمتهم رجال الحل والعقد الى مبايعة فيصل العظيم ملكا بالاجماع الذي هو أبدا رمز وحدتها وقوتها واستمساكها باسلامها على نهج سلفها الصالح .

وانك تلمس هذه الروح الاسلامية الشعبية الاصيلة في صك المبايعة لمس اليد. واليك نصه كما أذيع في كل الصحف . « قد تم اجماع رجال الحـل والعقد فـي الوطن السعودي من الامراء السعوديين والعلماء والوجهاء . في يوم الاثنين السابـع والعشرين من شهر جمادى الثانية ١٣٨٤ هـ على مبايعة ولي العهد فيصل بـن عبـد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملكا للبلاد واماما للمسلمين » .

وكان اول من بايع سماحة المفتي الاكبر ورئيس القضاة الشيخ محمد بن ابراهيم وهو يقول : « قد بايعتك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى اقامة العدل والانصاف والقيام بأمور الامامة وأدائها على أوجهها الشرعية المعروفـة المعلومة وفقك الله لما يحبه ويرضاه » .

وقد أجاب صاحب الجلالة الملك فيصل : « وأنا من جانبي ابايعكم على اتبـاع كتاب الله وسنة رسوله وتحكيم الشريعة وان اكون خادما للشرع في جميع الامور وأن اسعى بكل ما في امكاني لحفظ كيان هذا البلد وخدمة مواطنيه فيما يصلح دينهـم ودنياهم . وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا واياكم هداة مهتدين عاملين بالخير متقين الشر متبعين كتاب الله وسنة رسوله ، وان يجعلنا من أنصار دينه ، وان يوفقنا دائما لاتباع ما يجب علينا من خدمة ديننا وأمتنا ووطننا ، انه على ما يشاء قديـر ، والله سبحانه وتعالى يوفق الجميع للخير » .

وعلى ذلك بايع رجال الحل والعقد وسائر افراد الشعب ، فهذا الاجماع فـي المبايعة من كل فرد من أفراد الاسرة السعودية الماجدة ومن كل فرد من العلماء والوجهاء وسائر أبناء الشعب ، وهذه السيول المتدفقة من البرقيات وهذه الرسائل التي تنهمل الى الديوان الملكي وهذه الافراح التي تقام في كل ناحية من نواحي المملكة آية المثالية الشعبية الفذة الرائعة التي المحت الى تاريخها الحديث في جزيرة العرب .

وقد جاء في صك المبايعة لفظة الامامة . والامامة هي الرئاسة العليا في الاسلام، ولا تكون شرعية مطاعة في جيل من الاجيال ولا في شعب من الشعوب الا بمثل هذا الاجماع العتيد في المبايعة ، والا بمثل هذا التأييد الحاشد في كل مكان ، لان الله عز وجل يقول : « وأمرهم شورى بينهم » ، وهل سمعت ان شعبا من شعوب العالـم

القديم او الحديث قام بمثل هذا التشاور الجماعي لدى اسناد الرئاسة العليا الى من يصطفى ويختار ؟ ! انه تشاور الزامي اجماعي عجيب ، انه تشاور جاء اثر تشاور، وقد أعقب آخر وآخر . وكانوا في كل مرة يعرضون على فيصل الرئاسة العليا في الامة وهو يرفض ويرفض ، ولولا أن الامر وصل الى الاصرار والعناد من رجال الحل والعقد وفي مقدمتهم امراء البيت المالك ورجال العلم ومن خلفهم جماهير الشعب لاستمر يرفض ويرفض كعادته .

اذن فما شاهدناه أو سمعنا به مما أقيم من معالم الزينات والافراح ما هو الا يسير في جنب ما سيقام من زينات وافراح وخطب تلقى وقصائد تنشد وكلمات تنشر حين يعتمد ان يرد غدا او بعد غد تهاني الوفود في شتى أطراف المملكة . وهل هذا كله الا مظهر من مظاهر الشعبية الجماعية العامة الخالدة .

واني في النهاية أضرع الى الله عز وجل ان يعيد للاسلام في جزيرة العرب سلطان دولة الخلفاء الراشدين والائمة الهادين المهديين التي كانت للأجداد على يد جلالة الملك فيصل العظيم ، وان تعم الثقافة الاسلامية السلفية الصافية الخالدة كل فرد من أفراد الشعب ليكون جنديا مخلصا مسلحا بالعلم قادرا على النضال وكسب الانتصار على كل حال..

القناعة والظروف القاسية

شرود الفكر والقلق والاحزان انما يثيرها في نفس الانسان تبرمه بما يكتنفه من ظروف قاسية، والتبرم بالظروف لا يحل القضية بل يعقدها، وتعقيدها يضاعف في النفس القلق وشرود الفكر والاحزان . اذن فالتبرم بالظروف القاسية البغيضة اذا استمر أفضى بنا الى الهلع فالانحلال فالموت ....

والدهر قلب ، والظروف القاسية لا بد ان ترحل ان قريبا أو بعيدا ، ولا أحد يفلت من أغلالها وأوجاعها لان الانسان عرضة لان يغنى ويفقر، ويفرح ويحزن، وينجح ويخنق ، ويعز ويذل ، ويمرض ويموت ...

ثق بما شئت من زمانك الا صحبة العيش او جوار السلامة

فمن لا يقف حيال ما يكره موقف الحازم الصابر الذي يلبث لكل حالة لبوسها يصب بالانهيار العصبي وفي ذلك الطامه الكبرى .

ولئن قوبل ببعض العذر من يجزع لدى المام الملمة لاول وهلة ما دام يعود الى نفسه ويتدارك آلامه ، فلن يجد من يعذره من يجزع من الفقر وهو غني ، ومن الاخفاق وهو ناجح ، ومن الداء وهو صحيح ، ومن شبح الموت ... لان جزعا كهذا لا يمكن ان يصدر من عاقل . ومن بلي بمثل هذا الجزع المقلوب ، فقد حكم على نفسه بالموت . ولا رجاء في تطبيبه بحكمة الحكماء وموعظة الواعظين اذا هو لم يغير تصوره المرعب المقلوب لاعمال الحياة في نفسه ، وآثار مشاركة الاحياء له ومشاعره لهم وأحاسيسه بهم . فكم من طالب انتحر لاخفاقه مرة او مرتين في مدرسته ، وآخر عاش وساد الحياة والاحياء وقد أخفق مرارا ، ولكنه صبر وثابر على أعماله بغير ملل وانخذال وبغير اكتراث لسخرية الساخرين وهزء الهازئين ...

وهكذا تهزم الحياة القاسية من ينهزم من وجهها العبوس القمطرير ، وتنهزم هي في وجه المغامر الجلود الذي يسعد بتجهمها سعادته بطلاقتها .

وقد ورد في الحكم السائرة : « اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون » . وليس القصد أن تريد ما يكون وانت منطو على البلابل والحسرة، لان الارادة اذا لم تكن فعالة تستطيع ان تحجب سطوة الظروف القاسية عن نفسك ، وتجعل رضاك حافز اعمال منتجة ذات سلوان وشوق ، كانت واهية لا قيمة لوجودها ولا فائدة منها ...

وما دامت الظروف التي تحيط بنا تقرض علينا واقائع حياتنا : سواء اكانت حسنة ام سيئة فواجبنا حين تسوء انقهرها بالصبر والجلد والعمل الدائب النافع، والا ندعها تقهرنا بالخمول والتبلد والاحزان واضطراب الفكر ، فان قهرتنا تداولتنا الاسواء تباعا حتى نرى كل سوء نتركه سعادة بالنسبة لما ننتقل اليه من سوء افدح ..

كم حالة بكيت منها فلما صرت في غيرها بكيت عليها

وبعض الكاتبين يرون ان الرضى بما هو كائن قناعة ، ويرون القناعة تخلفا عن الطموح المنتج الذي هو فريضة اجتماعية ...

والواقع ان البعد شاسع بين الرضى الذي يشحذ العزائم لتزول الظروف القاسية التي تجمد الانتقال الى الاحسن ، وبين القناعة التي هي خمول بليد يحول دون التفكير في الانتقال الى الاحسن ، على ن القناعة بمفهومها الاخلاقي الاسلامي هي رضا بالواقع مصحوبا بالعمل الدائب للانتقا لمن السيء الى الحسن فالاحسن .

واما القناعة بمعنى الخمول العاجز المنحط فليست بداخلة في جملة الاخلاق الاسلامية ولا هي من قبيلها . وعلى كل حال فواجبك ان تشغل ظروفك القاسية بالعمل المنتج الدائب صابرا راضيا لتزيح عن نفسك سوء العاقبة ، وبذلك تكون قد برهنت انك ذو ارادة حية وعقلية ناضجة تفقه كنه الحياة التي تمثل نفسها فيك بأفراحها واتراحها وسعادتها وشقائها .

واحذر ان تترك ظروفك القاسية تتحكم في ارادتك بهواجسها وبلابلها ، فان فعلت افقدتك صحتك ، وحملتك على السخط وعدم احتمال الحياة بغير جدوى .

وهنا تنفق لهلاكك — وانت لا تدري — ما تملك من امكانيات يمكن ان تنفق لنجاتك . فكن ابن الحياة ، ابن الحكمة والوعي والرشد ، واحذر أن توطد نفسك ان يكون كل همها ان توغل في شهواتها الزائلة ، فانها لا بد ان تلقاك بآلامها الباقية، ولكن وطد نفسك ان تقعد مقعد الصياد الحكيم الذي يقال انه كان يمتلك خاتم الملك

الاسطوري فلما عوتب على جهوده المتواصلة في أعماله واخلاصه لها وتبتله من أجلها قال: « ويحكم هو هذا الذي تخالونه خاتم الملك الاسطوري الذي امتلكه، واني اصطاد لنفسي وللخير لا لجمع الحيتان وتكاثفها والتمتع بالنظر اليها لغير فائدة . وحرفة الصيد للنفس وللخير سعادة ، وحرفة الصيد للجميع والكنز شقاء !! »

وأشقى الاشقياء من يطمع أن تكون الحياة كلها نصيبه وينسى انه هو بكل ذاته نصيب لدودة حقيرة .

فاكس ما تنسجه من خيوط الحياة لابناء امتك المحرومين سرابيل تقيهم لفحة الظروف القاسية ، فتطيب ذكراك لديهم وتخلد من قبل أن تلتف الخيوط حول عنقك وتتكاثف طبقة فوق طبقة ، وفي النهاية تطبق على انفاسك فتأتي عليها وانت تصرخ في أعماق نفسك مستنجدا ولا سامع ولا منجد .

وربما يظن بعض المطالعين أن العمل لتحصيل المال ينافي القناعة ، وهذا الظن دخيل على مثل الاسلام العليا ، فكم شاهدنا من عامل مجد في تحصيل الاموال وبناء الامجاد والقناعة تلبسه من مفرق رأسه الى أخمص قدميه ، فلا ينفق على نفسه سوى اليسير أما الكثير فانه ينفقه في سبيل الخير. وكم من خامل وكم من بليد الطبع كل عمله الحملة على العاملين المجدين واتهامهم بالنفاق والكفر والطمع في الدنيا فاذا رأيته او سمعته عن بعد قلت: « هنا القناعة ، الزهد العفاف ، ولكن لو تيسر لك أن تطلع على ما خفي عنك من أعماله لرأيت نفسا شريرة طامعة ولكنها خاملة بليدة لا سبيل لها للخلاص من التأنيب والمؤاخذة الا الحملة على العاملين المجدين. اذن فالمظاهر البراقة خداعة ولا تدل على حقائق الاخلاق ابدا .

والآن يمكننا أن ندرك أن القناعة بمعناها الاخلاقي الاسلامي لا تمنع من العمل الجاهدة لتحصيل الاموال، وعبادة الله به يكون بأنفاقه في سبيل رضاه ولكن القناعة الحقيقية تمنع من عبادة ذات المال او كنزه أو انفاقه في سبيل الشهوات .

مكانة الأجوبة بنصوص الوحي اليقيني

يعتقد المثقفون الشطريون (١) ان الاجوبة بنصوص الوحي عما يطرح من الاسئلة حول العقائد وسواها لا تقنع الا المؤمنين بتلك النصوص . وهذا الاعتقاد غاية في السخافة لان براهين نصوص الوحي ـ ان كانت يقينية (٢) فهي اقوى من اية براهين علمية اخرى قوة الاسد حيال الارنبة .

والسبب في ذلك : أن براهين الوحي مصدرها علم الله النفسي ، والبراهين العلمية مصدرها المعارف الالهية التي كونت بموجبها الاكوان . وما اكتشفت منها لا يبلغ قطرة الغيث بالنسبة للجج المحيطات .

ولا مرية أن المعارف التي يكتشفها العلماء من دراسة تكوين الاكوان ، تسير صاعدة متطورة وفي سيرها الصاعد المتطور عبر العصور والاجيال تغيير وتبديل وزيادة ونقصان ، فتجد ما يكون في جيل حقيقة علمية يكون في آخر خرافة ، وما يكون خرافة يصبح هو الحقيقة العلمية اليقينية .

وهذا هو عين المسطور في معارف الاجيال منذ ابعد الازمان الى اليوم .

ومرجع ذلك : أن علم الانسان محدود ، ومهما غزر وتقدم وتطور فانه يظل محدودا حيال ما تشتمل عليه الكائنات من المعارف التي لا نهاية لها . اذن فعلم

---

(١) الشطريون هم انصاف المتعلمين .

(٢) فرز نصوص الوحي اليقيني من الوحي الظني عليه المدار في تعين واقع العلم اليقيني في مسائل الايمان .

الانسان المقتبس من معارف الكائنات ناقص ، والعلم الناقص لا يعطي عين الحقيقة في كـل شيء .

أما علم الوحي المنزل فان مصدره مباشرة علمالله النفسي المحيط بكل مـا كان ويكون وما لم يكن .

وهل يعقل ان الله الذي خلق العوالم وصورها وقدر لها أعمارها واعمالهـا ومواطنها في هذا الفضاء ، ان لا يكون علمه عين الحقيقة وان لا يكون شاملا لكل مـا كان ويكون ، وما لم يكن. اذ ذلو تخلف عنشيء من ذلك لانقلب علم الله جهلا، وهذا مستحيل قطعا في حقه تعالى :

« الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

ومن هنا كانت نصوص الوحي اليقيني هي الاصل المعتمد عليه لدى تحرير المعرفة من الظنون والاوهام والاساطير . ونصوص العلوم الكونية التييكتشفها الانسان هي الفرع، والفرعمهما علا وزها فانه لا يسمو سمو الاصل.. فيالوثوق به والاستمداد منه ، والتثقيف به ، في كل ما يجد من الاسئلة عن حقائق الاشياء .

وهذا الذي يحدوني حيناذكر البراهين العلمية الحديثة للمثقفين في العلم (١) اردفها بنصوص الوحي اليقيني لتطمئن قلوبهم أنهم أمام الواقع اليقيني ... علمـا ووحيا، ولكي يؤمنوا انهم حيال كلام الله الازلي المعجز، وانه وحده هو الحجة الدامغة في الواقع الوجودي الاصيل ، الذي لا يتغير ، ولا يتبدل ولكي لؤمنوا ان الدلائـل العلمية لن تبلغ قوة الواقع الاصيل الوجودي من الحق والصدق وطمأنينة اليقين الا اذا اذعنت وخشعت وركعت حيال محراب وحي الله المعجز ، وهي تتلو ضارعة :

« ... سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم » ..

واني أضرب مثلا لاقامة الحجة من وحي الله اليقيني المعجز ..

هب انك تقيم الحجة لسائل عن كنه ذات الخالق العظيم جل وعز ، وهب انك قلت له : ان كنه ذات الخالـق لا تماثـل الـذوات الماديـة ولا سواهـا ، ولا تتصف بصفاتهما .. ثم تلوت عليه نصوص وحي الله اليقينية المحكمة برهانا على قولك ...

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد »

---

(١) العلم متى بلغ القمة أصبح صاحبه يدرك الحقائق في آيات الله حالا اذا تليت عليه ...

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ٤٢ ـ ١١
« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » ٢٠ ـ ١١٠
« وجعلوا له من عبادة جزءا ، ان الانسان لكفور مبين » ٤٣ ـ ١٥
« أفمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون » ١٦ ـ ١٧
« وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » ٣٩ ـ ٦٧
«ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله. ان الله واسع عليم» ٢ ـ ١١٥
« ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون » ٣ ـ ٨٠
« ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » ٥٠ ـ ٣٨
« انما امره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون » ٦٣ ـ ٨٢
« هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » ٥٧ ـ ٣
« والله من ورائهم محيط » ٨٥ ـ ٢٠
« الا أنهم في مرية من لقاء ربهم ، الا انه بكل شيء محيط » ٤١ ـ ٥٤
« وجعلوا له شركاء الجن ، وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون (١٠٠) بديع السموات والارض ، انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (١٠١) ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء ، فاعبدوه وهو على كل شيء قدير » ٦ ـ ١٠٢ .
« ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم » ١٦ ـ ٦٠
« الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » ٢ ـ ٢٥٥
« ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » ٧ ـ ١٧٩ .
« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ٦ ـ ١٠٣
« وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » ١٢ ـ ١٠٦
« ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم .. » ٧ ـ ١٩٤
« واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون » ٢ ـ ٥٥

وهنا بعد تلاوة نصوص وحي اليقيني تستطيع أن تفهم مكانة السائل من المعارف الحديثة .

فان كان من المتعمقين فيها ، علم يقينا انه أمام كلام الخالق العظيم الذي يعلم

وحده حقيقة ذاته وصفاته ، وان خلقه لا يعلمون منها الا ما أعلمهم في آياته .

والذي يجعله يعلم ذلك يقينا هو عمق المعارف الحديثة التي احاط بها . وسلف بسط الدلائل التي تحدث بها المتعمقون في المعارف الحديثة في الكلمات التي نشرتها.

ونهاية ما يجب أن تستوعبه من هذه الابحاث أن نص الوحي اليقيني المحكم هو البرهان العلمي الاكيد الصادق الذي يكشف عين الواقع الحق في كل الاسئلة التي تجد حول حقائق العوالم .

وان ما اكتشفه العلماء ويكتشفونه على مدى الاجيال من معارف الكائنات لن تكون دلائل علمية قطعية تثبت عين الواقع الا اذا جاءت موافقة لنصوص الوحي اليقيني الحكم ...

والمعارف الحديثة المبنية عن التجارب والمشاهدة تكشف لكل دارس ان الكائنات سواء أكانت كائنات المادة أو كائنات الطاقة ، هي صنع محكم دقيق رائع رائع .

وتكشف انها ـ بما تشتمل عليه من العجائب وما تأتيه منها دائما ـ محال أن يكون كل ذلك من عمل الصدف ، وأن الصدف هي التي جعلتها تصنع نفسها بنفسها طاقات ومواد كليات واجزاء على ما هي عليه ...

واخيرا قل يا أخي معي :

« قل فلله الحجة البالغة ، ولو شاء لهداكم أجمعين » ٦ ـ ١٤٩

اعجوبة المستقبل

كانت طائرتنا ضخمة جدا ، وكانت تطير بالاشعاع الذري ، وكانت تطير وفق رغباتنا . فاذا شئنا سخرت بأمواج الكهرباء ، وألوت بها واردفتها، واذا أحببنا تهادت مترفقة حتى بالنسيم العليل . أو طارت مرنقة فوق لجج الرياح .

ولا أذكر أنه تيسر لي أن انعزل في حجرة خاصة ، في طائرة قبل هذه الطائرة أنها سفينة كبرى ترسو وتمخر في آفاق السماء كأنها بعض السدم .

انها ذا تطبقات كثيرة ، وذات قاعات وردهات ، وذات مكاتب ومقاه ، وغرف رحبة وضئية .

انها أكبر سفن الهواء فيما يبدو لي، وما رأيتني في يوم مترنحا ازدهاء في مقعد كمقعدي في حجرة هذه الطائرة .

من هذا المقعد شاهدت المدن والقرى والارياف تمر بي من السحاب ، وشاهدت الانهار تجري وهي تتلوى هنا وهناك طافية مشعة كأنها الهالات .

من هذا المقعد شاهدت المدن والقرى والارياف تمر بي مر السحاب، وشاهدت وتختفي الوانها على أطراف السحب . ورأيت الكواكب السيارة تبتلع أفلاكها ابتلاعا خاطفا . كابتلاع التماسيح حيات البحر .

ومن عجائب هذه الطائرة الذرية أن راكبيها يشاهدون ما يشاهدون ، وهم غارقون في مقاعدهم .

وكم يدهشون اذا أصاخوا الى ملاحي هذه الطائرة ، وهم يتجاذبون أطراف الاحاديث العادية باللغة العربية الفصحى!! بكل سلاسة وعذوبة بل كم تكون دهشتهم اشد ، اذا ألفوا أحاديثهم عامرة بالوعي الاجتماعي السامي ، وكبير الاماني المهذبة، وكريم الادب والظرف وصادق المودة وخالية من رعونة الغرائز المشبوهة المنفلتة ولغوها الآثم . وهذرها المنحط . حقا أنهم غرس خير بلاد العالم ـ الجزيرة العربية ـ التي أنزل فيها خاتم الكتب السماوية ـ القرآن المجيد ـ أنهم عرب أبطال كرام بررة، يملأون قلوب الافراد والجماعات معارف وايمانا واخلاقا كريمة في كل عصر ، يملأونها بما يقتبسون من ينبوع القرآن المجيد الذي أنزله الله في جزيرتهم : لتظل مقدسة محجوجة ، وليظلوا هم أئمة حرية وهدى ، وقادة علم وتهذيب الى يوم القيامة .

★ ★ ★

ما هذه المدينة الكبرى التي تمر بها طائرتنا ؟ وما هذا القصر الشامخ الذي لم أر له مثيلا من قبل ، حتى في عوالم القصص ؟

سؤال صرحته على ملامح شاب ، وأنا في جولة مختصرة على بعض شرفات الطائرة حيال حجرتي .

هذه « مدينة السعودية » وهذا القصر الفخم الذي تراه يتوسطها ما هو بقصر ولكنه المطار ، وطائرتنا ستهبط اليه قبل أن توافي مأرب . ولم تكن سوى لحظة انصراف الملاح ودخولي الى حجرتي حتى كانت الطائرة هبطت اليه عموديا . وأذنت الهواتف ركاب « السعودية » بالخروج ، وكنت احسب اني سأخرج الى سطح المطار، فاذا أبواب كثيرة تفتح ، واذا كل باب يفضي الى قاعة كبيرة . وكان عدد الذين هبطوا القاعات يزيد على عشرة آلاف ، اختص كل ألف بحجرة .

وتخيلت اني في ملتقى الافلاك وأنا في هذا المطار لوفرة الصاعدات الهابطات من الطائرات والمناطيد الحديثة الذرية المختلفة الالوان والاشكال والاحجام ...

وانطلقت بنا الحجرات كأنها القذائف من فوق المنائر ، تقصد دائرة الامن العام وما استقرت الا على سطحها . وكانت هذه الدائرة ، تتوسط ساحة كبرى ينصب اليها مائة شارع ولكل منها منفذ خاص من الدائرة يفضي منه اليها بطريقة السير المجوف في وسط عالم مزدان بأطياف الناظر الذرية ، وتلقانا موظفو الامن بأعمالهم المفروضة بسرعة وبشاشة دون ان يمسنا منهم اي ازعاج . وقبل ان نغادر دائرة الامن اسلموا كل واحد منا دليل المدينة المصور ومرقمة وهي آلة صغيرة جدا اخترعها أحد علماء السعودية لتهدي الى المواطن المقصودة بالارقام المتقابلة ، وقد اتخذت لنفسي نزلا موافقا لمزاجي اتم الموافقة بمعونة الدليل والمرقمة .

★ ★ ★

كانت شرفات النزل الشمالية تمتد على نهر غامر تزدحم على شاطئيه الغابات المترامية ، والحدائق الغناء والمروج الفسيحة الخضراء ، فآثرته لقربه من الضواحي .

استقبلني وكلاء النزل ، وكرموا وفادتي عليهم وارشدوني الى قاعة الاستعلام وقدموا الي مصوره الذري ، فشاهدت كل شيء في النزل ماثلا امامي ، وعرفت الحجرات والاجنحة الخالية ، وعرفت أجور كل ما احتاجه من مرافق ، وتخيرت لنفسي غرفة شمالية فنية مفكرة وادعة ، فأمني اليها أحد الوصفاء . فألفيتها عين ما شاهدتها ماثلة في صفحات المصور الذري ، وكانت مشتملة على كل أسباب الفكر والفن والوداعة .

وجدت محولة ومرصدة ومزولة على رفرف من بلور صاف موشى بورود ملونة من الاحجار الكريمة، فكنت أحول جو الغرفة من الحرارة الى درجة من البرودة، ومن البرودة الى درجة ما من الحرارة ، حسب ما يوائم صحتي بالمحول . وكنت ارصد الجوين الخارجي والداخلي بالمرصد وكنت أشاهد وأسمع كل ما اشتهي من محافل العلم ، وما يحدث فيها بالمزولة ، وكان الى جانب تلك الآلات الثلاث منضدتان من العاج الملون، احداهما معدة لجلب الوان الاغذية الجسدية والثانية لجلب افانين الاغذية الروحية من كتب ومجلات وصحف بواسطة أرقام الهاتف .

★ ★ ★

قضيت الليلة الاولى في حجرتي ايثارا للاستجمام ، وفراغ البال بعد رحلتي المزدحمة ومع ذلك فقد استطعت ان أشارك الاهلين كثيرا من حفلاتهم ، لان مفاتيح المزولة كن طوع يدي ونمت على خير حال .

وما استيقظت الا على اذان مسجد الفندق وفيه أديت فريضة الفجر ، مع جم غفير من أهله ، ثم انطلقت الى حجرتي فتناولت قدحا من سائل خلاصات الخضر .

وكنت أقطن الطابق السادس والاربعين ، وكانت المرانق تملأ فضاء الشوارع كل جملة منها محاذية لشرفة من شرفات الفندق .

قرعت الجرس ، وأنا على شرفة غرفتي فدنت مني مرنقة فركبتها ، وتجولت بي في البلدة وضواحيها سماء وأرضا سبع ساعات متواليات ، ولن انسى أن نعماءها كانت خالية من جهد المسير ، وكبد الفكر كانت كنز سعادة محضة .

ولم لا تكون كذلك ؟ أو ما أبصرت من احتفاء حكومة «السعودية» بالعلم وأهله لم أبصر أسمى منه من حكومات العواصم الاخرى ، انها شيدت مختبراتها الذرية الكبرى للعلماء مساعديهم وتلاميذهم الى جنب صروح ناعمة زاهية ، أعدتها لسكنهم

في افضل ما يلمسون للطبيعة من مجال مطمئنة ملهمة ، وعلى امتع ما يحسون من امان سامية مسحورة .

وما شاهدته من مبتكرات المخترعات والمعارف، أكد لي ان الوثبات التقدمية في جزيرتنا العربية فذة في نوعها . وما شاهدته من منتجاتها الكثيرة الرائعة ـ التي جاءت كمدهشات فكاهات السمر ـ أكد لي أن كل ذلك كان نتيجة حاسمة ليد الحكومة الوابلة السخاء على العلم واهله .

وآية ذلك غرائب المصنوعات العربية الحديثة التي ملأت الدنيا بهجة وهناء ورضاء وخزائن الدولة والافراد ثراء ووفرا .

ولقد شببت في وارف ظلال الجامعات، وتمرست مناهجها وأساليبها الثقافية، وبلوت اختباراتها ومختبراتها العلمية. وتتبعت وثباتها التقدمية في النهوض الحضاري والتوجيه التربوي الراقي ، والتهذيب الخلقي الكريم ، ولكن ما رأيته في جامعات (السعودية) يفوق كل ذلك بمراحل شاسعة ، يكفي ان نعلم أن الدراسة فيها عملية واقعية صرفة ومصورة بأطياف الذرة وان اقل عناصرها الكلام .

دعيت الى زيارة جامعة (عبد العزيز) التي هي احدث جامعات الدنيا ، واكبر جامعات الدنيا على الاطلاق . وتفقدتها كلية كلية، فكانت كل كلية تحمل اسم قائد من قواد النهضة الحديثة في جزيرة العرب تخليدا لجهاده وجهوده في سبيل تدعيمها .

ومن جمال حظي ان زيارتي لكلية طبقات الارض صادفت أهبة نزول المهابط الى اعماق الارض للبحث والدرس وكنت في رفقة العلامة ربيعة الهذلي كبير علماء طبقات الارض . وكان يصحبه خمسة مساعدين ، وخمسون تلميذا ورغب الي أن الازمه في يومه ، وكانت هذه رغبتي فلبيت .

★ ★ ★

دخلت المهبطة في صحبة علامتنا الهذلي ، وجلس الى مختبره ، واجلسني بجانبه وما هي الا رفة طرف حتى كانت المهبطة تهوي بنا الى اعماق الارض هوى الصاعقة وقد خلتها ستنفذ بنا من باطن الارض الى العالم الجديد في أمريكا ، لو لم يحجزها في منتصف الارض تدافع لجج غازية ملتهبة ذات الوان تربو على الخمسة، تؤز أزيزا داويا كزمجرة الضراغم ، حسبت الطائرة سقطت في بركان ، وحاولت ان اظهر التجلد فما استطعت ، وعلى الرغم مني رجوته أن يخرجني من هذا البركان ...

ضحك وضغط زرا حياله ، وهو يقول ـ : « لا تخف ما هذا ببركان، هذا عنصر « الطريز » المكتشف حديثا . وهو عنصر بخاري لماع ملون ، وما خلته لهبا ان هو

الا بريقة ومتى انفصل مر باطن الارض استحال الى سائل لزج قابل للتصلب وهو في عصرنا العنصر الاول في عالم التجميل ، فان من هباته فتنة الاشراق الاخاذ الدائم وسحر الالوان الثابتة في الابنية والنسائج ، بل وفي الصنائع كافة .

وعادت المهبطة تهوي بنا هويا خاطفا سريعا كأنها رجم أفلت من مدارها مندفعة الى هوة عميقة سوداء ، ما لها من قرار ، فصحت يا للهول !! نحن نغرق في يم من النفط النفط النجاة النجاة .

فقال الاستاذ بكل رفق

... لا عتب عليك ، أنت تمارس الهبوط الى أعماق الارض ، ولولا ذلك لابقيتك حتى تشاهد عجائب ما نكتشفه من معادن وعناصر جديدة ، وغرائب ما نستخرجه منها من معارف! ما كانت تخطر على بال احد من العلماء الى عهد قريب وانصرف عني الى قواريره ، فافرغ من اهداهن في جام علاجا ، وقدمه الي متلطفا وقال :

اجرع هذا فانه يريح أعصابك المرهقة ، ويزحزح عنك غائلة هواجسها المرعبة ، ويجعل مقامك بيننا كاحدنا .

صدق . ما جرعت علاجا ، وانما جرعت البهجة والشوكة ووعي الجنان وكم شكرت له علاجه فلولاه لما استطعت ان أظل حتى أشاهد ما شاهدت من ألوان الدراسات العلمية الحديثة في مختلف طبقات الارض السحيقة على وهج الاشعاع الذري وقوى أعماله السحرية .

ولما انطلقت من أعماق الارض شرعت اتجول في مختبرات الكليـة وقاعاتهـا المختلفة . ولما دخلت قاعة المعادن والعناصر الجديدة التي اكتشفها علمـاء العرب ، هزتني عاصفة من الاعتزاز والفخر وقال لي وهو يطوف بي ويشرح ما يلفت نظري اليه من آيات المعارف » ان في « هذه القاعـة مختبرا خاصا لكـل عنصر او معـدن اكتشفناه في أعماق طبقات هذا الربع العامر من جزيرتنا ، وان قيـم مقدراتهـا الاقتصادية لا تكاد ... » فقاطعته مستغربا ـ « ما علمت ان في جزيرتنا سوى الربع الخالـي » .

هز العلامة الهذلي كتفي وهو يقول: «لعلك من اهل الكهف» لقد كان ربعا خاليا منذ خمسمائة عام أما اليوم فهو العامر كما تراه ...

واستيقظت وانا أقول : « أما اليوم فهو الربع العامر » .

الصوم وتربية الارادة

... طرح المجلة جانبا ، والتفت الي يقول :

ــ اني أجد معارفي في مطلع الشمس اشراقا ، وأعمالي في مغربها ظلاما. وكنت أحسبني وحدي في هذا السلوك البغيض دون الرفاق ، فلما تتبعت سلوكهم عن كثب ما الفيتهم أصلح حالا مني ، وكل امتيازي اني ضقت بوهن ارادتي وانهم لم يضيقوا ...

عرفت عامرا السبيعي لا يسمح لنفسه بالراحة حتى يحل ما يعترضها من عقد، مستعينا بأصدقائه ممن يعرف فيهم اصالة الرأي، فهو لا ينفك يتعمق في نفسه درسا ونظرا .

وعرفته عبقريا يهوى الرشد ويجد في طلبه بحزم ، لذلك قلت له :

خلاصك في يديك .

ــ : يا عجبا خلاصي في يدي ولا ادري .!! لا بد أن يكون لدي كثير من العلم والفكر .

ــ : لا ... لا ، العلم والفكر كالنيرين يضيئان الطريق الجيدة والرديئة، ولكنهما لا يملكان السلطان الذي يقسرك على سلوك هذه الطريق دون تلك ، وكثيرهما وقليلهما سواء .

ــ : اذن فالذي يملك ذلك الوجدان والضمير يقدر على السلوك .

ــ : لا يا صاحبي ، الوجدان كالمربي الضعيف الذي يملك أن يأمر بالخير وينهى

عن الشر ولكنه لا يملك السلطة التنفيذية التي تجعل توجيهه عمليـا . والضميـر كالحارس النزق الذي يهمد لدى مباشرة الجناية ، فاذا انتهى الجاني من جنايته ثارت ثائرته عليه زجرا وتأنيبا ..

ـ : ويحي اية قوى للشر هذه التي تكمن في نفسي .!!

ـ : لعلك لا تدري مدى قوة الغرائز وعواصفها المدمرة وعاداتها المستحكمة، هذه الغرائز التي تهيمن على أعمالنا ، وتطرحها وراء ما نعلم انه خير لنا ، واسلم عاقبة..

اخذت عامرا دهشة ، وقال كالمحتج :

ـ : الغرائز فطرية في الانسان والحيوان معا ، فما بالها في الحيوان لا تعصف بأمياله ، وتوجهها الى هلاكه ؟..

ـ : لا تنس ان الغرائز في الحيوان مقيدة بالوعي المبهم المرتبط بادراك الجزئيات ادراكا حسيا مقدرا بموازين المصلحة التي تقتضيها خصائص حياته المحددة بالزمان والمكان ...

وأما الغرائز في الانسان فانها مطلقة ولا يقسرها على الاخذ بهذه الافعـال وان كانت نافعة، وهجر تلك وأن كانت ضارة ، وعيه الفكري الصالح لشمول معرفته بكل الجزئيات والكليات النافعة والضارة وبعلاقتهما بالزمان والمكان والوجـود والعـدم ، وبنتائجهما ، في الافراد والجماعات .

ومن هذا الاطلاق يجيء انحلال الاخلاق في الانسان، وانحرافه عن الرشد حتى يصبح عبرة المعتبرين هذا لو صح ان الغرائز العارمـة الهوجاء تجعـل فـي الدنيـا معتبرين ..

ـ : يا ليت شعري !!! كيف ينخدع الانسان بغروره فيدفعه الى امتطاء غرائزه الهوجاء العمياء النهمة على مزلق من جحيم كيف يركب الارزاء غير مكترث بالعواقب المرعبة ولا معتبر بمن دمروا أمام عينيه ، له المدمرين السابقين ...

ـ لا تعجب لان الكبت ـ اي الكف والاكتفاء المقدرين وفق مصلحة حياة الانسان باعتباره فردا في جماعة مصالحها متشابكة ـ غير داخل ضمن مطالب غرائزه .

ويرجع انحلاله الخلقي في العالم الى فقد هذا الكبت الغريزي المصلحي ، ومن هنا ندرك أن الانسان لن يستقيم على هدى الاصلاح العام ما دام هذا الانحلال الخلقي مسيطرا على أعمال غرائزه .

ـ لماذا لا تقوم غريزة التدين مقام السلطة التنفيذية في كبت الغرائز ما دام الانسان يمتاز بها وبذلك تنحل عقدة السلوك الضار نفسيا .

ـ : نعم يمتاز الانسان بغريزة التدين كما يمتاز بغريزة حب التملك .

وعنفوان غريزة التدين لا يظهر الا لدى المخاوف والنوازل والامراض المخيفة، ولها زاويتها الخاصة في أعماق المجموعة النفسية ، وهي لا تملك السلطة التنفيذية التي تكبت بها طغيان سواها من الغرائز.. ولو كانت تملك ذلك لما رأينا انسانا واحدا بلغ الرشد يقاوم الرشد مع علمه بخطر المسؤوليات .

ـ : لعل السلطة التنفيذية تكون في اتباع المثل العليا التي أوحاها الله لاسعاد الانسانية جمعاء .

ـ : ويحك وهل يكون اتباع بدون ساطة تنفيذية !!

ـ : يا لله ، فاين نجد السلطة التنفيذية التي تسيطر على مملكة النفس الانسانية !!!

ـ : تجدها في المملكة الانسانية نفسها ، تجدها في الارادة القوية ومثل الوحي العليا ، ستظل اطيافا فتانة ترطب الالسنة بالكلمات الخيرية الندية، وتشرق اقداسها في مظاهر العبادات . اما اتجاهات الاعمال فانها تبقى مشددة بيد الغرائز الطاعية الهوجاء من وراء وراء . حتى تسيطر عليها سلطة الارادة ، ومتى سيطرت فحينئذ تشاهد الانسان الانسان .

ـ : ما دام للارادة كل هذا السلطان الخير النافع فلماذا لا تعتني الجماعات والافراد بتربية الارادة ؟

ـ : انما يعنى بتربية الارادة المريدون، والمريدون في الدنيا قلائل، وهم الرسل والانبياء وصادقو اتباعهم ، والمصلحون والحكماء . ويجوز أن تكون في انفس الناس جميعا ، اذا هم عفوا بتربيتها ...

ـ : ـ ما أعظم البشرى !!! هل هذا ممكن ؟

ـ : أجل ممكن ، لان الارادة ككل كائنات مملكة النفس تشتد وتقوى بالتعهد والرعاية وتضمحل وتذوي الاستهانة .

ـ يخيل الي أن تربية الارادة تقوم على عسر واجهاد حتى تصبح قوية قادرة على

كبت طغيان الغرائز والتضييق عليها والتحكم في اتجاهاتها وقسرها على كل نافع وصرفها عن كل ضار ... ولولا انها تقوم على عسر واجهاد لما اهملها اكثر الناس .

ـ لا عسر ولا اجهاد اذا اتينا الامور من ابوابها ، وكم من حكمة في المثل القائل « لا يفل الحديد الا الحديد » ، فتربية الارادة اذا قصدت من طريق الغرائز أعطتنا السلطة القادرة على الكبت والتوجيه . فهذا وحي الله جاء لتربية الارادة وتنميتها ورعايتها من طريق ـ الكبت الغريزي ـ الصوم .

ولا ريب أن الشخص الذي يدخل في قدرته بالممارسة العملية أن يكبت بعض غرائزه في بعض الوقت فانه يصبح قادرا على ان يكبت كل غرائز في كل الوقت اذا اقتضت مصلحته ذلك .

ومن هنا يمكنك أن تدرك : أن الصوم الذي فرضه الله في الاديان كافة هو المثل الاعلى فيتربية الارادة، كما يمكنك ان تدرك: أن انحلال الاخلاق لا يعود الى قلة في العلم أو جهل بالدين أوهن في التفكير أو عدم تبصر بعواقب الاعمال الضارة وانما يعود الى ضعف الارادة اذا لم يكن الى موتها .. والنتيجة اذا اردنا أن ننتخب لمملكة الغرائز رئيسا أعلى تتوفر فيه جميع أسبابالقوة والحكمة والوعي ليسير بأهل هذه المملكة الى الانسجام والسعادة والتعادل والحياة السامية الشريفة القادرة فلن نجد سوى الارادة المنشأة في حجر الصوم .

بالصوم تحيا الارادة وتقوى، وعلىحياتها وقوتها يقوم سلطانها ويمتد نفوذها، وبغير ذلك السلطان والنفوذ محال انيملك الانسان توجيه غرائزه الىالاصلاح المنتظر. وقد أشار رسول الله صلىالله عليه وسلم في نصحه للشباب، الى أثر الصوم البليغ في تربية الارادة وامدادها بالقوة التي تستطيع بها أن تكبت الغرائز وتهيمن عليها لدى اهتياجها فقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

فالصوم كابت لغريزة الميل الجنسي ، وفي الكبت تربية للارادة . ومفهوم أن الصوم لا يكون كابتا الا بسلطة الارادة التي ينميها لتقوى على الكبت .

ـ كنت أظن أن الصوم يورث ضعفا فيالجسد لا صحة، وضعف الجسد يتبعه ضعف غريزة الميل الجنسي .

ـ : لا .. لا ، ان المقصود من الصوم صحة جسد الانسان ونفسه بما يقدمه لهما من الانسجام ، ولو كان المقصود اضعاف الجسد لما طلب الى المريض ان يصوم عن أكثر الطعام حتى يشفى فاذا ما كان الصوم ضارا لم يأمر به لا الطب ولا الدين « ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر » .

وكم من علل قاتلة منشأها الاكثار من تناول الطعام والشراب ، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » .

وان حسم هاتيك العلل متوقف على الصوم ، وكذلك الوقاية من الوقوع فيه ، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوموا تصحوا » .

وعلى كل حال فالمقصود من الصوم: هو تنمية الارادة، واعطاؤه السلطان القادر على كبت الغرائز . ومتى ملك الانسان الارادة بهذا المعنى ملك صحة جسده ونفسه.

فالصوم : امساك ارادي عن تناول الطعام والشراب وسوى ذلك من المفطرات لتخفيف اخطار المخزونات من رواسب الطعام والشراب في مجاري الدم ، ولتخفيف وزن الجسد ولضبط الميل الجنسي ، ويعتبر الالمام به مفسدا للصوم ، وموجبا للمؤاخذة العنيفة « الكفارة الكبرى » الفارضة صوم شهرين متتابعين او اطعام ستين مسكينا بدل اليوم الواحد من فريضة شهر الصوم الذي انحلت فيه الارادة .

ومظهر انحلال الارادة اعتبره الامام الشافعي وأحمد في الجماع، واعتبره مالك وابو حنيفة في الجماع وفي الطعام والشراب ، وهذا خلاف كريم . كل المقصود منه تحقيق تربية الارادة لانها هي من غايات فريضة الصوم الاساسية .



سؤال وجواب حول المحكم والمتشابه

السـؤال :

« .... قرأت في الصفحات الاولى من سوة آل عمران هـذه الآيـة الكريمة: « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلـم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الالباب » ٧ ــ آل عمران .

قرأتها وتأملتها طويلا ، وقلت في نفسي على أثر ذلك : « ما دام تأويل الالفاظ المتشابهة هو الطريق الذي يسلكه الزائغون لاشاعة الفتنة بيـن المؤمنين ، ومـا دام التأويل الذي هو عين الواقع المقصود علمه مقصور على الله عز وجـل . ومـا دام الراسخون في العلم يسلمون امره الى الله ، ويكتفون بالايمان به فحسب . فلمـاذا أنزل الله الالفاظ المتشابهة في كتب وحيه : التوراة والانجيل والقرآن . اضف الى ذلك ان الله يعلم بكل تأكيد : أن تأويل الآيات المتشابهة هو الطريق المعبد الذي ينفذ منه المؤولون المارقون الى اشاعة الفتنة والزيغ والضلال في المحيط الديني .

لذلك أرجو أن تكشف لي تأويل الآية السابقة مع بيان الوجه الصحيح الذي كان من أجله نزول الالفاظ المتشابهة في الوحي ... ولا تنس أن تشير الـى الطريقـة المعتمدة التي بها نتقي خطر التأويل الزائغ للآيات المتشابهة ...

(ع٠ع٠ى٠)

الجـــواب :

« تأويل الآية الكريمة :

« هو الذي انزل عليك » : اي ان الله الخالق العظيم الحق، هو الذي أنزل عليك، وهذا اعلان منه سبحانه وتعالى لعباده انه هو المنزل وحده ، والمقصود من هـذا الاعــلان الانتباه والتيقظ لما أنزل ، والتقيد بتوجيهاته والتزام حدوده ...

« الكتاب » : اي القرآن المجيد .

« منه آيات محكمات » : مفردها آية محكمة . مصدرها الاحكام أي الاتقان والتوثيق. واحكام الآية اي توضيح مدلولها وتوثيقه من احتمال التأويل والاشتباه حتى يستحيل عليه الانصراف به الى سوى المراد الاصيل لله عز وجل، ومن هنا كانت الآية المحكمة كالحصن الحصين لا يدخلها اختلاف في مدلولها ولا تباين أبدا ، وبها تحصن الآيات المتشابهة من العبث بها والافساد والزيغ وهذا ملموس في قوله تعالى :

« هن أم الكتا ب» : أي الاصل المعتمد عليه في تعين المقصود من الآيات المتشابهة. وما سميت الوالدة أما الا لانها الاصل الذي يرجع اليه الولد . وهذا شأ ن الآيــات المتشابهة ذات المعاني الملتبسة بالنسبة لاصلها : الآيات المحكمة .

« واخر متشابهات » : اي وغير الآيات المحكمة الآيات المتشابهات مصدرها التشابــه، الذي هو مرجعه وهو قليل . لذلك كان عدم حمل المتشابه على المحكم هو خروج عن اشبه كل واحد منهما الاخر وكان مثله . وخلاصة المقصود أن الله يفهمنا ان دلائـــل آيات القرآن قسمان :

١ ـ محكم : وهو الاصل المعتبر في تعين واقع المراد بالذات ، ومعظـم آيــات القرآن محكمة .

٢ ـ متشابه : وهو المشتمل على الالتباس الذي لا يرفع الا بحمله على المحكـم الذي هو مرجعه وهو قليل . لذلك كان عدم حمل المتشابه على المحكم هو خروج عن واقع العلم بالنسبة لمراد الله منه ، ولا يتعمد ذلك الا الزائغون المارقون . كما أفهمنا ذلك رب العالمين .

« فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنــة وابتغاء تاويلــه » :

زيغ : اي ميل عن واقع العلم الذي هو عين هدى الله . والزائغون المارقون لا يتقيدون في تعيين دلائل الآيات المتشابهة بدلائل الآيات المحكمة . كما وجهنا الله لكشف المراد منها . بل يتبعون مرادات غير مقصودة قطعا ، ويصرون على أنها عين واقعها المقصود،

ويبتغون من وراء ذلك امرين آثمين :

١ ـ افساد العقيدة الصحية .

٢ ـ اشاعة الفتنة بين المؤمنين ، اي اضلالهم عن التأويل الحق الذي هو عين مراد الله عز وجل ، او قريبا منه ...

« وما يعلم تأويله الا الله » : التأويل هو التفسير والشرح لما خفي من معاني الآيات او التبس ، ولما كان علم الله عاما وشاملا لكل ما كان ويكون كما هو في عين الواقع ونفس الامر . كان التأويل الصحيح المشتمل على كشف المعاني الخفية المرادة لله في ألفاظ الآيات المتشابهة هي من خصائص علمه الأزلي القديم . لان كل ما كان ويكون من هذه العوالم المترامية في الآفاق من صغير أو كبير ، طاقة أو مادة مدركة أو غير مدركة، سواء ما علمنا منها أو نعلم ، أن هي الا مخلوقة ومدبرة ومسيرة وفق علم الله الازلي القديم . لذلك كانت المدلولات الصحية في الآيات المتشابهة هي من خصائص علم الله جل وعز وحده ...

« والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » : راسخون: مفردها راسخ، اسم فاعل لرسخ بمعنى ثبت ، يقولون : جبل راسخ أي ثابت ، والعالم الراسخ هو المتمكن من العلم .. أضف الى ذلك أن « في » تدل على الظرفية ، فيكون المقصود : راسخين في صميم العلم ، ومن كانوا كذلك لا تميل بهم الاهواء والفتن ، ولا يزلزلهم شيء من الوان الباطل والجهل والدس ومفاتن الدنيا عن تأييد واقع العلم ، وتقرير حقائقه والدعوة له بايمان وصدق . والعلماء الراسخون في كل عصر ومصر هم المعتمدون في حل المعضلات وكشف حقائق الاشياء لدى الالتباس والسمو بالانسانية الى مثلها العليا ، وتصفية العلم من الظنون والاوهام والحشو والدس ... وهم وحدهم القادرون على دراسة القرآن المجيد دراسة علمية عميقة واعية تميز بين : المحكم المتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيد ، وتكشف لهم ما تكشف من اعجاز تجعلهم بكل طمأنينة وخشوع يقولون :

« يقولون آمنا به كل من عند ربنا » : يقولون ذلك على مدى تطور الحضارات والعلم التابع لمدى تداول الازمان وتعاقب الحقب ويعين ذلك مدلول الفعل المضارع الزمني المنصوص عليه في الآية « يقولون » ، ثم ان الواو المذكور في قوله تعالى: والراسخون في العلم ، اعجازا أي اعجاز ، لانها تشتمل على مدلولين أصيلين :

١ ـ على الاستئناف ، ودلالة الاستئناف تحضر علم المتشابه في الله عز وجل.

٢ ـ وعلى العطف ، ودلالة العطف تشرك الراسخين في العلم في بعض العلم بالمتشابه ، وفي بسط هذين المدلولين ينكشف الاعجاز المشار اليه . آمنا به كل من عند ربنا ، هذا قول الراسخين في العلم وهو يعين أنهم يتذوقون اعجاز القرآن الماثل في المحكم والمتشابه ، طبعا وفي سواهما ـ ويستوعبون منه ما يستوعبون وفق امكانيات معارفهم ، انظر كيف يرددون خاشعين : « آمنا به كل من عند ربنا » .

لعلك تقول : كل المؤمنين يرددون ذلك خاشعين مذعنين ، فهل يلزم أنهم استوعبوا علم اعجاز المحكم والمتشابه؟ لا يا أخي لا... ولكن تذكر أننا نتحدث عن الراسخين في العلم أتمم الآية الكريمة ان شئت يتضح لك ذلك .

« وما يذكر الا اولو الالباب » : واذا كان الذين يتذكرون ويتعظون هم اولو الالباب، واللب صفوة الفكر وخلاصته ، اذن فالذين يملكون صفوة الفكر وخلاصته بامتياز نابه هم الذين يرددون بفهم ووعي وعلم هذا القول : « آمنا به كل من عند ربنا .. » الى جانب الخشوع الاتعاظ الذي يكون لسائر المؤمنين ...

اعجـــاز الآيـــة

يجد الدارس المتعمق في أهداف الآية الكريمة اعجازا أي اعجاز ... اذ هـي حصن مكين من العلم :

١ ـ حصن مكين من العلم يصون دلائل الوحي التقدمية من عبث النحل واباطيلها ودس المارقين ومكايدهم .

٢ ـ حصن مكين من العلم تتساقط دونه أعاصير الالحاد خاسرة واهية ويهوي عرام الشهوات المنطلقة والاهواء التي تأتي بها مظاهر الحضارة الفتانة الخداعة .

٣ ـ حصن مكين من العلم يحفظ الوحي نديا مزدهرا تحفه الملائكة بأنوار الجلال وترعاه عين الله برعاية الحفظ السرمدي محرابه الحق وسدنته الصدق ومن حولـه في كل عصر ومصر الراسخون في العلم يكشفون الحقائق ويناضلون ويجاهـدون .

واعجاز الآية كشف للعلماء كافة الاسباب الاساسية التي أدخلت الوثنيـة والاشراك في صميم الاديان السماوية ، وحسبنا ما تحمل الآية من كبير الاعجاز أنها هي القاعدة العلمية الوحيدة التي تصد هجمات المنافقين الخداعين والجاهلين المخرفين، وانها المنار الشاهق الذي يرد التائهين الضالين الى حقائق مراد الله في وحيه . اجل حسبنا ذلك .

ومن اعجاز الآية انبثقت هذه الابحاث ...

١ ـ طرق استعمال الالفاظ اللغوية .

٢ ـ حقائق الالفاظ المتشابهة .

٣ ـ اقسام الالفاظ المتشابهة .

والله ولي التوفيـق ...

طرق استعمال الالفاظ اللغوية

لا بد لكل دارس أي كتاب سماوي في اي لغة من التعرف الى طرق استعمال الفاظ اللغة الاساسية تعرفا علميا دقيقا ، واذا لم يفعل ذلك شرد به الدرس عن واقع

المعاني الاصيلة المرادة من الالفاظ وتردي فيمهاوي الزيغ والضلالبعلم أو بغير علم.
ومهما يكن فهذا الموضوع أساسي للاهتداء الى عين الواقع العلمي المقصود من استعمال الالفاظ للبعد عن الزيغ والضلال ..

والقاعدة الاصيلة في استعمال الالفاظ اللغوية أن يكون فيعين ما وضعت له، فاذا قالوا : هذا أسد مقبل فانهم يقصدون مدلوله اللغوي الحقيقي : « الحيوان المفترس » ولا يعدلون عنه الى سواه الا في امرين متعارفين ..

الاول : اذا كان المعنى القائم في نفس المتكلم ، له لفظ لغوي موضوع ولكن يراه دونه: واقعا أو ادعاء فيعمد الى لفظ لغوي آخر ، يحمل هذا المعنى بالصورة الكاملة التي يتخيلها : فلا يقول مثلا : رأيت بطلا يحمل الراية بيد ، ويضرب الاعداء بالاخرى .. لانه يرى لفظة بطل لا تؤدي معنى الشجاعة التي تملأ نفسه فيعدل عنها ويقول : رأيت أسدا يحمل الراية بيد ويضرب الاعداء بالاخرى ... وقد يكون المقصود العكس، حسب تفنن البلغاء في تطبيق الكلام على مقتضى الحال والسمو به في أعلى طبقات البيان . وهذا النوع من استعمال الالفاظ في مدلولات الفاظ اخرى اسمى واشمل وأدق في التعبير لدى المتكلم تجده مبسوطا في كتب البلاغة .

الثاني : اطلاق اللفظ اللغويالمعروف معناه الوضعي فيقواميس اللغة علىمعنىغيبي ليس له لفظ خاص به في أصل اللغة ، ولاجل تقريب المقصود الى فكر المطالع نفرض أن رواد الفضاء وافوا المريخ وجالوا فيه للتعرف الى كائناته، وهب أنهمشاهدوا كائنا ينمو في بعض مناطقه ،اصفى من البلور لا يحجب ما وراءه من مادة أو طاقة ، اي وجدوه يبث في كيان الطاقة اشعاعا من ذراته المادية البراقة فتظهر ، وهب انهم حاولوا أن يطلقوا عليه لفظة لغوية مما نستعمل في لغتنا لتدل عليه وتعرفنا به بعد عودتهم الينا فأسموه بلورا تقريبا لاذهاننا ، الا ترى حقيقة ما شاهدوا سوى حقيقة البلور المقصود من اللفظ اللغوي في أصل الوضع ، لعلك تقول في الامكان وضع لفظة لغوية جديدة خاصة بها ككل المكتشفات الحديثة ، أو نجعل لفظة بلور تدل على تلك الحقيقة من قبيل الاشتراك اللفظي كما تدل على حقيقة البلور .

وكل ذلك في الامكان وبالحري حين نعرف حقيقة المدلول الذي من أجله كان اطلاق اللفظ عليه ، ولو نظريا كلفظة ملاك وشيطان وما شاكل ذلك .

ولكن حديثنا عن الحقائق الغيبية التي وردت في الوحي وليس لها في اللغة من الفاظ خاصة مطلقة عليها بتاتا . لا من قبيل الوضع الخاص ، ولا من قبيل الاشتراك: كلفظة اليد والقدم والعين ، وسائر الالفاظ التي جاءت في الوحي مطلقة على حقائق غيبية .

هذا هو الاصل في ظهور الالفاظ المتشابهة في الوحي ، ومن الجهل بهذا الاصل جاء الانحراف والعبث بحقائق الوحي ، وانبثقت النحل الهدامة، ونسبت الخرافات والترهات الى وحي الله، وتسربت الى كثير من المؤلفات الاسلامية وسواها في الشرق والغرب ، والمخفي أعظم .

ولا بد لمن يمارس فقه آيات القرآن المجيد وهدفه واقع العلم أن يصحب ابن عباس في قوله لانه كان من الراسخين في العلم ، وكان ترجمان القرآن رضوان الله عليهما : « تأويل القرآن على اربعة أوجه :

١ ــ تأويل لا يسمع أحد جهله .

٢ ــ تأويل تعرفه العرب بألسنتها .

٣ ــ تأويل يعلمه العلماء .

٤ ــ تأويل لا يعلمه الا الله .

وهذا هو المتشابه المتعلق بذات الله وصفاته كما يمر بك بيانه ، وجهل حقائق هذا القسم هو عين العلم وليس في تأويل آيات الصفات علم كما تخيل ذلك بعضهم بل هو من باب الظن والظن غير العلم قطعا ...

أقسام الالفاظ المتشابهة

تنقسم الالفاظ المتشابهة الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول :

الالفاظ المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله كقوله تعالى : « قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ، أستكبرت أم كنت من العالين » ٣٨ ــ ٧٦ .

وهذا القسم تستحيل الاحاطة بكنه حقائقه : لان جميع التصورات المدركة من مادية أو معنوية انما هي منبثقة عن العوالم المحدثة ذاتها، فهي أطيافها المنعكسة عنها، وذات الله وصفاته حتما سواها لان المخلوقات غير خالقها، والمصنوعات سوى صانعها، وهذا مشاهد عيانا وهو واقع العلم ، ونصوص الوحي القطعية اكدته :

« ليس كمثله شيء وهو السميع العلم »

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

« يعلم ما بين أيديهم ، وما خلفهم ، ولا يحيطون به علما » . ٢٠ ــ ١١١

« الا أنهم في مرية من لقاء ربهم ، الا أنه بكل شيء محيط » ٤١ ــ ٥٤

« والله من ورائهم محيط » ٨٥ ــ ٢٠

« ولله ما في السموات وما في الارض ، وكا نالله بكل شيء محيطا » ٤ ــ ١٢٧

« فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم » ٢ ــ ١١٥

« الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل » ٣٩ ــ ٦٣

« انما الله اله واحد سبحانه » .

« وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون (٦ ــ ١٠٠) بديع السموات والارض ، انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم (٦ ــ ١٠١) ذلكم الله ربكم لا اله الا هو . خالق

كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٣) لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار . وهو اللطيف الخبير » ٦ ــ ١٠٤ .
« واذا قلتم يا موسى لن نؤمن حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون» ٢ ــ ٥٦
« وما قدروا الله حق قدرة والارض جميعا قبضته يوم القيامة . والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » ٣٩ ــ ٦٨ .
هذا القسم يقتضي أن تكون الواو التي في قوله تعالى « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا .. » واو الاستئناف ، والاستئناف يقصر علم حقائق الآيات المتشابهة التي وردت في ذات الله وصفاته ، على الله وحده ... وهذا هو الواقع ودلالة الاستئناف التي تحملها الواو المذكورة فيالآية هي من الاعجاز بمكان..

القسم الثانـي :

الالفاظ المتعلقة بحقائق عوالم الآخرة ــ مثل قوله تعالى : «يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب » ٤٣ ــ ٧١ وقوله : « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ،وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى .. » ٤٧ ــ ١٥ وقوله : « واصحاب اليمين ما أصحاب اليمين (٢٧) في سدر مخضود (٢٨) وطلع منضود (٢٩) وظل ممدود (٣٠) وماء مسكوب» ٥٦ ــ ٣١ .
أجل أن الاحاطة بحقائق هذه الآيات المتشابهات في هذا القسم ولو كانت غير ما نعرف من الحقائق المطلقة عليها في عالمنا هذا ..
ومن الرعونة والسطحية تساؤل بعضهم : « هل ماء الجنة مركب من أوكسجين وهايدروجين وهل يقطر من بحار هناك بواسطة السحب » . ويحه اما يكفي أن يعلم ان الماء هو الماء وأن كانت حقيقة ماء العالم الثاني فوق تصوراتنا الآن . لان لكل عالم حقائقه الخاصة به .
ولكي لا نظن ما ظنه بعض السطحيين : ان هناك أبقارا أمثال الجبال لبنها الذي يجري أنهارا وأن هناك نحلا في حجم الفيلة يشتار منها العسل الذي يجري صافيا في أنهار الجنة ، أجل لكي لا نظن ذلك الظن الواهي السقيم افهمنا الله جل وعز في النصوص المحكمة ان عوالم الآخرة أعلى وأجل . وأن عقولنا الآن لا تستطيع ان تستوعبها . واليك بعض النصوص المحكمة التي وردت في هذا القسم :
« واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا » ٧٦ ــ ٢١
« ادخلوها بسلام ، ذلك يوم الخلود » ٥٠ ــ ٣٤
« وأتوا به متشابها » ٢ ــ ٢٥
« فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون » ٣٢ ــ ١٧
« نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون » ٥٦ ــ ٦٤
ويشرح المعاني المقصورة المحكمة في هذه الآيات الكريمة التي وردت حول عالم

النعيم ـ الجنة ـ ما ذكره ابن كثير في الجزء الثاني صفحة ٤٦٠ وهو « قال البخاري في قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين » قال : « وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال الله تعالى : « اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .. »

ولولا جهل انصاف المتعلمين بالآيات المحكمة التي وردت حول عالم التعليم لما سمعت تلك الخرافات المضحكة التي يرويها مؤلف بدائع الزهور ونزهة المجالس والمعراج الملصق بابن عباس ، وسوى ذلك . وعلى كل حال فهذا القسم من الآيات المتشابهة يمكن الاطلاع على حقائق مدلولاتها ، اذا تفضل الله بذلك . وقد اطلع الله عليها صاحب الرسالة في ليلة الاسراء والمعراج . وفي يوم القيامة يرى الناس ذلك عين اليقين . والخلاصة ان لكل عالم أوضاعه وخصائصه وكل ما يتصل به .

هذاالامام مسلم أخرج عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون : يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس ، طعامهم جشاء ورشحهم كرشح المسك » . والمقصود أن وضعهم في العالم الثاني غير وضعهم في عالمنا هذا ..

ويكفي أن نقول ما كان يقوله بن عباس: ليس في الدنيا مما في الجنةالا الاسماء « كما أخرجه البيهقي عنه ، ولكن ذات حقائقه كائنة أعلى وأسمى من حقائق الدنيا موائمة لذلك العالم الذي هو الملك الكبير عند الله كما اخبرنا الله عنه ، فكيف يكون عند المخلوق وهذا ظاهر من مجموع النصوص اليقينية كل الظهور ..

القسم الثالث :

يتناول هذا القسم الآيات المتشابهة التي وردت في بعض المسائل الخاصة . ويدخل الاهتداء الى حقيقته بالعلم الراسخ والنظر الدقيق .. كقوله تعالى : « واضله الله على علم .. »وهذا غير قوله تعالى : « واضلهم السامري » لان اضلال السامري قبيح ، واضلال الله حسن ووجه الحسن فيه خفي جدا لانه من الالفاظ المتشابهة.

والوجه في بيانه هو العلم بأن الله هو الفعال وحده ، وهو الخالق لكل شيء ذاتا وعملا وقد اقتضت ارادة الله أن يمنح الانسان حرية التصرف الارادي في أعماله المختارة ، ولا ريب ان منح حرية التصرف الارادي تقتضي ان الانسان لا يجبر على الايمان اذا اختار الكفر ، ولا يعاقب في الدنيا للاجبار على الايمان ، وفي ذلك يقول الله عز وجل : « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » . ويقول : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ويقول « ان الينا ايابهم ثم أن علينا حسابهم » .

فكل هذه الآيات المحكمة تميط اللثام عن وجه الحسن الخفي في نسبة الاضلال الى الله عز وجل .

ووجه الحسن في ذلك انالآيات نوهت بامتياز الانسان فيتصرفه الارادي الحر. ويظهر ذلك جليا فيتركه يؤثر الضلال على الهدى. وهذا ظاهر فيقوله تعالى «أضله الله على علم » اي منحه حرية التصرف الارادي على علم. وذكر الله في الآية أضله ولم

يذكر هداه لان ظهور حرية التصرف الارادي المختار في اضله اوضح منه في هداه ولانه معلوم من النصوص المحكمة ان الله لا يضل أحدا بمعنى الافساد .

وهكذا نجد وجه الحسن في نسبة الاضلال الى الله خفيا جدا ، وكشفه يفتقر الى دراسة النصوص المحكمة المتقدمة، ولا ريب أنمنح حرية التصرف الارادي يقتضي ان الانسان اذا اختار الضلال على الهدى فلا يجبر بالسيف على تركه . وهذا القسم يدخل في جعل الواو التي في قوله تعالى : «والراسخون في العلم . .» واو العطف . . كالقسم الثاني .

ولو كان الجبر على الايمان مفروض في الوحي اليقيني لما أنزل الله الاحكام المتعلقة بأهل الكتاب . واخذت منهم ضريبة الجزية . ولولا رفض كفرة المشركين في جزيرة العرب أن يكون لرسول الله وصحبه دين ، كما هم لهم دين : « لكم دينكم ولي دين » ولولا أنهم أهلمنبع الوحي وأهل قاعدته، ولولا أنهم قاوموا رسولالله وصحبه بأبشع ألوان الاذى وبالسيف ، ولولا أنهم ليسوا على دين كتابي لما اجبروا على الايمان أو مغادرة البلاد فيمدة أقصاها أربعة أشهر بعد عام حجة الوداع ما لم تكن لهم معاهدة سابقة يعاملون بموجبها، وقل مثل ذلك في المرتدين الذين حاولوا القضاء علىالدعوة وهي لا تزال في مهدها ، وانت اذا انعمت النظر في المرتد ألفيته أخطر هدام للجماعة وعقيدتها وأخطر متآمر على حريتها وبقائها. . وتذكر وفد عضل والقارة الذين قالوا: « يا رسول الله ان فينا اسلاما وخيرا فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرؤوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام » وكيف انقلبوا شر انقلاب وفتكوا بالذين ارسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غدرا . . .

أما ما تجد في الوحي من نصوص القتال، فما هو الا للدفاع عن العقيدة المشروع في كل الدساتير العلمية الى نهاية العالم . .

وفي هذا الدفاع نزل قوله تعالى :

« . . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله » ٢٢ — ٤١ .

هذا بعض البسط لكشف الحسن الخفي في قوله تعالى « واضله الله على علم» ولو حاولت استقصاءه لاستنفد مجلدا ضخما . . » .

حقائق الالفاظ المتشابهة

تقدم أن مدلولات الالفاظ المتشابهة الوضعية المتعارفة غير مقصودة قطعا لان حقيقة الكيف الغيبي المراد لله عز وجل مجهول وان كان المعنى الوضعي للفظ معلوم. فنحن حين نتلو قول الله عز وجل : « يد الله فوق أيديهم » . . ندرك بموجب الآيات المحكمة التي هي الاصل والمرجع : ان اليد الجارحة الموضوع لها اللفظ اللغوي ليست هي المقصودة . . . وتأويل المتكلمين : ان المقصود « القدرة » لا يطمئن له الضمير العلمي اذ قد يكون المقصود حقيقة أخرى يريدها الله ، اطلق عليها لفظة اليد لتقريب مفهومها الى عقولنا . ولو اراد الله القدرة بالذات حسب تأويلهم لذكرها .

أما زعم المجسمة أن المقصود : اليد الجارحة بالذات كما ذكر ذلك ابن حزم عنهم فانه الزيغ في التأويل الذي حذرنا الله منه . والوجه الحق الصحيح في كشف حقيقة المتشابه هو ما كان عليه سلف هذه الامة الصالح اذ كانوا يعلمون : ان المدلول اللغوي الموضوع له اللفظ غير مقصود، وأن حقيقة الكيف المقصود من اللفظ مجهول والسبب المانع من الاخذ بالمدلول اللغوي الموضوع له اللفظ هو المحكم من النصوص التي تمنع ذلك ...

جاء في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي جزء ٢ ص ٧٨ عن ام سلمة رضوان الله عليها أنها سئلت عن الاستواء فقالت : « الاستواء معلوم والكيف مجهول، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة » . وحين سئل أمام دار الهجرة مالك بن انس بعد ذلك عن الآية ذاتها أجاب بما اجابت به أم سلمة رضوان الله عليها ... لذلك اعتبر ابن عباس: ان الآيات المحكمة ناسخة لمدلولات الالفاظ المتشابهة اللغوية المتعارفة كما رواه عنه علي بن ابن طلحة (١) .

والخلاصة أن السلف ذكروا: أن مدلولات الالفاظ المتشابهة اللغوية المعروفة غير مقصودة بالذات ، ولا يعينون لها مدلولات اخرى من أنفسهم بل يثبتونها ولا يعطلون، ويؤمنون بها ويفوضون العلم بحقائقها الى الله عز وجل ، ويكتفون بالايمان بها وبمدلولاتها الغيبية ، صنيعهم هذا منتهى الاخلاص والحكمة والوعي العلمي الراسخ .. لان حقائق ذات الله وصفاته لا يحيط بها الفكر الانساني المحدود واحاطته بها مستحيلة .

وما ذكرناه في لفظة اليد نذكره في كل الالفاظ الموضوعة في اللغة لجوارح الانسان كالوجه والعين والقدم ، والموضوعة لاعماله كالقيام والقعود والصعود والنزول والمرض والنسيان وسوى ذلك ... اذا وردت مضافة الى الله عز وجل في الوحي الثابت اليقيني ، وهذا ما أجاب به امام دار الهجرة مالك ابن انس حين سأله بعضهم عن معنى الاستواء في قوله تعالى (١) : « الرحمن على العرش استوى » ٢٠ – ٤٢.

وهكذا نجد أن مأتى التشابه في الوحي هو من هذا النوع الثاني في استعمال الالفاظ . والوحي محال أن يخلو من الحديث عن حقائق الغيب (٢) وكيف يخلو وهو لا بد ان يتحدث عن ذات الله وصفاته وعوالم الآخرة وكل ما يتصل بذلك بما نستعمل من الفاظ ، وهذا هو السبب المقتضي ورود الالفاظ المتشابهة في الوحي ، والجهل بهذه الحقيقة هو الذي يدعو الى التساؤل عن السبب في نزول الآيات المتشابهات، على ان الله لم يترك الالفاظ المتشابهة هملا في يد الزائغين المارقين بحكم حرية الاختيار بل

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٤٤ وعلى هذا الوجه في الامساك عن التاويل درج السلف كافة.

(١) راجع ابن كثير ، الجزء الثاني ، سورة الاعراف .

(٢) يقول الله في الايمان بالغيب : « الذين يؤمنون بالغيب .. » ٢ – ٢ والايمان بالغيب معجزة العلم الصاعد ، فلولا ايمان العلماء بما غاب من العوالم لما جدوا في اكتشاف ما هو مخفي منها في مجاهل الابعاد ويكتشفون في كل جيل منها ما يكتشفون.. ويظل ما يجهلون هو الاكثر. « وما يعلم جنود ربك الا هو .. » .

حصنها بالجمل المحكمة، وافهمنا أنها الاصل والمرجع في تقرير مقصود الوحي، واقرب مثل نقدمه لهذا التحصين المكين للالفاظ المتشابهة وهي بلا ريب تحدث التباسا ، فاذا قلت مثلا : رأيت عينا فان السامع يقع في حيرة ولا يدري هل تقصد : عين ماء او عين انسان أو جاسوسا، فاذا اردفت الجملة الاولى بقولك : « يجوس خلال الديار ويسترق السمع ويترصد أعمال الناس » .. ادركنا أن المقصود الجاسوس ، فتكون الجملة الثانية بالنسبة للاولى بمثابة الجملة المحكمة التي تذكر لرفع التباس الجملة المتشابهة .

وفيما يأتي أعرض بعض الآيات المتشابهة والآيات المحكمة التي ترفع الالتباس عنها وتحضنها .. انظر هذه بعض الآيات المتشابهة التي وردت عن الله تقدس وتنزه:

١ ــ « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » ٥ ــ ٦٥

٢ ــ « الرحمن على العرش استوى » ٢٠ ــ ٦

٣ ــ « وكان الله سميعا بصيرا » ٤ ــ ٥٧

٤ ــ « ان الله هو السميع البصير » ٤ ــ ١٣٣

٥ ــ « وكلم الله موسى تكليما » ٤ ــ ١٦٥

والیك بعض الآيات المحكمة التي هي الاصل والمرجع لمثل هذه الآيات المشتبهات:

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »

« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » .

« فأينما تولوا فثم وجه الله » .

« ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها . وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » ٧ ــ ١٧٩

« قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن أيما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » ١٧ ــ ١١١

« وجعلوا له من عبادة جزءا أن الانسان لكفور مبين » ٤٣ ــ ١٦ .

أجل ان الآيات المحكمة هي الاصل التي ترجع اليها الآيات المتشابهة ومعظم آيات القرآن محكمة ، والقليل منها هي المتشابهة ، لذلك قال الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن جزء ٢ ص ٦٨ : المتشابه لا يرجى بيانه ، والمحكم لا توقف معرفته على بيانه ... والآن نقول ما قاله الاستاذ الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن آل الشيخ في ص ٩٣ من رسالة : «شبهات والجواب عليها بكل ايمان وصدق وطمأنينة»: وليس بلازم على تسمية المخلوق حيا وسامعا ومبصرا وقادرا أنه يشبه صفات الله تعالى وتقديس، فالله حي دائم وسميع وبصير وقادر سمعا وبصرا وقدرة تليق بجلاله وعظمته لا نكيفها ولا نمثلها بصفاتنا بل أن من قواعد الدين وأصول العقيدة أن من شبه الله بخلقه فهو كافر . والذين يشبهون الله بالمخلوق هم فرقة المشبهة واكثر البشر القدماء من المشبهة حتى أن اليونان القدماء جعلوا الخالق العظيم انسانا أشقر اللون ذا عينين زرقاوين ، والزنوج القدماء جعلوه اسود افطس الانف ، وبعضهم نفى عنه الاعضاء السفلى والهنود القدماء أثبتوها وجعلوا الانجاس « السودرة » خلقوا منها،

« وما يؤمن من اكثرهم بالله الا وهم مشركون » والاشراك انواع والوان ، ولما يرفع من
« وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » والاشراك أنواع وألوان ، ولما يرفع من
الارض .

الخاتمة

الآن تم بحث المدلول الخاص ، لكل من المحكم والمتشابه وفق آية آل عمران المتقدمة . وهناك مدلولان شاملان لكل من المحكم والمتشابه في القرآن المجيد :

الاول : القرآن كله محكم :

يجد كل دارس للقرآن محكمة ومتشابهة معا انه في منتهى الاتقان والابداع والروعة والبيان . والقرآن المجيد بهذا المعنى العام كله محكم . وهذا حق لان ما تشتمل عليه آيات القرآن المتشابهة من الابداع والاتقان والاعجاز لا يقل عن المحكم في معناه الخاص في شيء . والله نص على ذلك بقوله :

« كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ١١ ـ ٢ .

الثاني : القرآن كله متشابه :

اذا أنعم الدارس نظره في كل آيات القرآن : محكمها ومتشابهها معا وجد بعضها يشبه بعضا في الفصاحة والجمال والاعجاز. وحينئذ يقول بكل طمأنينة وفخر واعجاب : القرآن كله متشابه في ذلك . وهذا حق والله اكده بقوله : « الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها » ..

وخاتمة المقال : ان هذين المدلولين : المحكم والمتشابه الشاملين لكل آيات القرآن لا يناقضان المدلول الاول الخاص لكل منهما المبسوط في هذه الكلمة .

والآن ارغب بالحاح الى علمائنا الابرار ان يخرجوا ـ للجيل الحديث ـ ما في مؤلفات سلفنا الصالح : من كنوز معارف القرآن ومن نهجوا نهجهم والتزموا خطاهم في مؤلفات دورية ومتتابعة . فاننا في عصر تفاقمت فيه شبهات الالحاد وأباطيلها الزائفة وتمكنت في كل مكان من زلزلة عقائد الناشئة الشادية التي لا تملك التمييز بين العلم والظن ، ولا بين النصيحة والمكيدة ، ولا بين الصدق والكذب .

زد أنها تفقد الزمن الوافر الذي يمكنها من المطالعة العميقة في مجلدات ضخام يكاد علماؤنا المتخصصون يعجزون عن استيعابها والاحاطة بكل ما تشتمل عليه . فالقرآن ـ والحمد لله ـ حجة الله الدامغة وآيته الكبرى، وهو القوة الهائلة التي تأتي على الالحاد والملحدين ، والباطل والمبطلين وتحيلهم الى رماد تافه تطأهم الاقدام الى يوم الورد المورود .

عقاب المرتدين

الارتداد انتقاض على الشريعة التي تقوم عليها دولة الاسلام .

والمنتقضون على الشرائع في كل دول العالم قديما وحديثا يجرمون بل نجد القوانين الحديثة تعطي الدولة الحق أن تعتبر المنتقضين مجرمين ولو جاءوا تائبين اذا لم يكن ثمة من عهد .

وكم نجد في التاريخ الحديث مرتدين سابقين عوقبوا بعد التوبة والتسليم بخلاف الشريعة الاسلامية فان العودة الى أحضانها تسقط المؤاخذة ، وهذا سمو في التشريع ليس فوقه سمو . واعلان العودة تكون بالاذان .

هذا الخليفة الاول سيدنا ابو بكر الصديق رضوان الله عليه يعلن جماعة المنتقضين المرتدين فيمنشورة العام ـ وهو أول منشور شرعي اسلامي، تعلنه الدولة الاسلامية في جزيرة العرب بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى :

« وأمرته ـ اي قائد الحملة ـ أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعيه الله ، فمن استجاب له واقر وكف وعمل صالحا قبل منه واعانه عليه ، ومن ابى أمرت أن يقاتله على ذلك ... » وتنفيذا لاحكام المنشور الاسلامي استقبل أبو بكر وقد بني حنيفة بكل ترحاب ومودة حين تابوا الى رشدهم بعد أن قاتلوا مرتدين مع مسليمة الكذاب .

وهذا طلحة الاسدي الذي ارتد وادعى النبوة والب القبائل ضد الدولة الاسلامية في فجرها ، واشعل حربا شعواء لهدمها يأتي الى المدينة المنورة بعد كل ذلك تائبا، ولا

يقبل من رئيس الدولة الاعلى سيدنا عمر عتابه له على اعماله الكافرة بل يسكنه بقوله: « يا امير المؤمنين ذلك من فتن الكفر الذي هدمه الاسلام كله فلا تعنيف علي ببعضه ».

ولا يزال الى اليوم المؤرخون تأخذهم الدهشة من جراء المشادة العلنية التي جرت بين كبار رجال الدولة الاسلامية في جزيرة العرب : سيدنا ابي بكر وسيدنا عمر وسيدنا خالد بن الوليد من جراء مقتل مالك بن نويرة خطأ لان ابا قتادة وبعض الجنود الذين امسكوا مالك بن نويرة وأتباعه سمعوا الأذان ، والاذان يكفي لاعلان التوبة ، ورفع العقوبة ، مع انه من المؤكد ان مالك بن نويرة انضم الى سجاح زاعمة النبوة هو وأتباعه .

وهل يعمل المرتدون الزنادقة في كل عصر الا على هدم الاسلام ودولته بشتى الاساليب !! وواضح أن الاسلام وحده تتمثل في شعب ثلاث :

١ ــ شعبة العقائد

٢ ــ شعبة التشريع

٣ ــ شعبة الاخلاق

ولا ريب ان الدولة في الاسلام تقوم على هذه الشعب الثلاث . فالانتقاض على اية شعبة منها يعتبر انتقاضا عليها كلها ، من أجل ذلك كان يستحق المنتقضون العقوبة .

وهل المتجسسون المترصدون الذين يخلقون الفرص الهدامة لاثارة الريب والفتن والنعرات الشعوبية الممزقة في المجتمع الاسلامي في كل عصر الا من هؤلاء المرتدين الآثمين الذين يلبسون اثواب الاسلام ولكنهم في أعماق انفسهم يضمرون هدمه .

وقد كشف الله سوء نواياهم وأعمالهم للمسلمين ليكونوا دائما على حذر وانتباه وبحث ومراقبة خشية ان يؤخذوا على غرة .

اجل كشف الله للمسلمين ذلك حين تآمر فريق من اهل الكتاب اليهود ــ وما اكثر ما يتآمرون ــ على ان يكتموا واقع معرفتهم بسمو حقائق الاسلام ويلبسوها بالباطل، بعد أن يدخلوا في الاسلام ويخرجوا منه ليرجع المسلمين عن الاسلام ويتراجع من يحاول الايمان به من طريق العلم والدرس . « « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون : « وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » وما عهدنا بمؤامرات اليهود الضولة في تركيا ببعيد عنا .

اذن فليس من المعقول أن تترك الدولة الاسلامية المرتدين الاشرار يهدمونها وهي تنظر اليهم متفرجة . ومن عكف على دراسة الجمعيات الهدامة لقلب نظام الحكم الاسلامي في العصر العباسي وقبح نواياها ومكايدها الخفية وأعمال رجالها في اشاعة الزندقة والالحاد والشعوبية من طريق العلم ، وفي دس الوثنية والاشراك وخرافات النحل من طريق الدين تبين السبب الذي من أجله كان الخلفاء العباسيون يشتدون في مؤاخذة هؤلاء الزنادقة المرتدين فيعاقبونهم بالاعدام او السجن او النفي .

والعنف في عقاب المتآمرين على قلب نظام المحكم مشروع في عرف كل الشرائع قديما وحديثا .

وهذا حق طبيعي الا ترى الخالق أن العظيم سلح كل حي بسلاح ما يتناسب مع وضعه في بيئته ، وزوده بغريزة الدفاع عن النفس للابقاء على حياته والاحتفاظ بها

فكيف نريد من الدولة أن تغمض عينيها عن المرتدين الهدامين الذين يعلمون على القضاء عليها ، وكل دولة في مجتمعها أكبر كائناته الحية .

ان عقوبة المرتدين الزنادقة في تاريخ الحكم الاسلامي لا صلة لها بقضية الحرية والفكر بتاتا لان الاسلام لا يجبر أحدا على الدخول في رحابه .

والآن يمكنني أن اصرح بأن الكاتب المفتري المعلوم ـ لم يعمد الى العصر العباسي ويسمه بالظلم لانه يشتمل على التنكيل بالمرتدين الزنادقة المتآمرين على سلامة الدولة وأنه ما اقحمهم لدى تعرضه لذكر الحرية والفكر ـ الا ليلبس على ناشئة العرب وصغار الدارسين الذين لم يكتب لهم دراسة شاملة عميقة لكل أصول الاسلام وفروعه حتى يستطيعوا أن يميزوا بين القضيتين من كل وجه، ومن كانوا كذلك فهم يحسون أن ثمة تنافرا بين القضيتين في الاسلام ، وكل رائد هذا الكاتب وأمثاله من الدساسين من وراء ذلك طمس معالم الحقائق الاسلامية في أنفس الشباب ، ودس بذور الارتداد والزندقة والفرقة في أوساطهم بيد أن للكاتب غرضا آخر خفيا، اظهار نفسه في العالم الاسلامي أنه حر مفكر مخلص وأنه طورد وصودرت مؤلفاته ظلما ـ وفيها كل أسباب القوة والعلم والاقناع ـ ليوهم قادة الدولة السعودية أنه قادر على تشويه سمعتهم اذا لم يفتدوا انفسهم منه بملء حجره درا !!

واني أهمس في اذن الكاتب ناصحا ان هذا لعب بالنار فليحذر سوء عاقبته .

المعطيات وآثارها

كل المعطيات التي يتفضل المولى الكريم بها على عباده كالصحة والثروة والسلطان والذكاء والعلم صالحة لان يتصرفوا بها في ناحيتين :

١ ـ ناحية الخير الايجابية .
٢ ـ ناحية الشر السلبية .

فمن أعطي الثراء يستطيع أن ينفق منه بعد انفاقه على مرافقه البعيدة عن التبذير والتقتير في نشر العلم ومساعدة المجاهدين واغاثة المنكوبين المشردين ومداواة المرضى ...

ومن أعطي العلم يستطيع أن يهذب به ويثقف نفسه ويصلح ويضيء به سبل الهدى للسالكين الضالين وما أكثرهم ، أي يستطيع أن يؤدي حقوق رسالة العلم الى نفسه والى الناس كافة على أكمل الوجوه وأسماها وأقربها من الله عز وجل .

ومن أعطي الذكاء يستطيع أن يميز به الاخيار من الاشرار وأن يبطل عمل الاشرار ويعطل عليهم مكايدهم ويمد المصلحين الاخيار بالتأييد والسداد : أي يفيد أمته ويجنبها الاضرار كما يفيد نفسه ويجنبها الوقوع في المهالك ...

ومن أعطي السلطان يقدر أن يفرض الاستقامة على المنحرفين والصدق على الكاذبين والامانة على الخائنين الدساسين والرحمة على القساة الظالمين . وبالاجمال يستطيع ذو السلطان أن يرفع الخير وأهله ، يخفض الشر وأهله بعزيمة وبصيرة ومودة ، وما أحسن المعطيات في ناحية الخير وما أسواها في ناحية الشر .. لانها استهتار وفتنة وتخلف . فكم هم الذين ينحرون صحتهم على مذابح المآثم بأيديهم ،

ويلقون بمستقبلهم تحت اقدامهم ، ويسحقونه سحقا بنعالهم عامدين .

وكم هم الذين قادهم السلطان الى اسوأ الاعمال المنكرة وشر الصحاب واخبثهم المفسدين المفسدين ...

وكم هم الذين اسقطتهم أموالهم في مهاوي الفساد تراهم يقذفونها فيها بغير حساب ، واذا حزبهم دعاة الخير الى الخير أمسكوا وادعوا الافلاس .

وكم هم الذين اساءوا الى انفسهم وأمتهم بذكائهم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فكان عاقبة أمرهم خسرا ...

وكم هم الذين اتخذوا العلم تجارة ، فكان كل جهادهم فيه من أجل ما يصل الى ايديهم لا من أجل ما يصل الى قلوبهم ، فكثر مالهم وقل علمهم ...

والانسان لا ينفك رهن رقابة الله سواء آمن او لم يؤمن ، فليحذر وليحسن الاختيار فيؤثر الخير على الشر في جميع تصرفاته بمعطيات الله له ، هذا وان طريقي الخير والشر غير خافيين على احد ..

والآن اجدني متحمسا بعد عرض هذه المقدمة ـ أن أدعو ذوي المعطيات الكريمة في أمتنا أن يحسنوا تصرفهم بها ويوجهونها الى الهدى والسؤدد والاعداد لوقاية انفسهم من غدر الاعداء المتربصين بهم ، وذلك في حيازة امكانهم . وبذلك يقيمون الدلائل العملية المشاهدة على انهم حقا سلائل امة عريقة ماجدة : ضربت الامثال بتضحياتها الانسانية ، واخلاقها الكريمة وشريعتها العادلة الرحيمة وكرامتها المرفوعة المصانة ، امة دونت احداث تاريخها العظيم بأحرف من أضواء السماء ، فكانت بحق « خير امة أخرجت للناس » .

والذي جعلها بهذه المثابة : هو صدق ايمان ابنائها وكبير تضحياتهم بأموالهم وانفسهم ، في سبيل استمساكهم بوحي الله وعدم مخالفتهم له ولو في لمحة الطرف ولفتة الجيد .

ومن أجل ذلك كان الذين يناصبونهم العداء ويحاربونهم ظلما وعدوانا اذا عرفوهم وعرفوا أخلاقهم وعقائدهم انضموا اليهم وحاربوا معهم ، وهم يرددون :

« يا سبحان الله ، وما هؤلاء بشرا ان هؤلاء الا ملائكة » . لانهم كانوا يسارعون في انجاز الاعمال الكبرى الصالحة دون تردد أو اهمال امتثالا لقول الله عز وجل :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم ، وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين »

ولانهم كانوا يعلمون يقينا من الله عز وجل ان الارجاء ضياع وتخلف وموت ، وكم هي الامم التي أهملت فرص الحياة العظيمة السانحة فتمزقت شر ممزق ، واصبحت اثرا بعد عين .

واني أجد من الاخلاص في النصح ، وتقديم المعذرة الى ربي أن أختم هذه الكلمة التي بسطت فيها أعمال المعطيات الكريمة بهذا الحديث الشريف الذي رواه الامام مسلم : « بادروا بالاعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا يصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا »

وكفى بهذا الحديث نصحا لطالبي النصح .

تأثير الثقافة

صحبته في رحلة ورحلة ، وكنت في كل مرة ازداد ايمانا بطيب شمائله وسمو آدابه وسعة ثقافته وايمانا بوقد لهفته الى قطف جنى العلم وأن مس سرحة السماء .

وشاهدته لا يهبط مدينة الا واول عمل يباشره ـ قبل سكونه الـى الراحـة ـ الذهاب توا الى المكتبات العامة الرسمية والخاصة للبحث والتنقيب عن ألوان جديدة من المعرفة . .

وكم كان فرح مديرة مكتبة المخطوطات الظاهرية في دمشق السيدة اسمـاء الحمصي حين زار المكتبة ، واخذ يتفقد الاسفار ويدرسها دراسة دقيقة وقد نسقت المكتبة كمدينة لها طرقها الخاصة وأزقتها الضيقة ، فهذا طريق الفقه ، وذاك زقاق التاريخ ، وثالث معد للحديث ورابع للمصاحف والتفسير . وهكذا انطوى في هـذه المدينة الصغيرة أو بالاحرى العالم الاكبر . ومهما يكن شأنها فهي أحفل من مـدن الاحياء بالحياة ، وسر الحياة الخلود ، فان زال زالت . وقد افتتن بها ، وعهد الـى السيدة اسماء أن تأخذ له بعض الصور الشمسية لبعض المخطوطات فلبت بخلق كريم ماجد، وأخالها أدركتأن أخوتها أبناء الجزيرة العربيةالنبلاء قد وثبوا وثبتهم الصاعدة المرتقبة الى القمة . وأنهم اعتزموا أن يشيدوا أمجادهم فوق انوف الاعداء: بعزائمهم، بتضحياتهم، بأراداتهم الحرة، بصدق ايمانهم واخلاصهم. وان أنضر الساعات لديهم وازهاها هي الساعة التي ينفقونها من أجل ذلك. والذي أكد لها هذا. . . هو اهتمام هذا الباحث المهذب المتحفز بكل امكانياته لدراسة المخطوطات القديمة ، التي هي أرفع مواريث العروبة والاسلام .

وهل توزن عظمة الشعوب وأمجادها في مختلف أدوارها التاريخية الا بموازين العلم وما تترك من مواريثه للناس جميعا . وهل للامة من روح قوي يصرع المـوت

ويغالب الداء ويكسب الشوكة والشباب الدائم سوى العلم ، ولن تباد أمة عالمة ذات اخلاق كريمة أبدا .

وحين زرنا المجمع العلمي بعد ذلك واجتمعنا الى المؤلف البحاثة الاستاذ عمر كحالة تحدثنا أحاديث الثقافة وخضنا في ذكر المجامع والجامعات وذيوع الطباعة والصحافة والتأليف وما يكسبه من حياة حرة مجيدة ذات شوكة مرهوبة . قال الاستاذ عمر : « انه يدرك عظمة أقدار الامم العلمية ، بمثل هذه الزيارات التي يقوم بها الوافدون بطواعية للتعرف الى صروح العلم وذويه » .

وهذا حق فاني أجد في صميم عواصمنا العربية المكتبات الخاصة بالمؤلفات الاجنبية ، وأنها لا تقل عن المكتبات العربية ذاتها . وهذا يدل أن الشعوب الراقية انما رقيها بتفوقها العلمي أولا وأخيرا. وانك تجد أفراد شعبها حتى فيرحلات الاستجمام لا يدعون المطالبة وابتياع الاسفار العلمية الجديدة والادبية الراقية المهذبة ، ولهذا لا تكاد تدخل مطارا من مطارات العالم الكبرى الا رأيت فيه باعة الكتب والصحف والمجلات باللغات الغربية . وفي يوم سألت الوراق في مكتبة مطار بيروت الدولي : لم لا يضم الى المكتبة نخبة من الكتب العربية الحديثة . فقال : ما حز في نفسي وملأني أسى ونكس رأسي خجلا : « أن أول عمل التاجر هو جلب السلع النافقة وعرضها للربح . فلو كانت المؤلفات العربية الحديثة لها سوق نافقة هنا لجلبنا منها الكثير. قف ساعة وانظر من هم الذين يسعون الى المكتبة من هؤلاء المسافرين الوافدين او الظاعنين ألا تشاهدهم جميعا من الغربيين أو ممن استظهروا ثقافتهم » .

هذا وما رأيت في فريق – يرون العلم سبب حياة وثروة ومجد فن وصناعة ووسيلة عزة وكرامة وأساس شوكة وتفوق وباعث كفاية ورفاهية في عصرنا هذا – ما رأيته في الغربيين .

وما خلت أمة من الاشواق العلمية الحافزة المضحية الا التهمتها النزوات الشاعلة وتخاطفتها الادواء حتى تجعلها أثرا بعد عين .

ومن أنعم نظرة في الامم البائدة عرف يقينا أن أفراد هذه الامم لم ينصرفوا الى أشواق العلم وأمجاده بل انصرفوا الى الشهوات المنحطة التي تحمل في تضاعيف لذاتها المهالك المحتومة .

وهذا شأن كل فرد من كل عصر ومصر اذا لم تشتغل مجموعته النفسية بالنافع المحي من الامجاد اشتعل بالضار القاتل من الرذائل وتوثب اليها بسعير اللهفة الفاتكة كالمريض بالاستسقاء يهلك بعب الماء وهو طمآن ...

ورفيقي الصديق من عرفه عن كثب عرف فيه الشعب الحديث في جزيرة العرب

وفي المملكة العربية السعودية بالذات ، فالفرد هو مرآة الامة وصورتها ، فمن اراد ان يتعرف الى وضع أمة وأخلاقها وقيمتها فليراقب أعمال أفرادها . واني كمواطن وصديق لم يكن اعجابي به بأكثر من عجب الآخرين الذين عرفوه عن كثب . فهو لم يكن مقتصرا على حماسته في ارتياد منابع المعرفة في كل بلدة ينزلها بل هو الى جانب ذلك يسارع في دراسة ما يصل الى يده ويتعمقه فهما ووعيا ونقدا .

وكم أبصرته وهو يطالع ما يبتاع من مؤلفات جديدة يسجل على هوامشها تعاليقه الكاشفة للاخطاء أن وجدها . والموضحة نواحي الاجادة والعمق ، وسوى ذلك مما يعني به كاتب عالم مثله .

وأذكر أن الفضول جرني في يوم من أيام رحلتنا فسألته عن صنيعه هذا ـ لاني أعرف من الخلان من يبتاع المؤلفات الجديدة بهلفة لا للمطالعة والدرس والنقد ، انما لتكون بعض الزينة في منزله ـ فقال : « ان تعليقاتي على المؤلفات هي قوام حديثي عنها ، أعود اليها في الوقت المناسب فأذيعه .

وكان جل مطالعاته ليلا حين يخلو بنفسه، وأكثر ما رأيته ينظم في الهزيع الاخير من الليل ، وشأنه فيما يكتب شأن المرتجل لا يكثر من معاودة النسخ والنظر من طرس الى طرس مرة ومرة ثقة بنفسه ، ولعل مداولة الانتاج واستمراره ومناسبات العصر اكسبته السرعة في البراعة والوفرة في الانتاج .

وحين وافينا عاصمة الاردن ـ عمان ـ طلب الى الدليل المتبرع الذي رافقنا ان ينزلنا فندقا ممتازا ، فأنزلنا « فندق بالاس » « فأودعنا حقائبنا في الحجرة التي خصصت لنا ، وكان الوقت اصيلا فسارع وطلب صديقه رئيس المحكمة الكبرى في الاردن الشيخ محمد فال ، الذي خف مستقبلا مستشرا فاقتنقا طويلا . وتذكرا صباهما في طيبة المباركة وهما يتبادلان كلمات العاطفة المخلصة الوفية ، ثم طلب اليه أن يزيره المكتبات العامة ، لان غرضه من رحلته هو الاطلاع على تطور الثقافة في البلاد التي ينزل بها قبل الاستحمام . والعواصم الكبرى تزدان بالمكتبات الكبرى والمجامع والجامعات والمصانع ، وكل ذلك آية التحليق الصاعد الحضاري لشعبها .

وطوف بنا بعض المكتبات الكبرى وكان الليل ادركنا فاضطررنا ان نكف . وهنا أبى الصديق الشيخ محمد القال بأصرار أن نعود الى الفندق قبل أن يمتعنا بمناظر العاصمة وغرائبها وعجائبها مما ضاعف بهجتنا وان شخصه الكريم في نظرنا هو احد الكبيرين فوق ثلاثة عشر فرخا . فأذعنا لحتمية الامر وجالت بنا السيارة من جبل الى جبل ، وبدت لنا العاصمة من هنا ومن هنا زاهية الالوان ، مختلفة الاشكال ساحرة في صروحها وحدائقها فاتنة في شوارعها المتسقة وميادينها المتسعة واضوائها الساطعة . . .

وتمتعنا بألطاف الاستاذ وبشاشة محياة وسحر حديثه ، وجميل شرحه لمباهج العاصمة وغرائبها وعجائبها مما ضاعف بهجتنا وان شخصه الكريم في نظرنا هو احد آيات جمالها وبدائعها .

وعدنا الى الفندق ، وعلى الرغم من حاجتنا الى الراحة قضينا فيه ليلة ليلاء شدت أنجمها بأمراس كتان الى جبال عمان . وما غفوت الا سحرا ، ومن عجب أني فتحت مقلتي اثر رجة عنيفة في الحجرة المجاورة ، واذا بالرفيق الصديق آخذ في نظم هذه القصيدة الرائعة التي جعلتني ألمس ليلتنا الساهدة القلقة في فندق «بالاس» ماثلة بكل ألوانها مثولا فنيا سهلا ممتعا. حتى نسيت ما لقيت بعد سماعها، واليك هي:

فندق قد نزلت فيه أصيلا — بعد سير قضيته ملحاحا
ونشدنا به ارتياحا ونوما — هادئا نجتوي به الاتراحا
وصفوه لنا وقالوا : « علي » — فقصدناه مفعمين انشراحا
فلقينا به العناء وسهدا — وبعوضا وضجة ونباحا
كل باب يصيح ان فتحوه — واذا أغلقوه أن وصاحا
وصنابيره طوال الليالي — مرسلات ، لا قفل ، لا مفتاحا
« بسط » فيه قد أكل الدهر — عليها طعامه واستباحا
قد أصيبت اطرافها باهتراء — وعراها البلى الملح صراحا
وأصيبت احشاؤهن بفتق — مزمن فازدهى « البلاط » ولاحا
قد سمعنا فيه الاذان عشاء — وسمعناه بالمكان صباحا

★ ★

داب نزاله « الكرام » ضجيج — وعجيج قد أشبعوه صياحا
ما لمسنا فيه ارتياحا مساء — وصباحا لم نلق فيه ارتياحا

وفي الصباح استأنفنا رحلتنا الى الخليل ثم بيت لحم ، وحين عدنا الى عمان في المساء قصدنا « فندق فيلادلفيا » الذي هو ثاني اثنين فيها . وقضينا فيه ليلة ناعمة وادعة واستمتعنا فيه بكل مفاتن الحضارة الخيرة، وتناولنا الذ الطعام واشهاه. والفندق يطل الى حديقة غناء منسقة تنسيقا حديثا ، وفيها بركة تنصب فيها المياه من كل جانب ، وشاهدنا فيها بعض السابحين ، وعلى حافاتها شعب الاشجار حانية على مقاعد جميلة مريحة هزازة والوصفاء يحملون الوان المرطبات الى الجالسين، والى جانبهم أنصاب الرياضة وحبالها وعقودها ومعارجها واثقالها ومناضدها واكرها ...
وباكرنا في النوم لما أصابنا من المتاعب ، وحين نهضت لصلاة الفجر فاذا بالرفيق الصديق قد سبقني الى ذلك ، واذا هو قد نظم قصيدة جديدة في وصف ليلتنا هذه المتعة في فندق فيلادلفيا وما فيه من أسباب الفن والحضارة والمتعة والجمال ، ومن أراد أن يشاركنا متعتنا في عالم الفن وأن يشرف على فندق «فيلادلفيا» فليطل عليه

من شرفة قصيدته هذه ، فاني كلما تاقت نفسي الى نزول هذا الفندق الماتع أعود اليها وأنشدها حالما مسحورا وهذه هي :

ونزلنا من بعد « بالاس » — « فيلا ... دلفيا » الفندق الرفيع الشان
قد نعمنا فيه بنوم لذيذ .. ... واطرحنا اعباء ما قد نعاني
وطعمنا فيه « غذاء » شهيا ... في أوان تزهو بكل اوان
لم يرعنا فيه بعوض ولا سهد ... ولا ضجة من « الجنان »
« غرف » في روائها تشرح النفس ... وتزجي الهناء للانسان
ان فنا من « الديكور » بديعا ... نسقته هنا يد الفنان

★ ★

« سرر » قد زهت بنور لطيف ... هو فيض من البدور الحواني
و « خزاناته » تميس بها ... في « فساتين » لونها الارجواني
صامتات « أبوابه » هادئات ... كهدوء المتيم الولهان
لم تكن في أنين تلك التي في ... « بلس » اذ تعج مثل « السواني »
و « المرايا » مصقولة باسمات ... همها فتنة العذارى الرواني
و « كراسيه » ظباء كناس ... ضامرات الخصور والابدان
« مصعد » فاخر ، واضواء بدر ... تتدلى وهنا بكل مكان
« بسط » تشبه الحدائق وشيا ... وجمالا رفافة الالوان
وهنا « هاتف » يسرك منه ... انه هاتف بفعل البنان
وهنا « مسبح » حبته جمالا ... « بركة البحتري » رب البيان
قد مكثنا فيه مساء وصبحا ... وارتحلنا باليسر من « عمان »

والآن أجد اللهفة آخذة طريقها فيأنفس المواطنين لمعرفة الرفيق الصديق الذي أتحدث عنه . ومعذرتي اليهم أن المعرف لا يعرف ، وما هو بنكرة حتى يفتقر الى تعريف المعرفين وله في نفس كل مواطن صورة كريمة رفافة .

الا انه علم من النهضة الحديثة في جزيرة العرب وركن من أركان الشعب السعودي ، وله من أدبه الرائع وثمار فكره الوقاد ، تلكم الصورة الرفافة الواضحة التي تجعلك تهتف قائلا : « انه عبد القدوس الانصاري » .

بيت شاعر في غابة

« كلمة حول « ملحمة طوفان النور » للشاعر المبدع « فارس سعد » .

ما هي بغابة من الغابات التي تعرف في مستوى من الارض ، بل هي غابة غناء صاعدة من أعماق واد سحيق : لجبل من جبال لبنان ... (رأس المتن) قمته : كأنها النهر الاخضر الذي قيل « انه ينبع من أعماق وادي جبل من جبال « قاف » .

وأسراب رخوخة البيضاء منطلقة صفا فوق صف ، تسابق أمواجه الصاعدة الخاطفة ...!!

وبيت لا كالبيوت كله شعر وسحر ، وله شرفة خاشعة مستغرقة في سبحات معبد الغابة .

هي قدس أحلام الشاعر ، ومحراب قريضة .

وكل ميزاتها انها غنية بالروح تشع اشعاعاتها الانسانية الصافية في عمق الفكر وصدق العاطفة وحنان القلب وما تبرح ظامئة الى أضواء وأضواء من هدي السماء تنهل منه ما تنهل : وما تروي ...

وقرعنا الجرس . وكنت في هالة وفد من الشبان الضاربين باسهم ماضية في البيان وهم في وقد الطموح الظامىء الى نهلات مترعة بكر من ينابيعه الموارة الدافقة.!!

وأطل علينا الشاعر اطلالة الهلال من شقوق الغمائم .

وهش وبش وهتف : يامرحبا ... وقادنا الى ضجة شرفته الصامتة ، وسكينة محرابه المتحرك ...

وأنشدنا من بيانه ، ويا رعى الله ذلك البيان ، انه بيان شاعر وعذوبة شعره مسكرة الشمائل وكل ما حوله تفتنك فيه روعة التواضع .

وانه لتلفتك وفرة دواوين الشعراء الطريفة والتليدة الموزعة في الخزائن وعلى المناضد .

وهو يمتعك بمزايا كل شاعر ، وماله وما عليه : بطلاقة او تجهم لمـــا يحب او يكره .

وما يكره الا العاجزين يدعون ابداع القول ، وهم لا يحسنون نطق الحرف .

وانك تحس من وقد مشاعره العربية الملتهبة انه الحارس الزائد عن حياض عروبة الشعر الخالد .

وهو باحث ادبي متعمق لا يكترث بالاجازات التي يفاخر بها متأدبو شبان العرب في كل قطر .

ويقـــول :

« ما أنا في دنيا الاموات حتى استدل على هويات أهلها بما هـو مرقوم علـــى الشواهد . بل شاهدي ما قاله زهير : لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة الدم واللحم .

وهذا هو الشاهد الحي الناطق بما يحمل الفتى من ادب او علم !!

ولا أحب اليه من شعراء الشباب الذين يتعمقون دراسة دواوين شعراء العرب بلهفـة واكبار ، ويميزون جيد القول من رديئة ، ويجيدون القول ..

ولا أبغض اليه من المتشاعرين الذين عجزوا عن صنع الشعر العربي الاصيل في موسيقى موازينه الرائعة الغنائية فاصطنعوا النثر المقفى وغير المقفى واسموه شعرا ، وخدعوا أنفسهم وأمثالهم الاحداث بما سموا ... وكيف يراهم شعراء ، وهو المحلق في أبعد آفاق الشعـر العربي الاصيل بجناحي الفن والخيال . وهم اعجـز من ان ينافسوا غباره ...

واسترسل بنا الحديث الى ثقافة عصرنا ، فقال شاب : « انــه عصر الانــوار العجيبـــة » .

١ : نور في ابتكار المخترعات التي لم تخطر على بال .
٢ : نور في اكتشاف اسرار الوجود .
٣ : نور في اجتياز جاذبية الارض ، والتنقل بين أجرام الفضاء .
٤ : نور في الاهتداء الى معالم نفس الانسان ، وخفايا مجموعته النفسية .
٥ : نور في السمو بالفنون الجميلة ، وابداع هندسة العمار ، وتخطيط المدن .
٦ : .....

وكان شاعرنا يتعمق بحواسه المرهفات أهوالا زاحفة من وراء فتنتنا بمبدعات حضارة العصر واشراق انوارهـا الغامرة وان كانت اذناه واعتير لما نقول ....

وقد نفضت الشاعر لفظة (أنوار) نفض من أصيب بمس تيار كهربائي ، فصاح منذرا محذرا ، بقوة ما يملك من حق ووعي وشعر :

« احذروا الطوفان ... احذروه ...
السماء مربدة ساخطة ، والارض هاوية الى العدم ولا عاصم .
أواه أواه

« أتت الارض والسماء بطوفان ★ ينسي طوفان نوح وعامـه »
ــ يا لله . أي طوفان تعني ؟

ـ أي طوفان أعني ؟ !!! (ينطق بها ساخرا) طوفان هذه الانوار الغامرة التـي اخمدت ارواحكم بكل ما فيها : من خير وصدق ، وايمان وايثار ، ومودة وسلام ...
واشعلت انفسكم بكل مـا فيها من شر وافك ، وكفر اثرة ، وحقد وحرب ...
يا هؤلاء أنوار حضارتكم هذه ظلمانية منبثقة من قسوة المادة وظلمتها وطغيانها وشراستها .
أنوار قابت حقائق الاشياء فجعلـت :

١ : الشر هـو الخير
٢ : والقسوة هـي الرحمـة
٣ : والظلم هـو العدل
٤ : والكذب هو الصدق
٥ : والكفر هـو الايمـان
٦ : والمداهنـة هي الاخـلاق
٧ : والموت هـو الحيـاة
٨ : والشـح هـو الجـود
٩ : والاعداد للحرب هـو السلام
١٠: والسلب هو الاكتسـاب

الم تعلموا أن الانسانية في احتضار من حضارتكم هذه التي بها تتغنون !!!
هل شاهدتم جزارا اكتظت به الاحقاد فانفجر فهوى بسكينه فنحر نفسه .
ان حضارتكم هذه جيفة مغشاة بالرياحين النضرة والازهار الملونة التـي تفتـن الناظرين ، وتسكرهم بمتع معسولة مسمومة قاتلة ...
ولكن لا تنسوا أن فتكة حرابها تلمسكم فتؤذيكم وتنشرنتها القاتل فيرديكم .
أجل هو طوفان أنوار ظلمانية عرمة تطفو فوق لجج من دمـاء المظلومين العزل، وفوق عبر العبر لو ان في ابناء حضارتكم هذه من يفقه العبر ويؤمن بها .

هيـا اسمعـوا :

عـد عنهـا حضـارة ... ذاقهـا العصر فـاحتضر
جيفـة قـد تستـرت ... بالرياحيـن والـزهـر
مـزق السيـف سترهـا ... وفشـا النتـن والعـذر
وطفـت فـوق لجـة ... مـن دمـاء ومـن عبـر

ولم أجد براعة استهلال تومىء الى كل ما في الملحمة من أهداف مثل تسميتها « بطوفان النور » .
وهذا المدخل الرائع يفضي الى توطئة فذة .
فيها ضراعة ودعاء وحسرة
وفيها امنيات « حسان » يائسة
وفيها روح انساني عالمي

واليـك هـي :

رب اعميتنـي بطوفـان نـور — في سناه صنعت نجمي وشمسي
سرت فـي لجة وفلكي عقلـي — يتهـادى علـى تدافـع حسـي
هل أنـا غـارق بـه أم تـراه — بـي على ذروة من الامن يرسـي
رب هذا الطوفان قد جرف الليل — وعـرى الوجود مـن كـل لبس
فمتى يجرف السدود من الارض — ويدني مـا بيـن جنس وجنس

. والاديب المتعمق يستطيع أن يحلق مع الشاعر في أبعاد آفاقة ، ويتذوق جمال اناشيده ، ويوافي مدى اهدافها بمدى ما يملك من ثقافة وبيان . ومهما يكن فالشاعر في أناشيده ناقد لاذع لا يتحرج أن يجهر بالحقائق دون أن يجامل في كتمانها احـدا فتجده يمقت دعاوى السلام والحرية والخير والتسامح والعدل والصدق ويعلـن ـ الحقيقة المرة ـ ان السلام لن يستنيم في صدر من صدور متحضري « عصر النور ».

ولئن استطاعوا ان يسموا بضرورات الحياة سموها الكمالي بما ابـدعوا مـن مخترعات جد مدهشة فانهم عجزوا يقينا عن اقتلاع وراثات الغاب وعصي احقادهـا الوحشية من انفسهم ، فسلامهم مترصد غادر يخفي وقود الاطمـاع المشتعـل فـي صدورهم ويخفي تدبير مكايد ساعة الانقاض قاصمة الشعوب العزل وموثقة حرياتها باغلال المظالم ، واشاعة الخيانة فيهم ...

انظر هذه الابيات في النشيد الاول

كيف يغفـو السلام فـوق صدور — بيـن أنحـائهـا نوايـا المغـاور
انهـا الحـرب تستسـر لتبـدو — وتغـذي اسرارهـا لتجاهـر
وهي أضرى في برقع السلـم منهـا — فـي قنـاع من الظبـي والمغافـر
وهـي ان تتـرك السـلاح تلظـت — فـي قلـوب وقعقعت في حناجر
واطلـت محمـومـة تتفشـى — مـن شفـاه وابرقت من محاجر
واستمرت فـي نهمة الغلـب ترغـي — فياصطراع النهى وحشد المشاعر

وهنا يطيب عرض بعض الشواهد محاورا في اناشيده ، لتكون كالمعالم لما يهدف اليه في ملحمته :

انظر !!! ها هوذا يلمس حسك في نشيده الثالث : أعمال غرائز الغاب عصيبة الاغلاق في عقليات متحضري عصر النور وان امتطت معارفهم صهوات الكواكب :

هجـر الغـاب موطنـا دب فيـه — وتغـذى فـي حضنـه بلبانـه
سـاد فـي ظلـه بـومضـة فكـر — رفعـت قـدره علـى حيوانـه
علمـته ان ينفـث الكيـد سمـا — فيـرد الاذى علـى أفعـوانـه
علمتـه ان يـربط الفيـل بالافعـى — فيمشـي مطـأطئـا فـي عنانـه
علميـة أن يتقـي الغـدر بالغـدر — ويزجـي للشـر مـن الوانـه
مـا أرى ثغـرة اذا ـافتـر الا — فـم جحـر ينشق عـن ثعبانـه
هجـر الغـاب وهـو مـا زال فيـه — لا يرعـك المنحـوت مـن جدرانـه
طفـرة للصعـود حالـت هبوطـا — ليتـه ظـل جاثمـا مـن مكانـه

وكنت افكر منذ يوم النكسة في قول الله عز وجل :

(وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) ...

وفي الامم التي استطاعت ان تفيد منه البأس الراعد المخيف ، والمنافع الوفيرة الراغدة ...

وقلت لو ان امتنا آمنت بهذه الآية ايمانا عمليا صادقا وغذته بكل امكانياتها لما ضربت في عقر ديارها المقدسة الضربة القاصمة ...

اجل كنت افكر في ذلك ، وفي التطورات التي دخلت على صناعة الحديد وعلى عدده الحديثة الفتاكة... فاذا بي أجد الشاعر الفارس سبقني فينشيده الخامس:

فاذا بالحديد يشره للفتك ... ويفتن مسرفا للجلاد
قد ترقى عن حربة وحسام ... وتعدى الصليل للارعاد
واثبا او مجنحا يتراءى ... في شخوص النمور والآساد
يحمل الجند للقتال وقدما ... حملته الجنود في الاغماد
طعن الافق ما رقا يتلظى ... من حشاه كالنيزك الوقاد
وانبرى في الثرى يفت سهولا ... من جبال واجبلا من وهاد
صرت أخشى الحديد أن يقتل الروح ... ويسمو عن هذه الاجساد
ليس هم الحديد قتل نفوس ... همه قتل فكرة واعتقاد
كان قيدا فيما مضى لسجين ... صار قيدا لامة وبلاد
قل اذا قلت : أمتي ذات حق ... لا تقل : ذات صولة وعتاد
حبة الرمل يا أخي ذات حق ... في ثراها كراسخ الاطواد
وجنون الرياح أعجز من أن ... يخرج الرمل من حدود البوادي
لا تهن مصنعا لعلك يوما ... خاشع منه عند صولة عادي

وما زلت أحلق مع (السعدي) في آفاق ملحمته منتقلا من نشيد الى نشيد حتى التمع تجاهي وهج رمال الصحراء .

فخلته سرابها الظامىء الخلب ، ولكن انعمت نظري فاذا هو نور سماوي دافق صاف كصفاء انوار الملائكة فعرفت انه قبس من نور وحي الله الذي بشرت به الرسل قديما ، وتطهر به الشرق من وحشية غرائز الغاب ، وحرص ان يظل في ينبوعه المقدس ـ الكتاب السنة ـ موارا طهورا لم تمسه يد التحريف والتأويل والزيادة والنقصان .

اجل اغتسل به الشرق روحا وجسدا وتثقف حتى كمل ونهض وساد . وكان

داعيه المثالي الامين المضحي في سبيله بكل ما يملك من روح ومادة .

وكم تجد من عمى في قلوب كثير من أبناء الغرب الذين هزهم من الشرق دفق نفط صحرائه ـ وهو وشيك النضوب ولم تهزهم من الشرق دفق وحيه الابدي: بالرحمة والخير والسعادة والايثار والود الامين الصادق .

ايها الغرب انت قنفذ وعر شائك الخلق مقشعر غضوب
خذ من الشرق ما تنيل سماه لا تراه ان املقتك الخطوب
ليس صحراؤه ينابيع نفط بعد دفق يغولهن النضوب
فجر الوحي كل ذرة رمل فهي في الارض كوكب مشبوب
انه الغرب ماسخ النور نارا كل نجم في كفه الهوب
لك ملك الجحيم ياغرب فاقنع منه في الارض فهو رحب رهيب
خل ملك السماء ليس لعمري لك منه وان صعدت نصيب
دربنا واضح الى الله فيها وعن الله ضللتك الدروب .

وهكذا نجد شاعرنا (السعدي) يصور حكمة الشرق ، وروحه العالي ، وانوار وحي الله الصافية فيه ... بريشة فنه الساحرة تصويرا فذا كله عمق ووعي وعام وفكر وايمان ...

وما كلمتي هذه عن ملحمته الا قبس من غامر اضوائها التي تنير السبيل . واذا وفقني الله عز وجل اعود اليها في كلمة اخرى .

واني استشف من خلال ارشادها صدق ما قاله الامام مالك قديما :

« لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » ..

وكل اصلاح بغيرذلك جريمة ورعونة وتفكيك لاواصر الامة وتمزيق لكلمتها ، وافساح المجال لابادتها وهوانها على الناس . والشاهد الحاضر فيه الكفاية لمن يملك ذرة من فكر او ايمان او وطنية .

سمو الوعي الاجتماعي في طليعة حياة النبي ﷺ

لا ريب أن سمو الوعي الاجتماعي لن يكون في طليعة الشباب الا اذا كان يدا لتربية اجتماعية عالية مستمدة من ثقافة عميقة ونظر بعيد وفهم للمصلحة العامة وتقدير لما تكسبه وحدة الجماعة من عزة وشوكة وامجاد .

وأكثر ما نشاهد هذه التربية الاجتماعية الراقية في الاوساط المهذبة المثقفة، وقلما نظفر بها في الاوساط العادية ذات النظر المحدود والوعي الاجتماعي القاصر .

اما وجودها في مجتمع قبلي امي كمجتمعنا في العصر الجاهلي فلن تكون الا في نطاق قبلي ضيق . ومهما اتسعت بواعث التربية الاجتماعية فانها لا تتسع لاكثر من حلف قبلي محدود تفرضه الظروف القاسية على المتحالفين شأن الامم المختلفة .

وكم من سطحية في نظر الذين خالوا ان التربية الاجتماعية العالية التي تجلت مواهبها الفذة في أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي «من طوارىء الصدف»

يا ويلهم !! ان الوجود لا صدف فيه « وكل شيء عنده بمقدار » .

هذه هي الحقيقة، ولو أن طوارىء الصدف المزعومة في طاقتها أن تهب مثل تلك الاحاسيس الاجتماعية العليا لما اختص بها عربي واحد دون الملايين من أبناء الجزيرة العربية ، لما اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سواه .

ونحن اذا تتبعنا سير الذين اشرفوا على تربيته والتأثير فيه بحكم الظاهر الفيناها مفقودة فيهم وفاقد الشيء لا يعطيه ، ومن هنا ندرك : أنها مواهب تربية عالية أكرمه الله بها لتكون له آية على صدق رسالته .

أجل هي خصائص الهية وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا الصديق حين سأله قائلا : من أدبك يارسول الله ؟!! اجاب عليه السلام : « ادبني ربي فاحسن تأديبي .

والحق أن أعمال رسول الله كافة مثل عليا مقصودة للسير بالانسانية الى

الكمـــال العملي الممكـن .

ومن اجل ذلك نشاهد الروح الاجتماعي السامي متجليا في اعماله صلى اللـــه عليـه وسلم قبـل النبوة وبعدهـا .

واني في كلمة اليوم اقتصر على ذكر حادثتين مـن الحـوادث الاجتماعيـة الكبرى التي كانت له في طليعة حياته قبل النبوة :

الحادثة الاولى : « حرب الفجار »

الحادثة الثانية : « حلف الفضول »

أما حرب الفجار فهي حرب أهلية خاسرة ، فرضتها التقاليد المنحطة على أبناء الامـة الواحـدة .

وقد فقدت جزيرتنا العربية بسببها كثيرا من قادتها الابطال ، ومـا كان اشـد حسرتهـا عليهم لانهم قوة سفحت على أقدام تقاليد الجاهلية الرعناء ، قوة لـو ادخرت لوقت الحاجـة لكانت في فخر نهضتهـا الاسلاميـة الاولى من جمـاعـة فرائدهـا الخالـدة المتألقـة .

وفي اعتقادي أن حياة العرب الاجتماعية المهلهلة التي انكشفت في حـرب الفجـار ما حزت في نفس شاب من شباب الجزيرة العربية ما حزت في نفس محمـد ــ صلى الله عليـه وسلم ــ وهو في طليعة حياته ..

اجل هي حرب اهليـة خاسرة وقعت بيـن كنانة وقريش من جهة ، وبين قيس وهوازن من جهة أخرى ، وقد استمرت اعاصيرها الهوجاء أربعة أعوام .

وابناء الجزيرة اليوم يرون بواعثها ــ بعد ان استمتعوا بمثل الاسلام الاجتماعية العليا ــ فـي منتهى الوضاعـة وأن كـان أهـل الجاهليـة يرونهـا وجيهـة كـل الوجاهة ...

لقد اعتاد النعمـان بن المنذر ملـك الحيرة في الجاهلية ان يرسل قافلة تجارية كبرى تحمل منتوجات بلاده الى داخـل الجزيرة لتباع في سوق عكاظ .

ولما كان الامن مفقودا في داخل الجزيرة لفقد الوعي الاجتماعي بين قبائلهـا وترصـد بعضهم لبعض لذلك كـان يرسلهـا في خفارة زعيم من زعمـاء القبائل ليكون مسئولا عنهـا .

وفي عام ٥٨٥ ، كان في ضيافـةالنعمان زعيمـان من زعماء القبائل : «البراض ابـن قيس الكناني » وهذا كان فاجرا فتاكـا خبيث الطوية ، طردته قبيلته ، فلجأ الى النعمـان . « وعروة الرحال » بن عتبة الهوازني . وهذا مـن خيـرة زعمـاء الجزيرة استقامة وأدبا ، وحسن خلق وبعد نظر .

واتفق ان النعمـان عرض فكرة خفارة القافلة على زعمـاء القبائل كعادته فـي كل عام ، والبراض وعروة حاضران فتقدما لهذا الامر ، فاعرض عن البراض لما كان بلغـه عنـه من مجانـة وتسرع وخفـة ، واسلم القافلة لعروة الرحال .

ساء هذا التصرف البراض واغاظه اقبح الغيظ، واعتزم أنيثأر لنفسه منعروة لاستهتاره بـه وبقومه في مجلس النعمـان وليري النعمـان فساد رأيه في الثقـة بـه دونـه .

وساعده ان الغرائز كانت مرسلة لم يكتبها بعد سلطان الدين او سلطان العلم ، وان العرف القبلي يرفض تعقب المجرم بالذات وحصر اخذ الثأر منه .

فلم تكد القافلة تغادر الحيرة حتى لحق بها البراض مستخفيا مترصدا ملتحفا سواد الليل ، وعلى اثر مرحلة مضنية عسراء ، وفي خلال اغماضة آمنة عزلاء، اختلس البراض اغتيال عروة الرحال وفر متواريا الى خيبر ، ولقي بشر بن ابي خازم الاسدي فبعثه الى قومه ، ليقفوا على جلية الامر خشية ان يأخذهم قيس وهوازن قوم عروة الرحال على غرة . ومع ذلك فقد ادرك قوم عروة الرحال قريش وكنانة في نخلة، وهم في طريقهم الى الحرم، واشتبكوا معهم في معركة لم تطل. لان كنانة وقريش امكنهم ان يعتصموا بالحرم ، لانهم لم يكونوا على اهبة القتال . فكف عنهم قوم عروة واعلنوهم انهم سيستأنفون القتال بعكاظ في العام المقبل .

ومر هذا العام وزعماء قريش وكنانة : « عبدالله بن جدعان » « نوفل بن معاوية » « أبو أحيحة سعيد بن العاص » « عتبة بن ربيعة » « العاص بن وائل » «معمر بن حبيب الجمحي» «عكرمة عامر» ،... وهم ينسقون خطط الاعداد للقتال » يتأهبون له ، ولم يوجد بينهم زعيم رشيد ، يكفكف من غلو سخافتهم، ويحفظ دماءهم التي تراق هدرا من جراء حماقة مأفون أو رعونة مستهتر .

اجل يكفي لحفظ الامن وتهدئة النفوس واحقاق الحق احضار المجرم بالذات لاخذ الثأر منه بدلا من هذه الضحايا التي تذهب بها معارك الثارات التي تشتعل نيرانها وتذهب بالاخضر واليابس .

وهذا ما كان من قوم عروة الرحال ، فقد اجتمع زعماؤهم :« ابو البراء عامر بن مالك » و« سبيع بن ربيعة النضري » و « دريد بن الصمة » ومسعود بن معتب «وابو عروة بن مسعود» و «دعوف بن ابي حارثة المريء» و«وعباس بن رعل السلمي » واخذوا يعدون انفسهم لاخذ الثار ، من الابرياء ، الذين لم يقترفوا جريمة القتل ، تاركين المجرم بالذات مختبئا غير مهتمين به رغم أن طلبه لا يكلفهم ما يكلفهم طلب جميع قومه .

وحين انقضى العام التقى الفريقان في عكاظ ، واحتربوا حربا عنيفة هوجاء لا شرف فيها ولا فخر ، وقد خرج الشبان من الفريقين ، واشتركوا في تمزيق انفسهم في المعركة ، وهم لصغر عقولهم مزهوون ببطولاتهم ، ولكن شابا واحدا كان في منتهى الكمد ، كان منكمشا على نفسه اذا مشى مشى متثاقلا ينظر الى هؤلاء المتقاتلين من الفريقين بعين دامعة ونفس حزينة حسرى ولولا خوف التعيير من قومه لما خرج وهو الابطال ، بل لولا خوف التعيير لما اقترب من عمه في اثناء المعركة ، واخذ يناوله النبل بتثاقل ، ولم يكلف نفسه جهد رمي بضع نبلات طائشات

اسف على رميها كل الاسف هذا الشاب هو سيدنا محمد الذي كان يومئذ في سن مبكرة متراوحة ما بين الخامسة عشرة والعشرين .

ولم يقم وزنا لاترابه الذين صالوا وجالوا ، واعجبوا آباءهم وذوي قرباهم ببطولاتهم ومغامراتهم الرعناء ، وان أسى هذه المعركة الجاهلية القاطعة لرحم الامة الواحدة ، الدالة على هوان لنفوس وصغر العقول وفقد لروح الاجتماعي لم تفارق سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم حتى بعد ان شرفه الله برسالته .

ها نحن أولاء نسمعه يقول لاصحابه ، حين ذكروا حرب الفجار وما كانوا عليه من تقاطع وصغار في الجاهلية :« قد حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما احب الي اني لم أكن فعلت »

فهل نعجب بعد ذلك اذا رأيناه ــ وهو بطل الابطال الذي يقتحم الاعداء ليدرعه صحبه الاشاوس ويتقون به هجمات الفرسان الصاعقة ــ لم يشترك في معركة الفجار ولم يفخر لاقتحام صميمها بل آثر ان يجلس بعيدا عنها ــ مع الرماة ــ يقذف بضع اسهم طائشات تارة وينبل على أعمامه بتثاقل اخرى .

وهكذا تتابعت معارك حرب الفجار في مدى أربعة أعوام . وأخيرا ختمت بما تختم به كل معارك ابناء الجزيرة في الجاهلية حين يحسون انها اكلتهم اكلا .

وقد أحصوا قتلى الفريقين في هذه المعارك فوجدوا أن لهوازن على قريش زيادة عشرين قتيلا دفعت قريش دياتهم ، كاملة غير منقوصة .

وقد أطلقوا على هذه المعارك « حرب الفجار » لانها جرت في الاشهر الحرم، وعطلوا على الناس اجتماعهم الادبي والتجاري والاجتماعي في سوق عكاظ .

فحرب الفجار وامثالها من الحروب الاهلية التي كانت تقع بين ابناء الجزيرة العربية في الجاهلية هي التي كانت تحز في نفس سيدنا محمد في طليعة شبابه .

لذلك لم تكد تبدو اضواء أول نجم اجتماعي في سماء الجزيرة المنكوبة بظلمات الجاهلية الجهلاء التي كانت تغشاها من كل مكان كأنها كثبان الربع الخالي المهيلة بين يدي عفاريت الاعاصير الهوجاء حتى استبشر بها وشعر انها طالع خير ويمن .

ذلك هو الاجتماع التعاوني الكريم الذي قام بالدعوة اليه الزبير بن عبد المطلب واستجاب له جميع القادة والزعماء عن رضى وطمأنينة . ذلك هو (حلف الفضول) الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان جمع الله ابناء

الجزيرة على يده : (لقد شهدت مع عمومتي خلفا في دار عبدالله بن جدعان ما احب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت به في الاسلام لاجبت) .

وواضح ان الذي دفعهم الى هذا الحلف هو ما صاروا اليه من سيء النتائج التي جاءت كرد على تمزيق كلمتهم بعد وفاة عبدالمطلب ووالده واختلافهم على انفسهم من جراء الرغبة في الزعامة الملعونة حتى اجترأ عليهم من لم يكن ليجترىء ، أجل اجترأوا عليهم وقاتلوهم في الحرم من جراء جنون خليع ماجن سولت له نفسه الشريرة ان يرتكب جريمة القتل فينكب قومه من اجلها

والذين قاموا بهذا الحلف هم بنو هاشم وبنو المطلب ، وبنو عبدمناف ،وبنو اسد بن عبدالعزى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة .

والذي نراه ساميا جدا في هذا الحلف هو انهم تعاقدوا على نصرة المظلوم من اي شعب كان ولم يحصروا الانتصار لمظلوميهم ، وفرضوا على انفسهم ، ان يكون الانتصار عمليا اي بالسيف اذا اقتضى الامر حتى يرد اليه حقه وهذا ممكن في بلادهم .

ولن نجد كلمة قيلت في هذا الحلف فيها وعي لقيمته الاجتماعية أعمق من كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها تكشف جملة أمور :

١ ــ اثر الحلف البالغ في نفسه ، حتى نوه به بعد أن أكرمه الله بالوحي وجمع على يده الكلمة المزقة .

٢ ــ تمنيه ان يدعى اليه في الاسلام بنطاق اوسع لانه من مقاصد الوحي العليا .

٣ ــ الثروة واسبابها لم تكن تعدل اجتماع الكلمة عند الرسول عليه السلام.

٤ ــ الفرح بالاحاسيس الاجتماعية التي بدات تظهر آثارها في اعمالهم اعدادا لهم ليكونوا أهلا لحمل اعباء دعوة الاسلام الاجتماعية الانسانية الكبرى .

٥ ــ حب الخير العملي للناس جميعا لانه اعلن استعداده لتلبية دعوة التعاون الاجتماعي في الاسلام ، الذي فيه الانتصار للضعفاء والمظلومين .

شاعر البادية

عرفت شاعر البادية الصديق سعد بن حريول في اشعاره النبطية المتقدة بحب بلاده العزيزة واخلاصه لها ، وزوده عـن حياضها ، وجهاده في سبيل تقدمها .

عرفته مسلما غيورا ، وعربيا أبيا واجتماعيا واعيا . وكم كنت أرغب فـي التعرف اليـه عن كثب ، والاستمـاع اليه وهـو ينشـد اشعاره بلهجته البدويـة المؤثرة الجذابة ، التي تستحوذ على الانفس ، وتهـز المشاعـر ، وتأخذ بمجامـع القـلـوب .

وفي ليلة من ليالي الشتاء الطويلة والرعد يقصف والمطر ينهمر وافاني الصديـق الاديب المفكر الشيخ عبدالله الملحوق ومعه شخص من الاهـل ، وبعـد المصافحـة وتبـادل التحيـة قال :

« هذا سعد بن حريول، هذا شاعر الباديـة .. »

خفق قلبي عندمـا نطق بهذا الاسم ، واحسست كأن الباديـة جاءت الي بطيب أعراقها وكريم أخلاقهـا وعميـق أسرارهـا وشتـى عجائبها لتجزينـي ودا بـود ووفـاء بوفـاء .

يا لها من ساعـة !! منتشية بسير ابطال الباديـة الفاتحين ، معتزة بكبيـر امجادهم ذات المثل الانسانيـة العليـا .

ما اروعهـا من ساعـة حاميـة مسحورة مترعة بكل مـا نشتهي من ذكريـات بلادنا الحبيبة جادت بها شاعريـة جوابة خفاقة في لمحة مفتونة عابرة ..

اجل هي ساعة من زينة الحياة كان ينشدنا فيها شاعر البادية اشعاره وهو في زحمة فرسانها المغاوير وصهيل خيولهم وخفقان اعلامهم .

وكان يجول بنا بين عواصمها وقصورها المزدانة بالمهرجات وبين معالم تاريخها ومشاهد أحداثه وبين الاطلال ومضارب الاعراب . وما زال ينشدنا حتى أفضى بنا الى قصيدته الاخيرة « البريمي لنا » القصيدة التي هزت مشاعر السعوديين في كل مكان .

في هذه القصيدة شاهدنا المصلح الاسلامي الكبير الامام القاضي الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقد اوجعه ما آل اليه وضع القبائل العربية ـ التي كانت معدن المعارف والهداية والوعي الاجتماعي ومنبع البلاغة والفصاحة في العالم ـ من التفكك والتناحر والجهل ، ومن البعد عن حقيقة الاسلام حتى اضاعت امجادها السامية وآدابها العالية ، وانحلت ذلك الانحلال الديني والسياسي المبكي .

اوجعه ذلك فغادر بلدته الى الدرعية ، وعرض الامر على جد الاسرة السعودية الامير محمد بن سعود ـ واضع حجر النهضة الاول ـ وافهمه أ نهذه الامة لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها الا وهو الاستمساك بهدي الاسلام كما هو فيمنبعه الصافي المواز خاليا من الزيادة والنقصان ومن البدع والخرافات ، أي الاستمساك بما كان عليه سلف هذه الامة الصالح .

ادرك الامير محمد ما يقصد اليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الدعوة السلفية الكريمة وما يهدف اليه من اعادة الحياة الاسلامية الصحيحة في جزيرة العرب لتعود اليها وحدتها وقوتها وامجادها ، واعتزم ان يرصد لها حياته فقال كلمته المشهورة : « انا لها انا لها » واخذ يجاهد ويناضل في سبيل اعادة حقيقة كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة في جزيرة العرب مع الصدق والثبات على اداء حقوقها مهما كانت التضحيات حتى اتم الله على يده النصر ، ومن ذلك اليوم لقبه أبناء الجزيرة « راعي العوجاء » واطلقوا كلمة عوجاء على كلمة التوحيد لان الحال المتأخر التي افضت اليها القبائل العربية في القرن الثاني عشر الهجري جعلتها تعجز عن النطق بها صحيحة وتراها صعبة تلتوي بها السنتها وتعوج فاطلقوا عليها اسم عوجاء ...

عرض علينا كل ذلك شاعر البادية باسلوبه البدوي الحلو :

يشهد لنا التاريخ كل شيء يبينه	يوم السنين اللي مضت في شهورها
محمد بن سعود الذي صيته اشتهر	هو مؤسس العوجاء وقام معمورها
بين له القاضي على الحق وانتهض	والاصنام جاها هي واهلها دبورها

كبـر وهلـل وقـال للناس هللـوا وقالوا : هذي عوجا تلو عسورهـا
وقال ذي كلمة التوحيد انا راع لها ومشى عليهـا ليـن عزز نصورهـا

والذي ادهشنا في شاعـر الباديـة انه كان يعرض علينـا احداث البادية عرض الصور المتحركـة الناطقـة .

وفي هذه القصيدة (البريمي لنا) رأينا الامير تركيا مؤسس الدور الثانـي للنهضة السلفية السعودية في جزيرة العربية راكبا جواده وفي يـده « الاجرب » سيفه البتار وهـو يجمع كلمـة ابناء الجزيرة حول كلمـة التوحيد ، ويقـودهم الـى النصر والعزة والتفاهم ..

وكم اخذتنـا الفرحة باجتمـاع كلمة ابناء الجزيرة في عهد الامير تركي وامتداد سلطـة حكومته وقلنـا يا ليت ساسـة الانجليز الذيـن قرروا ان البريمي ليس مـن المملكـة العربيـة السعوديـة معنـا الآن ليدركـوا ما كـان لهـا من الامتداد وتوحيد كلمـة الجزيرة في عهـد الاميـر تركي ، وكيف كـان عماله يجبون لـه الزكـــاة من عمـان ومسقط والبحريـن وسواها . ولا ريب ان الاحرار المنصفين من اية امـة يفرحون لمثل هذه الوحدة الكريمة الحرة ، ويرجون أن تمتد حتى تزيل كـل اقذار الضعف والانحلال لان الانسان الكريم ينظـر الى الامـم بالمنظار الذي ينظـر به الـى أمته ... فيحزنه والانحلال والتفرق والضعف سواء فـي أمته أو في غيرهـا كمـا يفرحه العلم والتماسك والتجمع والقـوة .

وهذه الصفحة الطافحة بالفخار والسؤدد التي عرضهـا علينا شاعر الباديـة من تاريخ الجزيرة في عهـد الامير تركي جعلتنا نعتقد أن وطننا الذي شرفه اللـه بنـزول خاتم الكتب السماويـة ـ القرآن المجيـد سيظل مطلع النـور والهـدى والاخلاص والقوة والاجتماع اولادب السامي الرفيع ال ىيوم القيامة .

وتركـي بلحـرب هو خويه ومساعده شهودي كلامـه في معاني سطورها
يقـول كل مـن خويـه تبـــرا وحطيت الاجرب لي خـوي صبورها
وحكام عمان قدمـوا لـه زكاتهـم وغرب الخليخ الفارسي في حجورها
وياخذ على البحرين ومسقط وغيرهم ضريبة تسلـوم مـن دون شورهـا

وهنا صمت شاعر البادية قليلا ، ثم رأيناه يعتدل في جلسته وتأخذه موجة من الحماسة والاعتزاز والفخر ويرفع يده ويزيح الستار فاذا نحـن حيال مؤسس الدور الثالث للنهضـة السلفية السعوديـة : جلالة الملك المرحـوم عبدالعزيز ال سعـود وهو يفتح المخاوف ويركب الاهـوال والمصاعـب ليمنح الجزيرة العربية الحريـة والوحدة والقوة وروح الاسلام الصحيح الذي كان عليه رسول الله صلى الله عايهوسلم

واتباعه الاول الاكارم كما رأيناه يخلصها من يد الاتراك بكل جرأة واقدام وتضحية حتى وصل بالمملكة العربية السعودية الى السماك الرامح وكيف اسلمها في ضمانة نسر ذي مرة ونفاذ بصيرة ووعي واخلاص وخلق ودين هو جلالة الملك سعود المعظم الذي سار بالمملكة الى الحضارة والتقدم والشوكة والسلطان والمعارف والصنائع الملك العربي الذي اخذ حبه وتقدير امجاده الكبرى تمتد أفراحه في شتى أقطار العروبة والاسلام .

وما اهتمام جلالته بالحرمين الشريفين وعمارهما خاصة وعمار المساجد كافة والمعاهد العلمية والصحة العامة والجيش عن بال العرب والمسلمين ببعيد.
ولنسمع منه هذه الابيات بانعام نظر وتأمل :

وعبدالعزيز اللي فعوله تبينت	حول على الاتراك في وسط سورها
اسس جزيرتنا على الدين والهدى	وسع نواحيها وطول متورها
وتولاها سعود وكل شيء مزوده	وتزينت لسعود باحسن عطورها
جدد شباب المملكة في نظامها	في نهضة تسر غاية سرورها
بنى المساجد والمدارس وغيرهم	وفي كل ما يلزم تنور زهورها
ابو فهد طيبه بالاقطار اشتهر	عاهل جزيرتنا مجبر كسورها
كل العرب واقطار الاسلام زارهم	الف قلوب ماضيات نفورها

وفي هذه الليلة الجميلة قلت : لو ان الدكتور طه حسين كان يصغي معنا الى شاعر البادية الامي سعد بن حريول ، وهو ينشد قصائده النبطية الطويلة الكثيرة عن ظهر قلب لادرك سوء تسرعه في حكمه السطحي الجائر على الشعر الجاهلي.

وفي هذه الليلة تمنيت ان يكتب الله لشاعر البادية ان يتعلم العربية الفصيحة ويسير عليه تعلمها لكثرة ما يحفظ من مفرداتها الصحيحة بحكم نشأته في البادية وكل ما يحتاجه ان يتفرغ للدراسة عاما او عامين ، فانه بلا ريب سيأتي بالعجب العجاب من جيد شعر العرب الفصيح لخصب شاعريته الفطرية وغزارة مادتها ، وانه بلا ريب سيخلد تاريخ النهضة السعودية في جزيرة العرب كما خلد أحمد المتنبي نهضة آل حمدان في بلاد الشام فهو ابن البادية البكر الذي سبر اغوارها ودرس احوالها ، وتدبر احداثها وعرف مجاهلها ودروبها فما يحسنه سعد من ضروب القول عن الجزيرة العربية وعن آمالها وابطالها وامجادها ونهضاتها لا يحسنه سواه فهو ابنها البار الذي يفرحه تقدمها ويحزنه تأخرها ، وقد صدقت الامثال القديمة ليس من رأى كمن سمع .

تسلح الدولة العربية السعودية

كثر التحدث عن الدعايات المغرضة التي قامت بها الاحزاب الصهيونية في الولايات المتحدة ضد تسلح الدولة العربية السعودية وعن تفاقمها في هذه الايام الاخيرة حتى كان من آثارها ، حظر ارسال الدبابات الثماني عشرة المدفوع ثمنها، ثم رفع الحظر بعد ما كادت تسوء الحال بين الدولتين مما هو معروف من قريب .

والذي اثار دهشتي في هذا الحادث ما ذكره بعض الوافدين : ان دعايات الاحزاب الصهيونية، كانت تبدو في ألوان شتى من مظاهرات في الشوارع الى توزيع منشورات على الجماهير الى شراء ضمائر بعض الكاتبين الى اجتماعات متوالية بالزعماء السياسيين للتأثير عليهم .

واغربها التنادي بأن الحكومة السعودية شعارها القرآن « القائل » : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... »

ومفهوم أنهم يعلنون ان المقصود من عدو الله وعدوكم هم الاميركان كأن الاميركان من مشركي العرب الذين كانوا وقت نزول الآية الكريمة ونقضوا عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونابذوه القتال مرارا ، ومع كل ذلك نجد ان الله كما امر رسوله باعداد العدد للارهاب في هذه الآية الكريمة امره في الآيات السابقة اذا التقى بهم في معركة أن يخيفهم حتى يفروا رجاء ان يعود اليهم رشدهم فيؤمنوا بالمثل الانسانية العليا التي اوحاها الله : « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ، فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

وهم يتعمدون ان يحرفوا ترجمة الآية الكريمة ، لتبدو مخيفة مرعبة ...

وقصدهم ان يخيفوا الاميركان من عواقب تسلح الحكومة العربية السعودية بالعدد الحديثة لتظل ضعيفة عزلاء يمكن القضاء عليها ، متى ارادوا .

ولو وجد من يفهم من زعماء الساسة الاميركان بعض ما في الآية الكريمة من مثالية تسمو بالتسلح الى مثله الاعلى وغايته الكريمة لفطنوا الى الاراجيف التي تحاك حول تسلح الحكومة العربية السعودية .

والواقع ان الآية الكريمة تهذب غريزة الدفاع عن النفس ، وتعطي السلاح معنى السم الذي يضاف الى الادوية ليكون وسيلة لحفظ الحياة لا للقضاء عليها، ولاضاءة منائر العدل لا لطمسها ، وتوفر الاسلحة الثقيلة الحديثة بيد الامة التي تؤمن بمثالية الآية أضمن للسلام العالمي واخلق بكف التسلط والعدوان من سواها ....

ولو اتخذت الدول الكبرى بايمان المثالية العملية التي جاءت بها الآية الكريمة من اجل الاعداد المتفوق وركزت عليها جميع القوانين الفرعية في مؤتمراتها ولو لم تصرفها عنها رعونة الذات الملوثة بتقاليد العصر الحجري لساد التفاهم والسلام وعاش الجميع في رضا ما بعده رضا .

ولاجل بيان حقائق المثالية العليا في الآية الكريمة اذكر ما يلي :

١ ـ الاعداد المثالي

كان الناس قبل نزول الآية الكريمة يتخذون كل اعداد متفوق للعدوان والتسلط والاغتصاب وفرض السيطرة والقضاء على الحريات ، لانهم لم تكن لديهم مثل عليا الآية فرضت ان يكون الاعداد المتفوق للذود عن حقوق المثل العليا المقدسة مقدسة عامة تهيمن على أعمالهم وتوجهها الى العدل وتكبت غرائزهم .. فلما نزلت وصيانتها من العبث والتداعي .

اجل أنزل الله المثل العليا المقدسة على خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي الوقت نفسه انزل الآيات الفارضة مثالية الاعداد المتفوق : للذود عنها ، وكل دعوة الى نزع السلاح لا تتحقق الا في عوالم القصص ولو كان تحقيقها يمكن مع بواعث الغرائز الانسانية ، لامر الله به لانه اعلم بالوضع الذي خلق عليه الانسان .

وواضح ان الوحي الالهي انزل ليسمو بالانسانية الى المعنويات الراقية المهذبة التي تدخل في مكانيات الانسان العملية .

هب ان دولة كبرى انسلخت من بواعث غرائزها الفطرية واخذت تنزع سلاحها او وقفت به عند الحد الذي انتهت عليه ، فهل في استطاعة الدول الاخرى امثالها ان توافقها عمليا ؟! هذا محال ، فالموافقة في الظاهر لا تقدم ولا تؤخر في الوضع الراهن .

وهذا سبب اخفاق مؤتمرات نزع السلاح او تحديده في كل مرة بل الذي كان يلاحظه المراقبون السريون ان التسابق كان يزداد بزيادة اهتمام المؤتمرات المعقودة لهذا الغرض .

ومهما يكن الامر ، فلن يكون الاعداد مثاليا الا اذا كان او قاية المثل العليا

المقدسة ، وكم من اعداد متفوق الغايـة منه استعباد الشعوب الضعيفة ولو قايـة الدساتيـر الجائرة ، ولو قايـة الشركات الاستثماريـة الظالمـة لان المثل العليا محال ان تكـون لحريـة امة وقوتهـا واسعادهـا دون امة أخرى لانهـا مبنية على قوله عليـه لصلاة والسلام : « الخلق كلهم عيال الله ، فاحبهم اليه انفعهم لعياله » .

والواقع ان الآيـة الكريمة ،هي المثل الاعلى في فرض الاعداد المثالي ، فاذا لـم تؤمـن به الدول ذات الشـأن فانهـا تكون حكمت على نفسهـا بالاعدام ، وكـل ذلك بين فـي الامر الالـهي : « واعدوا لهـم .. »

٢ ـ بذل الطاقـة مـن اجـل الاعـداد

بذل الطاقة من أجل الاعداد هو واجب لاستمرار الحياة وحفظها مـن الابـادة والتسلط. فاذا انت لم تعط كل امكانياتك للاعداد المتفوق اعطاه اياها سواك وسلبك امكانياتـك واضافهـا الى نفسه . وسـوى ذلـك لن يكـون ما دام الانسان هو ذا .. ومـا دامت الغرائز هـي هـذه ...

والاعداد لن يكون في استطاعته الوقاية الا اذا قدمت له نهايـة الامكانيات ،وهذا واضـح في الآيـة : « وعدوا لهم ما استطعتم .. »

٣ ـ الاساس القـوة

لن يكون التسلح مثاليا متفوقا يحقق المقصود الا اذا لم يرتبط بلون خاص من الاسلحـة ،ولو كـان المقصود اللون الخاص لجاء ذكر الرمـاح والسيوف والمنجنيقات المتعارفـة وقـت نـزول الآيـة .

وواضح لغة : ان اطلاق القوة وتنكيرها في الآية ، لم يكـن الا لتشمل كـل القوى المتجـددة علـى مدى الاجيال، والقوى دائمـا في تجدد، وهذا المعنى الكبير المتطـور لمعنـى القوة فـي الآيـة هـو من اعجاز القرآن المعنوي :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .... »

٤ ـ القوى المعنويـة الخالـدة

الاعداد المثالي يفرض بذل الطاقـة في ايجـاد كل مـا يدخل تحت لفظ قـوة من العدد المتجددة ويفرض أيضا الاحتفاظ بالقوى التـي لا تتبدل ، كالقوة المعنوية فـي نفـوس الجند ، وكالاخلاص للروح العسكرية ، وكالطاعـة للقيادة ، وكالتضحية للمثل العليـا ، وهذا كله داخل في كلمـة : « ومن رباط الخيل .... »

ولا ريب ان وجـود كتائب الفرسان من ضرورات الاعداد المثالـي الحديث ، وتخصيصها بالذكر في الآية من اعجاز القـرآن ، فقد شاهدنـا الحرب العالميـة الثانيـة كيف استعـان فيهـا الروس بكتائب الفرسان ، حين جمدت الآلات وتحجر

البترول من شدة البرد وبذلك كسبوا الانتصار .

وما وجدت ابعد عن فهم الاعجاز المراد في الآية ، من الذين يخرجون بالفاظ القرآن عن مدلولاتها في لغة العرب الى مدلولات وهمية ما انزل الله بها من سلطان .

خذ مثلا الذين فسروا رباط الخيل برباط القلوب ، ظنا منهم ان الخيل لم تعد صالحة للحروب الحديثة ، ولو يمكن ان يأتي جيل من الاجيال يستغنى فيها عن الخيل لأهمل الله ذكرها في الآية .

ومهما تطورت المخترعات الحربية ، على تداول الاجيال ،فان وجود الخيل سيظل من الضرورات الا ترى اذا أبادت قوى الذرة والهودرجين ، الحضارة الحديثة وعددها الهائلة ، فهل تبقى سوى الخيل على ان معاقل تدريب الجنود الفرسان منتشرة في جيوش الدول الكبرى .

هذه النمسا ما كادت تنتهي من الاحتلال الروسي فيهذه الايام، حتى سارعت فافتتحت مدرسة الفروسية الحربية الاسبانية في فينا عاصمتها بعد اغلاقها مدة الاحتلال الروسي عشر سنوات . وتسميتها بالاسبانية نسبة الى المدربين الاسبان الذين اتقنوا شتى أنواع الفروسية من العرب ونقلوها اليها بواسطة سلائل الخيول الاصائل ، التي كانت تصل الى اسبانيا من جزيرة العرب عن طريق شمال افريقيا خلال الفتح العربي الذي دام ثمانية قرون .

٥ ــ الحرب الباردة الارهاب

من أصعب الامور المفاوضات حول المسائل المتنازع عليها ، واصعب شيء على النفس ان ترضخ للحق اذا لم يكن في جانب مصلحتها ولن ترضخ اذا لم يكن ما ترهبه ، ولن يكون ارهاب بغير قوة متفوقة ، والارهاب اكبر انواع الحرب الباردة .

والآية الكريمة انتقلت بالاعداد من الحرب الحامية الى الحرب الباردة ،

ولن يتم الانتصار على مظالم الناس وطغيانهم بالارهاب في الحرب الباردة الا اذا كان الاعداد المسلح متفوقا ، ومؤكد ان الاعداد المتفوق ينتج الارهاب ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتصر بالرعب من مسيره شهر ... ولا يستعمل العدد الحربية الا اذا استحال كف عدوان المعتدين بدونها ، ومن أجل ذلك ما كان يبدأ أحدا في قتال حتى يكون هو المبتدىء . وقد قال سيدنا علي كرم الله وجهة : البادىء في القتال باغ . وعلى الباغي تدور الدوائر .

اذن فقصد الارهاب من الاعداد المتفوق مثالية سامية ترفع كوارث الحرب عن البشر ، وهذا عين تقصده الآية الكريمة « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به ... »

٦ ـ الانسانية رحم

وحي الله يعلن ان الانسانية رحم : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » .

اذن فالرحم أصيلة بين الناس ، وليس بين فرد وفرد ، وجماعة وجماعة من عداوة فطرية ، وانما العداوة طارئة من المظالم والاطماع والحسد ، ولئن كان من الحق عداوة المظلوم لظالمه ، فان من الباطل عداوة الظالم لمظلومه .

والانسان الكامل ، لا يعادي من أجل نفسه ، وانما يعادي من يعادي من أجل المثل العليا التي أوحاها الله لاسعاد الجميع ، واستقامة أمر الجميع .

هذا عمر بن الخطاب يطلب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقب معركة أحد ، أن يدعو على قومه ، الذين فتكوا بصحبه ، وشجوا وجهه وكسروا رباعيته فيرفع يديه ولكن لا ليدعو عليهم بل ليدعو لهم بقوله : « اللهم اغفر لقومي ، فانهم لا يعلمون » .

فهل بعد هذه الشفقةشفقة، والله يقول الله فيها : « ... فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ان الله عليم بما يصنعون » ..

والمسلمون على قدم الاسوة الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يحملون من عداوة لاحد ولكن لديهم مثل عليا اوحاها الله لخير الانسانية جمعاء ، فمن عاداها فهم اعداؤه ، ومن احبها فهم احبابه ، اذن فالذين يعادون الله اي يعادون مثل وحيه العليا المشتملة على نجاتهم وسعادتهم وهؤلاء هم اعداء المسلمين .

وهذا هو العداء المثالي الكريم المفعم بالاشفاق والحسرة والمودة البريئة . والاعداء المثاليون كمثل الاطباء الذين يحملون الدواء الشافي للمرضى . والمرضى لا يكفون عن كراهيتهم والكيد لهم ، واعداد العدد للفتك بهم فكراهيتهم لهم حماقة وتحاملهم عليهم ظلم وتربصهم بهم طغيان .

من أجل ذلك أضاف الله عداوتهم اليه قبل أن يضيفه للمسلمين . فالآية اعلان من الله عز وجل بان المسلمين ، لا يعادون أحدا الا لأفادته ورجاء اسعاده ومثل هذا العداء المثالي الكريم محال ان ينتج العدوان والطغيان والظلم والاستعباد ، مهما تراكمت العدد لدى اهله .

ويكفي المسلمين شرفا وانسانية وسموا أن ليس لهم من عدو سوى الله ، وهل يكون عدوا لله من في قلبه مثقال ذرة من خير .

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... »

هذا بعض مـا قبسته من ينبوع الآيـة الكريمـة المتدفق ، ليعلم الاميركيون ان تسليـح الحكومة العربيـة السعوديـة بالعـدد الحديثة ، لا يضرهم ابدا بل ينصفهم لدى الشدائد ، فالعرب اوفـياء وما خانوا قط من عاهدوه . والتاريخ اكبر شاهـد فكسب صداقتهم ذخر ، والعمل على اضاعتهـا خسارة لا تعوض ، ولا يجهل احد ان لهم وزنهـم في الحروب ، وابواب الصداقات مفتوحة امامهم على مصراعيها ، فـلا تضطروهم على ولوجها ، وانظروا ماذا تعملون !.

واذا كان لا بد ان يحذروا فايحذروا من هؤلاء الصهاينة القابضين على انفاسهم والمتحكمين في مصيرهم السياسي والاقتصادي والذيـن لا يهمهم مصلحـة الولايات المتحـدة بمقدار ما يهمهم دولتهـم التي بنوهـا على جماجم العرب في فلسطيـن وغيـر فلسطيـن .

هؤلاء الذيـن يكيدون ويتآمرون ويضمرون السوء وغايتهم تمزيق وحدة الولايات المتحدة والمستقبل سوف يدل على ذلك وهل هم يريدون حقـا مصلحة الولايـات المتحدة . وهم لو استطاعـوا ان ينقلوا كل عتاد الولايات المتحدة الى اسرائيل مـا تأخروا . ولو كـانوا حقيقة غير عنصريين لذابوا في شعب الولايات المتحدة كمـا ذاب سواهـم ...

الفهرس